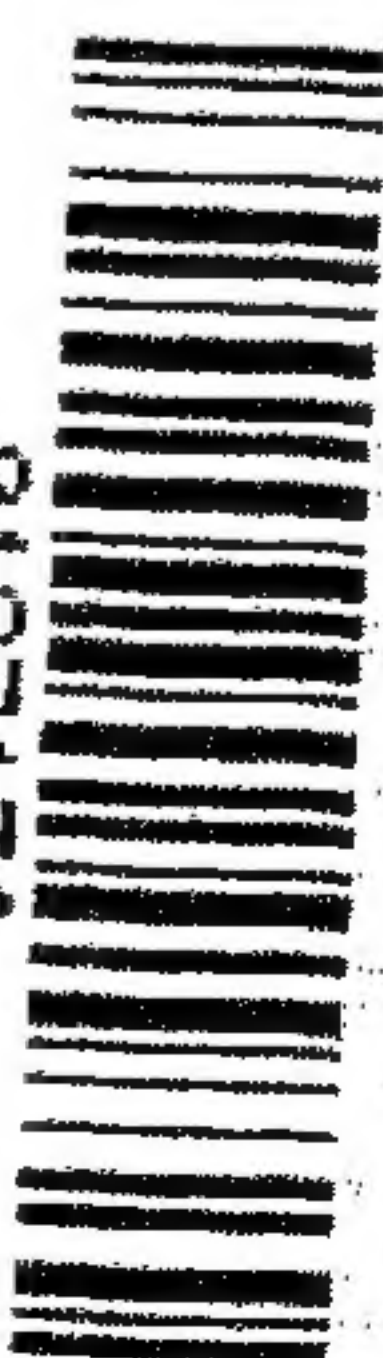




Bibliotheca Alexandrina



0127136

اسلاميات احمد شوقي

دراسة نقدية

دكتورة

سعاد عبد الوهاب عبد الكريم

تقديم ومراجعة د. سهر القلماوى

تقديم

بقلم : سهير القلماوى

لم يحظ شاعر قديم أو حديث بما حظى به شوقى. من اهتمام الدارسين مؤرخين ونقاداً . فقد درس فى إطار الشعر الحديث بعامة وأفردت له دراسات عديدة وحده وبالمقارنة مع شاعر آخر . لقد ملأ شوقى فعلا السمع والبصر فى حياته وبعد مماته ، ولم يخفت الإهتمام به إلا لما خفت الإهتمام بالشعر بعامة فى هذا العصر .

وإذا كانت الدراسات قد تدفقت أكثر بعد وفاته ، فما ذلك إلا لأنه تربع على عرش إمارة الشعر قبيل وفاته . وأخذ الدارسون لشعره أو الناقدون له يتعددون على نطاق الوطن العربى كله . فلم يبايع شوقى أميراً على الشعر فى مصر أو فى حفل تكريم خاص به ، وإنما كانت المناسبة مهرجاناً للشعر العربى الحديث بعامة ، اجتمع فيه أبرز شعراء هذه الفترة لتكريم الشعر والشعراء فى دهشق .

وما من كتاب تخصصى أو مدرسى تعرض للشعر الحديث أو الأدب بعامة استطاع أن يعبر على شعر شوقى عبوراً سريعاً ، ذلك أن كل دارس لابد له من وقفة خاصة به ، باعتباره أبرز شعراء العربية فى زمانه . ولكنه درس أيضاً دراسة خاصة به . منها ما تقرنه بشاعر آخر مثلما قرنه طه حسين بحافظ إبراهيم للمقابلة بينهما فنياً لتعاصرهما (حافظ وشوقى سنة ١٩٥٨) . كما درس مقروناً بالمتنبى مثلما درسه عباس حسن (المتنبى وشوقى سنة ١٩٦٤) أو مقارناً بابن زيدون فى نونيتهما مثلما درسه أبو القاسم محمد كركر .

ومن هذه الدراسات ما يفرد شوقى فى عرض شامل والتعريف به بشكل عام ، مثلما فعل شوقى ضيف (شوقى شاعر العصر الحديث سنة ١٩٥٣) ومنها ما عنى بشكل أدبى أسهم فيه شوقى بشكل واضح مثل دراسة المسرح عند شوقى بشكل عام (أحمد هيكل الأدب القصصى والمسرحى فى مصر) . أو بتركيز

على شوقى وحده مثلما فعل حامد شوكت و د . محمد مندور ، لأن اسهام شوقى فى بدايات المسرح فى الأدب العربى الحديث تستحق وقفة خاصة .

كذلك اتخذ الباحثون موضوعاً خاصاً ، لشوقى فيه شعر له سمة خاصة من موضوعه مثل (الدين والأخلاق فى شعر شوقى سنة ١٩٦٤ لعلى النجدي ناصف ، أو وطنية شوقى (لأحمد الحرفى سنة ١٩٥٥) . أو « أحمد شوقى شاعر الوطنية » (أحمد زكى سنة ١٩٥٨) و « أندلسيات شوقى » (صالح الأشر ١٩٥٩) . و « شوقى وشعره الاسلامى » (ماهر حسن ١٩٥٩) . واستمرت العناية بمسرح شوقى إلى اليوم . فقد درسه منذ عامين « طه وادى » فى كتاب « شعر شوقى الغنائى والمسرحى » . كما استمرت العناية باسلاميات شوقى ومنها هذه الرسالة التى نقدمها للدارسين فى هذا الكتاب . فإذا أضفنا إلى ذلك ما زخرت به مقدمات مجموعات شعره مثل المقدمة الصافية التى صدر بها د . محمد صبرى ما جمعه من شعر شوقى الذى لم ينشر وعنوانه « الشوقيات المجهولة » ، وكذلك المقدمات التى كانت تتصدر مسرحياته .

ولعلنا لمجرد الدلالة على الاهتمام المتوسع بشعره بعد وفاته لا يفوتنا أن نذكر الدراسات التى كانت تقدم عنه فى حفلات تأيينه أو رثائه ، والأعداد الخاصة من مجلة « الهلال » و « أبولو » التى كانت تصدر احتفاءً بذكره . ولا ننسى أن بعض الأشكال الشعرية التى توقف الانتاج على نسقها ؛ كمعارضات القصائد الخالدة فى الأدب القديم ، والتى دخل فى موضوعها شعر شوقى (وقد ذكر القصائد التى يعارضها) فكان طريفاً عقد المقارنة بين القصيدة القديمة والمعارضة الحديثة عند شوقى مثل (معارضات شوقى فى الميزان) .

فإذا أضفنا إلى كل هذا ما زخرت به فترة هجوم الشعراء الجدد فرسان « مدرسة الديوان » على شعر الإحيائيين ، وأبرزهم شوقى ، بدت لنا خطورة اضافة جديد الى كل هذه الدراسات ؛ ما لم يكن الاتجاه اتجاهاً حديثاً يبرز

نواحي لم يستطع السابقون الوقوف بها لأن علوم « النبائية » و « الألسنيات » لم تكن قد عرفت على نطاق واسع كما هي معروفة اليوم . وأبرز دراسة وأحدثها مما أفاد افادة علمية مما قد استحدث في نقدنا العربي من معلومات خول هذه الاتجاهات الحديثة هي دراسة محمد الهادي الطرابلسي (من تونس) « خصائص الأسلوب في شعر شوقي . سنة ١٩٨١ » التي ظهرت والباحثة سعاد عبد الكريم (صاحبة هذه الدراسة التي نقدم لها) نقد هذا البحث ، فكانت فرصة لها أن تفيد من هذا البحث القيم بقدر ما يسمح به موضوعها .

فخصائص أسلوب شوقي عند الطرابلسي كانت وسيلة تطبيقية لهدفه الأصلي ، وهو دراسة خصائص التعبير في اللغة العربية ، وما تنفرد به اللغة العربية ، من دون سائر اللغات ، من ظواهر وسمات لها دلالاتها في علم اللغة وفي دراسات وسائل التعبير بالكلمة . أما هذه الدراسة فهي قد ضيقت دائرة البحث بهدف الوصول إلى نتائج معينة . فخصت شعر شوقي الذي كان الاسلام فيه المؤثر الأكبر وربما الأوحده .

لقد علق الطرابلسي أحدث النظريات في الدراسات « الأسلوبية » و « البنائية » بدقة علمية ممتازة . فخرجت الدراسة مملوءة بالاحصاءات المفيدة . كان يحصى أبيات شعر شوقي فيجد أن أبيات الديوان وحده تصل إلى سبعة عشر ألف وخمسمائة ، بينما أبيات شعرا ابن الرومي الذي يضرب به المثل في الخصيب وكثرة ما ألف من أبيات يتراوح عددها عنده بين ستة عشر ألفاً وسبعة عشر ألفاً . فإذا أضفنا إلى شوقي أبيات المسرحيات والشوقيات المجهولة لأصبح لشوقي أكثر من ثلاثة وعشرين ألفاً من الأبيات ، وبهذا يمكن بكل اطمئنان أن نعد شوقي أخصب شعراء العربية على الإطلاق قديماً وحديثاً .

ولذلك اتخذ الطرابلسي نموذجاً للتطبيق فاستطاع أن يصل إلى الكثير من الظواهر العلمية والسمات المؤدية إلى هدفه من دراسة نظام اللغة العربية ، ومدى الثبوت في قواعدها ومدى التحول ؛ مما يساعد على إبراز خصائص مميزة

تقودنا إلى رسم امكانات التحول أو التطور فيها كما نتودنا إلى وصف حياة اللغة العربية ومسيرة تطورها ومدى مساهمة النصوص الشعرية بهذه اللغة في خلق الجو الشعري ؛ أى التوفيق فى تحقيق أهداف الفن بعامة والفن القولى بخاصة .

لقد اتجهت سعاد عبد الكريم إلى دراسة الأثر الاسلامى (لفظاً وفكراً وقصصاً وصوراً .. الخ .) فى شعر شوقى الاسلامى . وشعره الاسلامى أن يكن موضوعاً من موضوعات شعر شوقى ولكنه حسب تعداد الأبيات يعد الموضوع الطاغى والأهم ، والأطوع فى دراسة التطور من القديم إلى الحديث . فالمقارنة بين البيت والآيات القرآنية التى استوحاها شوقى والمقارنة بين البيت وما سبق من شعر إسلامى ، وخاصة فى القصائد التى عارضها ، كل هذه المقارنة ، أبرزت أهم خصائص الفن الشعري عند شوقى . لأن شعره الاسلامى ليس مجرد أكثر الموضوعات عدد أبيات فحسب ولكنه أخصب الموضوعات التى عكست أهم المؤثرات فى شعر شوقى وحياته .

لقد اعترف محمد الهادى الطرابلسى ، بعلمية أمينة صادقة ، أنه لن يصل إلى كثير من التنظير والقواعد فى ما هية الشعر ، والأسلوب العربى فيه ، ولكنه كما يعترف أراد أن يسد هذا الفراغ ، الذى نحسه جميعاً ، من انعدام الإفادة من منجزات البحوث « اللسانية » التقنية فى نقدنا ، لتطوره من مجرد انفعالات أو سرت حقائق تاريخية إلى دراسة علمية لها نتائج يمكن أن تطور الأساليب العربية ، بل أن تطور اللغة نفسها ، فى إطار ثوابتها الأصيلة . لذلك اضطر أن يعر إلى بعض ما سبق من دراسات عن شوقى فوصفها (بتعميم صادق وأن يكن غير دقيق) بأن أكثرها سطحى أو انطباعى أو مدرسى ، ونضيف إلى ما ذكر الهادى الطرابلسى من دراسات قليلة كنماذج ، دراسة يتلامس موضوعها مع هذه الدراسة وهى دراسة ماهى حسن سنة ١٩٥٩ على أنها دراسة أعم من أن يكون بها ما يمكن أن تفيد من الباحثة (ولعلها فى زمان ظهورها كانت ظاهرة مبشرة) .

أما هذا البحث فقد توخى إلى حد بعيد الجمع بين الدراسة الفنية الأدبية والدراسات الإحصائية الأسلوبية المتتبعة بدقة الألفاظ والتراكيب والصور .

ولقد أصابت الدراسة منذ أول الأمر بأن حادث مشكلة البحث الأولى بأنها هي المزاوجة بين النفس الجاهلي (الوثني) والمعنى الاسلامي ، في ظل تطور واضح ، ندرجه في تاريخ الأدب الحديث تحت عنوان حركة الإحياء . أي إحياء الشعر العربي القديم وما أكثره (فهو يشمل كل ما سبق العصر الحديث ، أي ستة عشر قرناً أو تزيد) وما أكثر الاختلاف فيه ، وما أكثر حركات التجديد واختلاف الشعراء أصولاً وديناً وربما طرائق تعبير خاصة بالموطن الجغرافي أو القبيلة إلى الخصائص الشخصية .

ومع ذلك فهناك نقصة ارتكاز ثابتة واضحة تنبع من أن العربية لغة عبقرية صانها القرآن الكريم من كل تحريف شاذ وثبت في وجدان أهلها ألها هي التي اختارها الله سبحانه وتعالى ليرسل بها رسالته لنبيه محمد (ص) ليبلغها بهذه الألفاظ إلى العالمين وعلى مدى الدهر .

ومجالات الالتقاء والاختلاف بين الشعر المعاصر وشعر العصور السابقة عديدة . فهي مجالات فكر وألفاظ وصور . منها ما قد درس منذ العصور الأولى في باب التجديد ومنها ما هو مبتدع في العصر الحديث ، وإن كان لا بد له من أن يتركز ، أو على الأقل يحسب حساب ، هذه الدراسات القديمة عن ظاهرة التجديد كلما تجلت في تاريخ شعرنا الطويل .

لقد عاش شوقي تحت مظلة الامبراطورية العثمانية لذلك كان لزاماً على الباحثة أن تطلع بالتفصيل على تاريخ العثمانيين في سنوات دولتهم الأخيرة فرجعت إلى مؤرختين مثل « المادتليين » عن « عبد الحميد ظل الله على الأرض (سنة ١٩٥٠) » وكتاب « تسويني » المعروف عن الخلافة (محاضرات سنة ١٩٦٤) ؛ وإلى العديد من التأليف العربية الحديثة التي تهاجم الدولة العثمانية أو تدافع عنها باعتبار أن سقوطها كان تدبيراً ذكياً محكماً من قوى الاستعمار المتربصة بهذه الدولة وبالإسلام والمسلمين بعامه .

ولقد أظهرت الباحثة كيف أن شوقي ، بوجدان مرهف وحس إسلامي ناضج ، أحس خطر المستعمرين ؛ وظهرت له نواياهم في تحريك الأحداث حتى تصل إلى سقوط الخلافة . ولقد عانى من سقوط الخلافة ألين عبقرين عظيمين ألم النفي بعد خلع السلطان ، وألم لعالم الحضارة الأندلسية السلبية التي برزت له في منفاه في أسبانيا . فتضاعف شعوره المتأجج حماساً للإسلام ولدولة المسلمين ، وكان له في هذا شعر رائع يفيض بالوجدان والأنين كما يـزخر بالصـور والأحداث .

لقد أحس شوقي بحق أن هدف الاستعمار من القضاء على الامبراطورية العثمانية استلزم من أدوات الاستعمار تخريب الدولة من الداخل والخارج ؛ فكان الفساد والظلم تنفيذاً لمخططات مدروسة . والمسلمون مطمئنون إلى دينهم لاهون عما يدبر لهم . لقد فسدت الإدارة وفسد الحكم في مقر الخلافة وفي كل دولايتها ووصلنا في مصر إلى احتلال عسكري بريطاني وكان شوقي ما يزال في عنفوان شبابه وتوهج موهبته الشعرية .

وشوقي وهو شاعر مسلم يرى كل ذلك في وضوح فالتهب حماساً للدفاع عن الدولة العثمانية رغم فساد الإدارة والحكم ، مخترقاً كل الصيحات التي تنادى بسقوطها واستبدالها إما بدولة عربية (صيحات القومية العربية الأولى) أو بدولة إسلامية (الوهابية ، السنوسية ، وحركة الشريف حسين أبان الحرب العالمية الأولى) .

وفي تقديس شوقي للخلافة أمدها بتصورات إسلامية ومن أنظمة الشورى في الإسلام وأنظمة الحكم الحديث المعاصر له في أوروبا وغيرها . نوصل نسب الخليفة بالنسب النبوي الشريف ووقف بالصور والأعلام والقيم والأحداث التي تذكر في القرآن الكريم عن الأنبياء بعامة ، ليربط بينهما وبين الخليفة العثماني . وفي كل مرة ينتقل ، كما ينتقل كثيراً وفي كل مناسبة ، إلى إبراز فضائل الإسلام (لا جنس لا دم لا أرض) رباط زوجي عقائدي بين البشر أجمعين بأعلى مراتب الفضائل .

لذلك وقفت الباحثة بهذه الفضائل التي أسبغها الشاعر على الخليفة العثماني ، والتي ترددت بعد ذلك في شعره في مناسبات أخرى . كما وقفت بتاريخ المنطقة القديم (تاريخ الأمم الغابرة المذكورة في القرآن الكريم) تاريخ الفراعنة ، والحديث وخاصة معارك انتصار المسلمين في حروبهم ضد أعداء الاسلام ، فاستمد شوقي من كل هذا أفكاراً وقيماً وأحزاباً وأبطالاً واستطاع أن يصنع حتى التاريخ القديم بصبغة اسلامية واضحة .

لقد تتبعنا الدراسة شعر شوقي ، بدقة علمية جادة ومثابرة ، ووقفت بالألفاظ لتري استعمالها القرآني مقارناً باستعمال شوقي بها وصولاً إلى تحديد معالم معجم شوقي القرآني . كما وقفت أمام اقتباس الآيات أو أجزاء منها ، واقتباس الأحداث والتاريخ الاسطوري والمعاصر للعصور الاسلامية الأولى .

ثم عبرت إلى الدائرة الأعم فوقفنا بشعر شوقي الذي يصف فيه العبادات ، ويفضل التمسك بأدائها وتمسك الخليفة الممدوح بهذه العبادات ومشاركته للمسلمين في أدائها (الحج والصوم .. الخ) وفي قصائد الرثاء يذكر هذا الجانب ويضغط عليه بالنسبة للعظيم الذي يرثيه فهو عظيم في بابه ولكنه مسلم أساساً . حتى من كانوا غير مسلمين فانه يقف بتقواهم وحميد سيرتهم من منطلق ديني عام .

وأفردت سعاد عبد الكريم للاقتباس من الموروث الشعري العربي الاسلامي جزءاً هاماً من بحثها . تضغط فيه على التزام شوقي بالفصحى في كل شعره وان يكن قد عمد الى فصيح ميسرة عندما ترجم أو اقتبس في الواقع قصص الحيوان من الأدب الفرنسي والعربي القديم ليتعلمها الأطفال ويتعظوا بها .

ودراسة الباحثة لمعجم شوقي الشعري تبرز أهم خصائص شعر شوقي وهي خصيصة المزاوجة بين الصوت والمعنى في الألفاظ الشعرية . ولقد استوقفت موسيقية الألفاظ أو الأصوات في شعر شوقي كل باحث جاد في أسلوب شوقي . هذا تقديم عام لهذه الدراسة القيمة التي أرى أنها ليست مجرد إضافة لهذه الدراسات العديدة التي سبق أن أشرت إلى أهمها أول هذه المقدمة وإنما هي

إضافة خليقة أن تشير حوارات ومناقشات لمزيد من التعمق في دراسة العربية لغة وأسلوب شعر (ألفاظاً وفكراً وصوراً) من خلال التعامل بالوسائل العلمية التي أتاحت حديثاً للدارسين في زماننا على نماذج رائعة من الشعر .

كما أرجو وألح أن تتابع سعاد عبدالكريم هذه الدراسات الأدبية الفنية والعلمية ، بمزيد مما تكسبه من اطلاعاتها ومعاملاتها مع نماذج الأدب الحديث الذي شئت أن تتخصص فيه . وفقها الله ، وسدد خطاها وأعانها على الصبر والمثابرة فهو سبحانه ولي التوفيق .



مقدمة

شوقى من أبرز شعراء مصر المعاصرين ، لا على مستوى مصر فحسب ولكن على مستوى العالم العربى والغربى ، فهو يمثل مرحلة فنية معينة فى تاريخ الشعر العربى الحديث . وقد لعب شوقى دوراً هاماً ورئيسياً سائراً على نهج أستاذه (محمود سامى البارودى) فى إحياء الحركة الأدبية بما اشتملت عليه من تراث عظيم ، هذه الحركة تعد بداية جديدة فى حياة الشعر العربى خلفت فترة طويلة من الجمود لم تفد شيئاً .

عاش شوقى فى الفترة من ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م ، وشهد أحداثاً كثيرة مرت بها الأمة العربية أولاً ، والأمة الاسلامية ثانياً . هذه الأحداث كان لها الأثر العظيم فى حياته وشعره ، ففى مصر - بلده - أدرك ما كان قبل الاحتلال من شبه استقلال ، وعاصر الثورة العربيه ، وشهد الاحتلال الانجليزى لمصر ، ثم عاصر الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، ونفى الى أسبانيا بعد قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م من قبل الانجليز ، بعد خلع الخديوى عباس . وأيد ثورة ١٩١٩ م التى قامت بمصر وأشاد بالمجاهدين وعاش يرقب الجهاد الوطنى من منفاه ، ولا ييأس من النصر ، ثم عاد من المنفى ١٩٢٠ م .

وكان شوقى شاعر الوطنية ، سجل فى شعره كثيراً من أحداث مصر ، وتغنى بحبها وتمجيد ماضيها العظيم وحاضرها المشرق ، وحزن لضعفها ، وحث أبناء مصر على مناصرتها .

وعاصر شوقى أيضاً الأحداث الجسام التى مرت بالعالم الاسلامى ، فقد كانت تركيا - دولة الخلافة العثمانية فى ذلك الحين - تنحدر من عليائها وتفقد كثيراً من ولاياتها ، إذ تخلت عن الجزائر لفرنسا ١٨٣٠ م ، وتركت تونس لفرنسا ١٨٨١ م ، واحتلت الجبلترة مصر والسودان ١٨٨٢ م ، واحتلت إيطاليا طرابلس ١٩١٢ م . وكانت الدول الاسلامية المستقلة كالأفغان وإيران لا تسلم من الأعياب الاستعمار . واقترن هذا الضعف السياسى فى الشعوب

الاسلامية بالجهل والتخلف الاجتماعى والاقتصادى ، وخضوع
للأوهام ومجافاة لروح الاسلام . ولهذا هب دعاة الاصلاح ، ومنهم
جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبى وغيرهم ،
يدعون الى تقليد النموذج (القرآن فى أسلوبه ، والرسول فى شخصيته
وسلوكة ، والدين بعامة فى قواعده وقوانينه) كقيم مقررة يؤكدون
عليها فى دعوتهم ، وهى دعوة إصلاحية للرجوع الى جوهر الدين .

وكانت هذه الدعوة الإصلاحية ينبوعاً ثراً يستقى منه شعراء
الحركة الاحيائية (ومنهم أحمد شوقى) مادتهم ، ولم يكن الاسلام
ثورة دينية فحسب وإنما كان ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية أيضاً ،
وكان — مع هذا كله — ثورة أدبية غيرت من معالم الصورة القديمة
التي استقرت فى المجتمعات الأدبية الجاهلية ، فشقت هذه الثورة
الأدبية طريقها مؤذنة بظهور الأدب الاسلامى لأول مرة فى تاريخ الشعر
العربى .

وقد تأثرت المدرسة الاحيائية بهذا التيار ، تيار إحياء الأدب
القديم ، ولو اجتهدنا فى البحث عن بصمات شوقى فى (ديوانه)
لعثرنا فيها على بصمات عمالقة الشعر العربى القديم . وهذه حقيقة
لا تحط من شوقى ولا ترفع من حظ القدماء بصفة خاصة ، ولكنها تبين
كيف أن الفنان الحق يستطيع أن يحرر فنه من قيدي المكان والزمان
وأن يسمو بعطائه الشخصى إلى مستوى عطاء الأجيال .

وقد ظهرت النزعة الدينية واضحة فى شعر مدرسة الأحياء أو من
يسمون (بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة) البارودى وشوقى وحافظ
وغيرهم ، وأخذت العناصر الإسلامية الجديدة تتداخل فى البناء
الفنى مع الموروث القديم فى قصائد هؤلاء الشعراء ، وتبدأ عملية
مزاوجة فنية بارعة بين هذين التيارين . أما شوقى فقد تفوق على أقرانه
من الشعراء فى شعره الاسلامى ، وأصبح هذا التيار واضحاً فى صوره
الشعرية ، وأصبحت هذه القيم الدينية فى قداستها ومعطياتها تشكل
جانباً من وعيه الشعرى ، ووجد شوقى فى التيار الاسلامى معجماً ثرياً

يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية . والحقيقة التي تؤكدتها النصوص ، والتي يحاول هذا البحث إثباتها ، هي أن هذا التيار الاسلامى الذى ظهر فى شعر شوقى بهذه الوفرة لم يظهر عند غيره من شعراء عصره . وعلى هذا بدأ البحث طامحاً إلى الوقوف على تلك الملامح الدينية الكثيرة ومدى استجابة قصائده للمؤثرات الاسلامية التي طغت عليها وعلى العصر بصورة عامة . والبحث يبدأ من حيث انتهى من سبق إلى دراسة شعر شوقى الاسلامى ممن سعوا الى دراسة تراث الشعر الدينى فى مصر وغيرها ، فظهرت من هذه الدراسات (العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث) للدكتور سعد الدين الجيزاوى ، و (شوقى شعره الاسلامى) للدكتور ماهر حسن فهمى ، و (التراث الروحى فى شعر شوقى) للدكتور أحمد الحوفى .

ومن هذه الدراسات دراسة شاملة تناولت حياة شوقى قام بها الدكتور شوقى ضيف وهى (شوقى شاعر العصر الحديث) . الى جانب دراسات أخرى تناولت أحمد شوقى من جميع جوانب حياته . وهناك دراسة تتعلق بالناحية الأسلوبية وحدها عند شوقى قام بها محمد الهادى الطرابلسى وهى (خصائص الأسلوب فى الشوقيات) ، وقد عمد الباحث فيها الى وصف نظام اللغة العربية فى طور من أطوارها لتبين ما فى قواعدها من ثبات أو تحول ، وتحديد وظائف اللغة فى بلورة المستويات ، ومن ثم تركيز البحث على شاعر معين هو أحمد شوقى ليكون ذلك وسيلة الى إبراز دور الفرد فى اللغة والطابع الذى تتسم به فى شعره .

أما هذا البحث فهو دراسة أسلوبية نقدية للشعر الاسلامى عند شوقى تتكفل بالربط بين التناول اللغوى والتحليل الأدبى ربطاً ميدانياً ، فهو بحث يسعى الى تحليل النص فنياً للكشف عن آثار هذا التيار الاسلامى فى الصورة العامة للقصائد الشوقية ، وما أحدثه هذا التيار من تعديل أو إضافة أو تراكم من خلال المزاجية بين الأصالة والمعاصرة .

ومن هنا بدت هذه الدراسة فى حاجة الى أن تسلك نحو أهدافها
مسارين : يمشى الأول نحو تبين الموقف العام عند شوقى ، وتحديد
مسالكه من خلال هذا التيار الإسلامى الغالب فى شعره . ويمضى
الآخر نحو الكشف عن الأدوات التى تعامل شوقى من خلالها مع هذا
الموقف ، والعناصر التى شكلته ، والمعالم التى حددت مسالكه ،
فيقف عند الجزئيات والتفاصيل التى تداخلت فى البناء الفنى للشعر
من خلال الروافد العديدة التى انبعثت عن هذا التيار .

أما الصورة التفصيلية لهذا المنهج فتضمنت خمسة فصول ومقدمة
وخاتمة وثبتا بأسماء المصادر والمراجع وفهرست محتويات البحث .

تناول الفصل الأول منها الخلفية السياسية لشعر شوقى
الإسلامى ، وتتمثل فى نشأة التيار الدينى وتغلغله فى الحياة العامة ،
ونشأة الجامعة الإسلامية وما تفرع منها من الدعوة إلى مناصرة
الخلافة . وما قيام هذه الجامعة الإسلامية إلا صدى للدعوات
الإصلاحية ، والتصدى للاستعمار . أما التيار الإسلامى فى قصائد
الخلافة عنده فما هو إلا مجموعة قضايا متشابكة ظفرت بأهمية كبيرة
فى هذه المرحلة التى عاشها شوقى . فمنها إعلان الدستور العثمانى ،
وإعلان خلع السلطان عبدالحميد . ومن ثم موجات التجديد التى
غمرت الشرق وكانت تحمل بين طياتها التهوين من شأن الروابط
الدينية ورمى المسلمين بالتعصب . مما حدا بشوقى وأمثاله من
الشعراء إلى التعبير على ضرورة المحافظة على تلك الروابط المقدسة
بين مصر والخلافة . ثم يتعرض شوقى بعد اتساع نظرتة الاجتماعية
التي شملت العالم الإسلامى بأسره لبعض العيوب الاجتماعية التى
كان يعانى منها المجتمع الإسلامى . ويقدم نصحه للمسلمين والأمة
جمعاء ضارباً لهم المثل الأعلى بأسلافهم .

أما الفصل الثانى فيتركز حول دراسة أثر النزعة الإسلامية فى
موضوعات شعر شوقى المختلفة ، ومدى ظهور النزعة الإسلامية فى
موضوعات لا تتصل بالإسلام مباشرة مثل قصائده الفرعونية ، وكيف

اتسم شعره بهذا الجلال القرآنى والدينى ، وهذا يوضح مدى اهتمام شوقى بتاريخ مصر .

وقد استطاع شوقى المزاوجة بين القديم والحديث باضفاء الصبغة الاسلامية على الديانات القديمة وإبراز حقيقة التوحيد التى نادت بها الديانات منذ القدم . كما غلبت هذه النزعة على شعره المسرحى أيضاً ، مما يؤكد حقيقة فنية وموضوعية وهى حرص شوقى على صبغ معانيه وموضوعاته بالصبغة الاسلامية .

أما الفصل الثالث فهو دراسة للمحاور الأساسية للشعر الاسلامى عند شوقى ، تلك المحاور التى غلبت على معظم شعره وتتمثل فى العبادات والشعائر ، كما تتمثل فى المدائح النبوية وشعر المناسبات الدينية . ويرى شوقى أن يتخذ من هذه العبادات والمناسبات وأفكار العقيدة محوراً للحوار والجدل للدخول الى أمور أخرى .

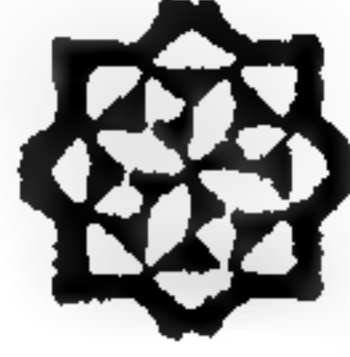
أما الفصل الرابع فيتركز حول الموروث الدينى والتاريخى والأدبى فى شعر شوقى ، وقد أدرك هو وغيره من الشعراء أن شعرنا العربى لن يستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أصالته ، إلا إذا وقف على أرض صلبة من صلته بتراثه وارتباطه بماضيه . فالتراث الدينى كان ولا يزال فى كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من متعة الإلهام الشعرى وقد استمد منه شوقى نماذجه وصوره . وأهم مصادر هذا التراث الدينى القرآن الكريم الذى عكف عليه شعراء الاحياء واستمدوا منه مادتهم الشعرية وعبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم . ويضاف الى ذلك شخصيات الأنبياء وما مروا به من تجارب استطاع الشعراء ربط تجاربهم الشخصية بها من هذا المنظور . واتخاذ الشخصيات الأخرى المنبوذة مثالا لقوى الشر التى تغزو البشرية . أما الموروث التاريخى فقد عمد شوقى الى الاقتباس من التاريخ بماضيه وحاضره ، وهذا يكشف عن ثقافة تاريخية واسعة وعن إدراك ووعى بالعمق التاريخى للأمة العربية والاسلامية والأمم التى سبقتهما . وقد ترك التاريخ أثراً فى حياته فقام بعملية مزاوجة بين الماضى والحاضر ، واتخاذ النماذج التاريخية من

صور الأبطال وغيرهم ومقارنتها بممدوحية من آل عثمان . وهكذا نرى شعر شوقي التاريخي مليئاً بالأسماء : أحداثاً ، وأشخاصاً ، وأشياء ، وأضفى عليه صوره وأدواته الفنية ليستوعب الظاهرة الشعرية عنده وليضفى عليها مسحة من القداسة الإسلامية . أما الموروث الأدبي فقد عمد فيه شوقي الى رفق شاعريته بشعر التراث ، فما هو إلا مزاجية بين القديم والحديث . ومن الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء ، من بين الشخصيات الأدبية ، هي الأقرب الى نفس الشاعر ووجدانه ، يتأثر بها ، ويستقى منها . فقد عارض شوقي الشعراء القدامى وقد بعضهم ، حتى أصبح شعر المعارضات يشكل قسماً كبيراً من ديوانه . والى جانب استلهم شوقي من الشعراء ، فله جولات في تاريخ الأدب العربي اتصل خلالها بأهميات الكتب واستلهم منها مادته مثل كتاب الأغاني وغيره ، فهياً له ذلك الاتصال بمصادر التاريخ الأدبي ، والقدرة على رسم جو متكامل من الحياة العربية والجاهلية والإسلامية والأموية بجوانبها الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية والحرية . وقد استلهم شوقي بعض مادته التعبيرية من الحكمة كجانب من جوانب الموروث الأدبي ، والحكمة شكلت الجزء الأكبر من ديوانه لما لها من أهمية .

أما الفصل الخامس والأخير فيتناول دراسة أثر الثقافة القرآنية والدينية في شعر شوقي دراسة فنية . وأول ما يلفت النظر استلهم شوقي معاني الآيات القرآنية والقصص الديني واستخدامها في جميع دوائر شعره في المدح والهجاء والرثاء ، وحتى في حكايات الحيوان . فهو يستمد معانيه وألفاظه من آيات القرآن الكريم . ومن القصص الديني يستمد مادة تعينه على الأداء التصويري فنجد إشارات سريعة أحياناً ، ومفصلة أحياناً أخرى ، كقصص الأمم الغابرة التي عصت أنبياءها فصب الله عليها عذابه : وقصة نوح مع قومه ، وعاد وثمود ، وقصص بني إسرائيل وأمثالها . ويتخذ من هذه الأمثال عبراً موعظة لعصره الحاضر . أما الصور الدينية عند شوقي فيمكن أن نردها الى

الموروث الثقافي والنزوع نحو القديم ، وهذا النزوع نحو القديم يعد موقفاً حضارياً عاماً يشمل جميع مجالات الحياة ، إذ يعتبر نوعاً من التحدى أمام المد الاستعماري ، الذي لم يكن غزواً عسكرياً فحسب وإنما كان غزواً حضارياً وفكرياً . وقد أوجدت حساسيات الفترة وظروفها إزاء هذا الغزو مناخاً من نوع خاص ، جعل الردة الى الموروث القديم في أعصر نقاوته دليل صحة ثقافية ونفسية وملاذاً يحمي الشخصية ويمسكها . وهذه الصور الدينية استقطاب كامل للتجربة العربية ، وتحقيق للذات القومية عند شوقي .

أما المعجم الديني عنده فنتناوله من منظور لغوي ، أبعاده وخصائصه . ويقدر ما يبرع الشاعر في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفن والشاعرية ، ويحكم له أو عليه على هذا الأساس ، ومن هنا تأتي أهمية المعجم الشعري لديه .



وبعد .. فأنا أدرك اتساع الموضوع وتشعبه ، وأدرك أيضاً كثرة مصادره ومراجعته ، ولكن كثرة المصادر والمراجع التي تقف وراء موضوع من الموضوعات — كقلتها — تشكل مشكلة في دراسته . فكثرتها تثير من حوله زحاما في الآراء على الباحث أن ينفذ من خلاله إلى رأيه الشخصي ، وقلتها تضعه في شبه فراغ عليه أن يملأه من خلال رؤيته الشخصية ، وأمامي في هذا الموقف أستاذتي الجليلة الدكتورة سهير القلماوي مثلاً أعلى أتمثله ، ورائدة خبيرة سلكت الطريق من قبلي ، تمدني بتوجيهاتها وتمنحني خلاصة تجربتها العلمية الواسعة العميقة ، فلها مني أصدق عبارات الشكر ، وأعظم معاني التقدير ، وأطيب آيات الدعاء ، والله يجزيها عني وعن العلم كفاء ما قدمته لي وله .

كما أسجل تقديري وشكري وأطيب آيات دعائي لأستاذي
الفاضلين الدكتور محمود مكي والدكتور إبراهيم عبدالرحمن لتفضلهما
بقبول مناقشة هذا البحث وإبداء ملاحظتهما السديدة ، فجزاهم الله
خير جزاء .

والله الموفق

سعاد عبدالوهاب



الفصل الأول

الخلفية السياسية لشعر شوقي الاسلامى

- التيار الدينى والحياة العامة
- الجامعة الاسلامية
- التيار الإسلامى فى قصائد الخلافة
- شوقى والمجتمع الاسلامى

التيار الدينى والحياة العامة

لا نؤرخ فى هذا الفصل للخلافة العثمانية ، ولا نلتبع أصولها البعيدة ، فقد أفاضت كتب التاريخ فى ذلك افاضة واسعة ، ولكن نريد هنا أن نقف بالخلافة فى سنواتها الأخيرة التى اشتدت فيها جهود الغرب للنيل منها ، ثم القضاء عليها ، وأن نعرف ما كان من أمر العرب معها ، وعلاقتهم بها ، لنستطيع أن نبين ما انعكس من كل هذا على شعر شوقي ، ولابد من الإشارة الى أن الخلافة الاسلامية كانت تنحصر فى العرب حتى أيام المتوكل على الله — آخر خليفة عباسى ^(١) — الذى تنازل — كما قيل — عن حقه فى الخلافة الى السلطان سليم الثانى . وقيل أيضاً ان مراداً الأول تسمى بعد فتح (أدنة) .

ومعنى هذا أن لقب الخلافة لم ينحصر منذ أنئذ فى جنس العرب كما كنا نعهد من قبل ^(٢) (ولم يعد يتطلب الانحدار من آل العباس ولا الادعاء بالانتساب لقريش ، إذ أصبح العاهل المسلم الآن يستمد سلطته مباشرة من الله فهو وكيله وليس خلفاً مجرداً للنبي) .

ولا شك أن ذلك التطور فى أمر الخلافة صار يحسب له حسابه ، ومنذ ذلك الحين اهتم السلاطين العثمانيون باتخاذ الألقاب الفخمة التى لم نعهد لها من قبل . فقد صار الخليفة العثمانى ^(٣) (ملجأ السلطة الذى ضاعف سلطنته ، وزاد من سنى حياته وخلافته الى يوم الدين ... وصاحب الجلالة ... وكرسى السلطنة وفخر سلاطين العالم الجالس على عرش الخلافة) .

وبقى الأمر على هذا النحو الى أواخر القرن التاسع عشر حين اهتز مركزها بسبب الفوضى الداخلية التى عمت الامبراطورية من أقصاها الى أدناها ، فلم يستطع خلفاء بنى عثمان أن يسيطروا على تلك الحدود الواسعة لامبراطوريتهم العظيمة ، لا بسبب تعدد الأجناس التى تكونت منها دولتهم الواسعة فحسب ، وإنما بسبب السياسة العقيمة التى استخدمها السلاطين ضد شعوب الامبراطورية كلها ، وما بدا من تعصبهم لجنسهم

(١) كارل بروكلمان — تاريخ الشعوب الاسلامية — ٣ / ٩٣ .

(٢) أدنولد توينبى — الخلافة — ص ٩٩ .

(٣) أدنولد توينبى — الخلافة — ص ١٠٠

التركي ، وإهمالهم للأجناس الأخرى التي تشكل جزءاً كبيراً من امبراطوريتهم ، فى وقت بدأ الشعور القومى فى أوروبا يتحرك بسبب الوعى الذى خلفته الثورة الصناعية ثم الثورة الفكرية بعد ذلك .

ولقد كان من الممكن أن يعجل ذلك الأسلوب العقيم الذى عومل به العرب من قبل العثمانيين بنهاية العلاقة الوطيدة التى كانت تربط بين الجنسين المختلفين ، لولا ما كان يدور فى أذهان العرب من أفكار دينية مغلصمة هى التى أبقت على العلاقة بين العرب والأتراك فى وقت بدا فيه أن أوروبا المسيحية تحاول من جديد إثارة الحروب الصليبية التى نالوا فيها أعظم الهزائم على عهد القائد العظيم صلاح الدين .

ولاشك أن هذا سبب هام دفع العرب الى التضامن مع إخوانهم فى الدين للدفاع عن الاسلام الذى تتهدده الصليبية . ولذلك فان (التعليل الصحيح لخضوع العرب لحكم الأتراك مائل فى الفكرة الدينية ، فقد سرى فى ذهن العرب من أبناء هذه الأقطار أن فى تأييد السلطان .. تأييد للاسلام وهو خادمه وناصره ، وإعلاء لشأن الشريعة .. وهو حاميتها ومؤيدها وجمعاً للكلمة وهو مما يأمر به الدين ويحض عليه فالتفوا حوله وساروا تحت علمه ، وبإيعونه سيداً وإماماً)^(١) .

ومن هنا كان الدين وحده عاملاً قوياً يشد العرب الى الأتراك . والحق أن الأتراك أنفسهم كانوا شديدي الذكاء فى هذه الناحية ، فقد استغلوا هذا العامل أحسن استغلال ، كان عبد الحميد مثلاً (يضيف على حياته الخاصة مظهراً من الزهد والتقشف وأخذ نفسه أخذاً شديداً بمزاولة الشعائر الدينية ، والتظاهر بأدائها يدل على حكمته ودهائه .. وأحاط نفسه بالفقهاء ورجال العلم والدين ، واستخدمهم لتوزيع الصدقات والوعظ والدعوة له . وأسس معهداً لتدريب الوعاظ)^(٢)

ومن أسباب اللجوء الى العلماء الجهل بالدين وغياب اللغة العربية عنهم مما جعلهم يحسون الحاجة الى الارشاد إحساساً صادقاً الى جانب البصر بفوائد ذلك ووقعه على المسلمين ..

ومن هنا فقد صار السلطان العثمانى ، فى نظر الكثيرين ، مثلاً للمسلمين وداعياً

(١) أمين سيعيد — الثورة العرابية الكبرى — ص ١ .

(٢) جورج أنطونيوس — يقظة العالم العربى — ص ١٣٨

للاسلام ، وصار تأييده فى نظرهم واجباً يفرضه الدين ، وصار الالتفاف حول راية الخلافة أمراً ضرورياً تستوجبه طاعة الخليفة .

ومن هنا وقف العرب يؤيدون الدعوة الى الجامعة الاسلامية التى دعا إليها السلطان عبدالحميد ، فأيدها كبار المفكرين المسلمين أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم .

وقد ساعدت على ظهورها الحملات المسعورة لأوروبا الاستعمارية التى شنت حرباً شعواء على الاسلام بغية النيل منه . ولذلك فان عبدالحميد ، رغم ظلمه وجبروته وارهابه ، خليفة المسلمين فى نظر العرب وحامى كيان الاسلام ، ومنقذ دولته من شر الصليبيين .

كذلك أحسن العثمانيون استغلال هذا العامل حتى تقربوا من الناس على أنهم حماة الاسلام ، والواقع أن عبدالحميد كان من أذكى السلاطين العثمانيين فى استغلال شعار الجامعة الاسلامية وقد كان ، كما يقال ، يعرف أين يلقى شباكه . فإن استغلاله للقائمين على أمور الدين كان كافياً لأن يخضع له بقية المسلمين الذين كان الدين هو كل شئ فى حياتهم ، بل كانت طاعة السلطان فى نظرهم هى طاعة للاسلام نفسه .

وكانت كل كلمة تخرج من أفواه العلماء ورجال الدين كافية لأن توطد الأمن والاستقرار فى البلاد ، أو تدعو للالتفاف حول الخليفة . ومن هنا (بذل عبدالحميد جهوداً لاستمالتهم — العرب — فأغرق على معاهد التعليم العربية فيض عطاياه ، وأسبغ على زعماء العرب وكبرائهم مظاهر التكريم وحياهم بالمناصب ، وأنفق أموالاً طائلة على إصلاح مساجد مكة والمدينة وبيت المقدس وزخرفها ، وهى أماكن العبادة الرئيسية للمسلمين ، وجميعها فى حوزة العرب ، واختار جماعة من الجنود العرب وألف منهم فرقة كاملة من فرق حرسه الخاص ، وولى بعض العرب مناصب فى القصر ، وعهد إليهم بالاشراف على كبار موظفيه)^(١) .

وفى كثير من الأحيان استغل هؤلاء السلاطين سذاجة التفكير الدينى (فشجعوا التكايا التى كان يلجأ إليها الدراويش لتأدية طقوسهم الدينية)^(٢) ، وهى لا تمثل الدين

(١) جورج أنطونيوس — يقظة العالم العربى — ص ١٣٩ .

(٢) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثمانى — ص ١٣٢ .

فى شىء . ولذلك لم يكن فى صالح العثمانيين أن تقوم حركة الوهابيين التى دعت الى تطهير الاسلام مما علق به من شوائب ، لأن نجاح هذه الدعوة التى تدعو الى الرجوع الى صفاء الدين لا يتيح لهؤلاء السلاطين استغلال الناس باسم الدين . ولم يحسن السلطان استغلال شىء كما أحسن استغلال موضوع (الجهاد) . فقد وقف السلطان العثمانى يعلن (بصفته خليفة للمسلمين وإمامهم الأعلى أن تركيا — وهى أكبر دولة اسلامية — وفيها مقر الخلافة تحارب دولا مسيحية تريد إخراجها ، وأن الأماكن المقدسة باتت فى خطر وأن واجب جميع المؤمنين .. يدعوهم الى الالتفاف حول راية الدين) (١) .

ومن هنا تظهر (بوضوح تام ، النزعة الدينية الشديدة التى كانت تلازم أعمال الدولة العثمانية وفتوحاتها ، كما تعطى فكرة صريحة عن مبلغ اهتمام سلاطينها بإذاعة أخبار انتصاراتهم على الكفار وفتوحاتهم فى بلاد الكفر . ولا شك أن ذلك يكسبها مكانة معنوية رفيعة ، ساعد على استيلاء العثمانيين على البلاد العربية وعلى دوام حكمهم لهذه البلاد مدة طويلة دون تعب كبير) (٢) .

وهى لا شك دعوة يسوقها المنطق ، وتقتضيها الظروف العصبية التى يتعرض فيها الاسلام الى خطر الصليبية ، خاصة أن المسلمين لم ينسوا حتى أنشد الحروب الصليبية التى لقن فيها صلاح الدين دروساً قاسية للصليبيين ، فاذا كانت هذه هى الأساليب التى اتبعها العثمانيون من أجل الدعوة الى الجامعة الاسلامية وتأييد الخلافة ، فهى أسباب مقبولة فى الظاهر .

وليس هناك ما يدعو الى أن يرفض العرب تلك الدعوة ، وهم على ما هم عليه من إيمان بالاسلام ، وتقديس للدين والدعوة الاسلامية ، ولكن هل كان تأييد السلطان أو الوقوف بجانبه ، أو الجهاد معه من أجل شخص الخليفة أم من أجل دعوته التى كانت تتغلف بغلاف من الدين .

يقول (لوثر) (فنال السلطان عبدالحميد ما ناله من التأييد ليس بسبب من أسباب الخلافة من حيث الاعتبار الدينى بل بسبب الشعور العام الذى ظهر واشتعل فى صدور المسلمين لانشاء الجامعة الاسلامية الكبرى) (٣) .

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العالم العربى — ص ١٤٢ .

(٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية — ص ٢١ .

(٣) لوثر — حاضر العالم الاسلامى — ص ٢٦ .

فالمسلمون إذن كانت تراودهم أحلام الوحدة عن طريق هذه الجامعة التي يرون فيها ملاذهم الوحيد مما تستهدفهم به أوروبا المسيحية ، بل كانوا يرون فى هذه الخلافة رمزاً لجمع الشمل وتوحيد القلوب والدفاع عن الدين وحفظ العقيدة ، وتحقيق سيادة الاسلام . وكانوا يعتقدون أن الدعوة أكثر أهمية فى هذا العصر من أى من العصور التى مرت على المسلمين .

يقول عبدالحميد سعيد : (فإذا كانت الخلافة الاسلامية فى الشرق الأول لازمة للاسلام والمسلمين ، فهى فى العصر الحاضر ألزم منها فى أى عصر مضى ، فإن حالة المسلمين الآن والتطورات الدولية تفرض علينا فرضاً أن نجمع شملنا ونوحد صفوفنا ونتعاون على ما فيه مجد الاسلام والبلاد الاسلامية . ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما يجنيه الشرق الاسلامى من جمع الشمل وتوحيد الصفوف والتعاون تحت راية واحدة هى راية الخلافة الاسلامية . وقد تعلم أوروبا تمام العلم أن فكرة الخلافة تهدد سياستها الاستعمارية وتقضى على أطماعها فى الأمم الاسلامية المستضعفة .. الذى يرعب أوروبا حقاً أو يخيفها ، أن مقام الخلافة يؤدي الى اتحاد الأمم الاسلامية وتعاونها فى سبيل نهضتها . وهذه النهضة إذا قويت باتحاد الأمم الاسلامية تحطمت دونها مطاتع الدول الأوروبية وشهواتها الاستعمارية . ولا ريب أن روح الاسلام يحض على جمع الكلمة وعلى الاتحاد والتعاون والتشاور فى المصلحة العامة)^(١)

ولا شك أن الخليفة العثمانى قد استطاع بأسلوب سياسته الذكية إقناع أمثال هؤلاء الدعاة بأن الجامعة الاسلامية وحدها هى الأمل الأول والأخير للمسلمين ، وهى ملاذهم من شرور المستعمرين المسيحيين ، حتى أن طغيان هذه العاطفة الدينية قد أنساهم فى كثير من الأحيان ما كانوا يلقون من عنف وإرهاب على أيدي السلطان العثمانى ، وأولهم عبدالحميد الذى اتسم حكمه بالظلم والاستبداد كما يروى المؤرخون .

بل إن كثيرين من العرب كانوا يشعرون بثقل وطأة هذا الحكم التركى ويرون فيه استبداداً وتحكماً وظلماً وعسفاً ، ولكن مشاعرهم الدينية كانت تطفى على كل شىء . وكل ما كان يعبر به هؤلاء العرب عن استيائهم ، كلمات من عتاب ، أو قصائد من شكوى الشعراء . وذلك ما سنجدّه ينعكس على شعر بعض الشعراء ومنهم (أحمد

(١) مجلة الهلال - ١٩٣٩ م - عدد خاص - ص ١٤ .

شوقى) . بل أننا وجدنا رواد هذه الفكرة ييكون على ماضاع من تلك الخلافة على أيدي الكمالين ، ويحنون الى عهدها الحميدى رغم ما كان يسوده من عنف وعسف .

ولم تكن تلك المشاعر الدينية تقتصر على الأفراد ، فقد وجدنا الجماعات أو الأحزاب هي الأخرى تدعم تلك الدعوة وتدعو الى التمسك بالخلافة العثمانية والجامعة الاسلامية .

وها هي إحدى الجمعيات القومية التي كان من أول أهدافها الدعوة إلى العروبة ، تدعو إلى التمسك بأهداف الخلافة العثمانية ، فقد ورد في مادة من مواد برنامج جمعية العهد العربية ، أن الجمعية (ترى ضرورة بقاء الخلافة العثمانية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان)^(١) . ولكن الجمعيات الأخرى دعت إلى الانفصال عن العثمانيين .

من ذلك كله يتبين أن علاقة العرب بالخلافة العثمانية ، لم تكن علاقة سلبية تضر بمركز الخليفة ، بل كانت علاقة إيجابية إلى حد بعيد ، وإن لم تؤثر فيها أساليب العثمانيين أنفسهم في الضغط على العرب وإساءة معاملتهم .

لذلك وقف كثير من المفكرين وأولهم الشعراء يندبون نهاية الخلافة على أيدي الكمالين . وبقيت أصداؤها تتردد في قصائدهم ، بل صار لها في نفوسهم ذكريات عميقة لم تمحها الأيام والسنوات ولم تؤثر فيها التقلبات والأحداث .

ثم اتخذ الشعر في الحديث عن الخلافة معاني كثيرة تقصد كلها الى الدعوة لدعم الاسلام والدفاع عنه ، باعتبار أن هذه الخلافة تجمع المسلمين حول راية الاسلام ، وباعتبار أن الخليفة رمز للاسلام وممثل لاتباعه .

والحديث عن الخلافة لا يتعدى موضوع الخليفة إلا في أنه يتجه إلى النظام ويتحدث عنه فيؤيده ويكون إلى جانبه ، ويقف من ورائه كل المسلمين ، يدعمونه باعتباره نظام الحكم الذى يقوم باسم الاسلام . وقد وقف معظم الشعراء الذين تحدثوا عن الخلافة يدعمونها باعتبارها أداة الحكم فى السلطتين الدينية والسياسية . ولم يقف الشعراء ضدها كنظام ، وإنما وقف بعضهم ضد من تولوا أمرها بعد أن رأوا الاساءة توجه عن طريقهم إلى العرب أو الى الاسلام نفسه .

لذلك فإن الخلافة على عهد السلطان عبدالحميد والسلطان محمد رشاد لم يكن فيها

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى — أوائل قيام الدعوة إلى القومية العربية

أى بأس مادامت تمثل فى رأيهم الاسلام ومادامت ترعى مصالح المسلمين ، وتدافع عن بلادهم . ونستطيع أن نقول أن السمة البارزة فى السياسة والأدب هى الجنوح إلى موالاة الخلافة العثمانية .

وشاعرنا (أحمد شوقى) شاعر من الشعراء الذين عرفوا البواعث الاسلامية والتركية فى شعرهم ، وليس من شك فى أن شوقى كان أكثر شعراء مصر تمجيداً للترك وإشادة بالخلافة ، وولاء للخليفة ، ولطالما مجد الترك إذ انتصروا ونوه ببطولتهم ، وضفر أكاليل الغار على هامات قادتهم ، وطالما رجع على الوتر الحزين إذا انزموا ، وبكى الأقاليم والمدن المقتطعة من الخلافة . وكثيراً ما حض على مؤازرتهم فى محنتهم ، كما حث على المسارعة إلى نجدتهم فى نكباتهم .

والواقع أن دفاع الشعراء فى مطلع هذا القرن عن نظام الخلافة ليس إلا استمراراً لما كانت عليه الحال فى القرن التاسع عشر كله . خاصة أن المسلمين لم ينسوا حتى آنئذ جراحات الحروب الصليبية التى شنت فيها الغرب حرباً شعواء على الاسلام . قلم يكن أمام الشعراء إلا اللجوء إلى الخليفة العثمانى الذى استطاع أن يثار هو الآخر من الصليبيين كما ثار من قبله صلاح الدين . لذلك صارت الخلافة مقدسة فى نظرهم .

وشوقى كما أسلفنا كغيره من الشعراء الذين يرون أن المحافظة على الدولة العثمانية أمر هام بعد الايمان بالله والرسول (ص) ، فإنها وحدها (أى الدولة العثمانية) المحافظة لسلطان الدين . وأن الخلافة عز للاسلام وقوتها قوة للمسلمين . وشوقى قبل كل شىء مسلم معتز بالاسلام ، متعلق بأسباب قوته . وهو يجد هذه الخلافة رمزاً للدين وعلماً لجلاله . وأن ممثلى العالم الاسلامى فى ذلك الحين هم الترك الخلفاء على المسلمين منذ بضعة قرون ، وعاصمتهم رمز للرابطة الدينية الروحية ، لذلك تجب مناصرتهم . ولقد كانت الدولة الوحيدة فى كل أوربا التى لاتدين بشكل من أشكال المسيحية ، فالخطر يحيط بها من كل جانب . وما عاطفة شوقى التركية إلا صدى لعاطفته الدينية الاسلامية لأنه يناصر الترك حفاظاً على الاسلام وعلى المسلمين ، وعلى البلاد العربية والاسلامية .

وكانت الأحداث السياسية ، ومطامع الدول الأوربية فى العالم العربى والاسلامى تضطر شوقى إلى أن يربط بين الاسلام وتركيا هذا الربط . ولم يكن يستطيع أن ينحاز عن الخلافة الاسلامية ، أو عن تركيا وهو يعلم أنها الجامعة الاسلامية ، ويرى هو وغيره من الساسة والأدباء أن الدول الغربية تتلطف على تمزيقها واحتلال ولايتها .

وليس أدل على أن العاطفة الاسلامية كانت أوثق الأواصر التي تصل شوقي بالخلافة العثمانية من أنه ابتغى من مدحه السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٥ ثواباً من الله وزلفى إليه ، لا طمعاً فى عطايا السلطان وهباته :

ومازلت (حسان) المقام ولم تزل تلينى وتسرى منك لى النفحات ^(١)
زهدت الذى فى راحتك وشاقنى جوائز عند الله مبتغيات
ومن كان مثلى أحمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات
وقوله :

فلازلت كهف الدين والهادى الذى الى الله بالزلفى له نتقرب ^(٢)
وقوله فى قصيدة أخرى أنه يدافع عن الخلافة حبا لله ولدينه وأنه سيقضى حياته كلها ذائدا عن الخلافة :

عهد الخلافة فى أول ذائد عن حوضها بيراعه نضاح ^(٣)
حب لذات الله كان ولم يزل وهولذات الحق والاصلاح

وقد عبر شوقي عن حبه ومؤازرته للسلطان العثمانى نفسه ، باعتباره ممثلاً للمسلمين ، وخليفة رسول العالمين ، وذلك مرضاة لله وطلباً للثواب :

يا واحد الإسلام غير مدافع أباً فى زمانك واحد الأشعار ^(٤)
أخلصت حبى فى الامام ديانة وجعلته حتى الممات شعارى
لم أتمس عرض الحياة وإنما أقرضته فى الله والمختار

ولما عزل السلطان محمد وحيد الدين عام ١٩٢١ ونقل مصطفى كمال مقر الحكم إلى أنقره تطلع شوقي إليه ليعز الخلافة والاسلام :

يا دولة الخلق التى تاهت على دكن السماء بركتها المسموك ^(٥)
بينى وبينك ملة وكتابها والشرق ينمينى كما ينميك

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٢

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٤٧

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٠٨

(٤) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٩

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٩٨

قد ظننى اللاحى نطقت عن الهوى ودكبت متن الجهل إذ أطربك
لم ينقذ الاسلام أو يرفع له رأساً سوى النفر الأولى دفعوك
نلاحظ فى عبارة (نطقت عن الهوى) ظلالة قرآنية استمدتها شوقى من القرآن الكريم
من قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى)^(١)

والذى يبرز لنا أيضاً عاطفة شوقى تجاه الخديوى الذى يتصل بتركيا اتصال نسب
ودم وسياسة ، وشوقى هو شاعر القصر ، فلا عجب أن يهفو إلى ما يهفو إليه القصر .
(يعلل د . هيكل ذلك فى مقدمة ديوان شوقى بأنه من تعصب شوقى لجنسه
ولصلته ببית الامارة بمصر)^(٢) ولكن الذى يتبع اللون الدينى فى شعر شوقى بصفة عامة
يرى أنه قد رزق الى جانب شاعريته الفذة شفافية دينية حساسة وإن لم يتخل عن التعصب
للترك .

(وقد تبين فى حبه لمصر أنه كان كلفا بها بها أيما كلف ، وفى « فخره بمصر »
أنه كان يجلبل بعظمتها وينسبته إليها)^(٣) ، لم يكن فى زمان شوقى فصل حاد بين
الأصول ترك وعرب . كل ما فى الأمر أن عرب الشام ثاروا بسوء الحكم لكثرة الحروب
واتخذوا من تعصب الترك لتركيتهم سبيلا إلى التعصب لعروبتهم ، ولكن ذلك جاء أواخر
القرن عندما دوت صيحة العرب ، فليس من المعقول أن تغلبه على وطنيته صلة قديمة
بعيدة بالترك ، هذا الى فخاره الكثير بالعرب والعروبة .



(١) قرآن كريم — سورة النجم — آية (٣) .

(٢) مقدمة ديوان شوقى د . هيكل ١ / ١٤ .

(٣) أحمد الحوفى — وطنية شوقى — ص ١٨٠ .

الجامعة الاسلامية :

كانت النزعة الاسلامية غالبية على العصبية الجنسية والرابطة القومية في مصر الى أوائل القرن العشرين — ولذلك لم يكن المصريون يجدون غضاضة في الاعتراف بسلطة الخليفة التركي . وحين ثار عرابي على فساد الحكم في مصر وعلى تغفل النفوذ الأجنبي لم يخطر بباله أن يخلع طاعة الخليفة أو يخرج عليه ، فهو يعرض عليه خطواته ، مستمداً منه السلطة في كل ما يفعل ^(١)

ويذكر (مستر بلانت) في مقدمة برنامج الحزب الوطني الاعتراف بسلطة الباب العالي وبأن (جلالة السلطان عبدالحميد مولاهم وخليفة الله في أرضه وامام المسلمين) ^(٢) ، وقرار الجمعية العمومية الذي صدر بتأييد عرابي عندما عزل الخديوي توفيق يختم بالاعتراف بالولاء للسلطان ، اذ ينص على وجوب (عرض القرار على الأعتاب العالية الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات) ^(٣) .

كانت المسألة الشرقية ملونة عند معظم الكتاب والمفكرين في هذه الفترة بلون ديني يكاد يكون امتداداً للنزاع الصليبي في العصور الوسطى — وقد ساعد على تجمع الشعوب الاسلامية حول راية الخلافة العثمانية ما كان يبدو بوضوح من مطامع الدول الأوروبية في هذه الشعوب جميعاً ، فكانت روسيا لا تنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان وتأليبهم على الحكم التركي ومدّهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين ^(٤) وكانت العرائض تنهال على الملكة فيكتوريا طالبة انقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين ^(٥)

وحين تضطر تركيا الى محاربة روسيا تنهال عليها الامدادات بالمؤن والرجال من سائر الأقطار الاسلامية ، وينبث الدعاة في كل مكان ، يحرضون الناس على الدفاع عن الاسلام ، حتى تبلغ دعوتهم الهند والصين .

ويغذى هذه الفتنة الدينية ما يتردد من أخبار المجازر الوحشية الرهيبة في البلقان ، التي لم ينبج من شرها أطفال المسلمين وفتياتهم ^(٦)

(١) مذكرات عرابي — ١ — ص ٧١ : ٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق — ص ١١٧ .

(٣) الثورة العرابية — ص ٣٩٠ .

(٤) تاريخ الدولة العلية — ص ٣٤١ .

(٥) عبدالحميد ظل الله على الأرض — ص ٧٤ .

(٦) عبدالحميد ظل الله على الأرض — ص ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ — والدولة العلية — ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

ويجيب السلطان عبدالحميد على هذه المجازد البشعة بمجازد أخرى أبشع منها في اخماد ثورة الأرض سنة ١٨٩٤^(١) ، ويكتشف السلطان عبدالحميد في مختتم القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين السياسة الرشيدة التي يستطيع بواسطتها أن يحفظ الامبراطورية العثمانية المتداعية من الانهيار ويصنّون عقدها من الانفراط وذلك بالاتجاه الى تقوية فكرة الجامعة الاسلامية ونشر شعاره المعروف (يا مسلمى العالم اتحدوا) .

كل هذه الأحداث ساعدت على تنمية الشعور بالرابطة الاسلامية وتغذية الاحساس بالخطر الذى يهدد شعوبها أمام شبح الاستعمار الغربى المتربص بها ، فيدعوها الى التجمع حول تركيا ، بوصفها أقوى هذه الشعوب وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك .

والمتأمل لأدب هذه الفترة فى مصر ، شعراً ونثراً يجد ذلك واضحاً كل الوضوح فجريدة العروة الوثقى مثلاً تكتب فى سنة ١٨٨٤ مجموعة من المقالات فى الحث على اتحاد كلمة المسلمين .

ونستطيع وبشكل محدد أن نتبع النزعة الاسلامية فى الشعر فى تلك الفترة فنجدها واضحة كل الوضوح . وليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك ، على اختلافهم وتباين نزعاتهم ، من يخلو ديوانه من شعر فى مدح الخليفة التركى ، والاشادة بفضله على المسلمين ، وحرصه على اعلاء كلمة الدين . وليس فيهم من تخلف عن المشاركة بشعره فى حرب تركيا وأحداثها الجسام ، مثل حرب اليونان وحرب طرابلس وحرب البلقان ، ومثل اعلان الدستور العثمانى وسقوط عبدالحميد . وهم يرون أن الخليفة هو الجامع لشملة المسلمين وانه حين يحارب فهو انما يحارب دفاعاً عن الاسلام وتمسكاً باعلاء كلمته بين الدول التى تتربص به . وهم يدعون الى اتحاد كلمة المسلمين تحت ظل راية الخلافة محذرين من الاصغاء الى دعوة التفرقة التى لا تصيب الأمم الاسلامية جميعاً الا بالشر .

يقول شوقى :

رضى المسلمون والاسلام فرع عثمان . دم فداك الدوام^(٢)
كيف نحصى على علاك ثناء ؟ لك منك الشناء والاكرام

(١) عبدالحميد ظل الله على الأرض — ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) ديوان شوقى — ج — ١ — ص ٣٤٠٣٣٩ .

هل كلام العباد فى الشمس الا أنها الشمس ليس فيها كلام ؟

ايه عبد الحميد جل زمان أنت فيه خليفة وامام

وشوقى من الشعراء الذين علقوا آمالاً بجسماً على تركيا فى تلك الفترة . فهو من الذين أعلنوا ولاءهم لخليفة المسلمين فى شتى المناسبات ، شاكين اليه ما نابهم من ضرر وما نزل بهم من خطب ، راجين تدخله لانقاذهم . بل انهم ليرون ذلك واجباً على خليفة المسلمين الذى نيّطت بعنقه رعاية شؤونهم وحماية دولهم ، يعاتبونه — ان تخلف عنه يقول :

عالى الباب هز بابك منا	فسعينا وفى النفوس مرام ^(١)
وتجلّيت ، فاستلمنا ، كما للنبر	أس بالركن ذى الحلال استلام
نستميح الامام نصراً لمصر	مثلما ينصر الحسام الحسام
فلمصر — وانت بالحب أدري —	بك — يا حامى الحمى — استعصام
يشهد الله للنفوس بهذا	وكفانا أن يشهد العلم

ويقول فى ختام قصيدته الطويلة فى الوقائع العثمانية اليونانية :

وانى لطير النيل لا طير غيره	وما النيل الا من رياضك يحسب
فلا زلت كهف الدين والهادى الذى	الى الله بالزلفى له نتقرب ^(٢)

وكان الشعراء يؤيدون ما يذهب اليه كثرة المصريين من أن الدول الأوربية حين تتذرع بالدين فى طلب حماية الأقليات المسيحية فى البلقان ، فتثير فيها الفتن التى لاتنقطع ، انما تفعل ذلك طمعاً فى اقتسام الامبراطورية العثمانية ، فهم يخفون مطامعهم السياسية تحت ستار الدين .

يقول شوقى من قصيدة له فى الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ م :

هب النسيم على مقدونيا برداً	من بعد ما عصفت جمرأ سواقيها ^(٣)
تغلى بساكنها ضغناً وناثرة	على الصدور اذا ثارت دواعيها
عاشت عصائب فيها كالذئاب عدت	على الأقطيع لما نام راعيها
خلا لها من رسوم الحكم دارسها	وغرها من طول الملك باليها

(١) ديوان شوقى — ج — ١ — ص ٢٤٣ —

(٢) ديوان شوقى — ج — ١ — ص ٦٨ —

(٢) ديوان شوقى — ج — ١ — ص ٢٨٩ .

فسامر الشر في الأجيال رائحها وصبح السهل بالعدوان غاديتها
مظلومة في جواد الخوف ، ظالمة والنفس مؤذية من راح يؤذيتها

ويقول شوقي من قصيدة (ضج الحجيج) التي رفعها الى السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٤ ، شاكياً فيها اضطراب الأمن في ربوع الحجاز بسبب تمرد شريف مكة ، مما أدى الى تهديد الحجاج ، طالباً اليه عدم التهاون في تأديب الثائرين :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأمم^(١)
قد مسها في حماك الضر فاقض لها خليفة الله ، أنت السيد الحكم
لك الربوع التي ربع الحجيج بها الشريف عليها أم لك العلم
وكان الشعراء يثورون على كل ما يمس شعباً اسلامياً حيثما كان ، ويرتفع صوته في كل نازلة تلم بموطن الخلافة .

وينتصر الترك في حربهم مع اليونان سنة ١٨٩٧ ، فيرتفع صوت شوقي بملحمته الحماسية الرائعة التي تفيض قوة ، والتي جاوزت مائتين وخمسين بيتاً .

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيا تضر^(٢)
يشيد الشاعر فيها بانتصار الترك الذين أعلنوا راية الاسلام وصانوا خلافته ، فارتفعت رؤوس المسلمين وكانوا من قبل ينكسونها خجلاً :

رفعنا الى نجم الرؤوس بنصركم وكنا بحكم الحادثات نصوب^(٣)
ومن كان منسوباً الى دولة القنا فليس الى شيء سوى العز ينسب
وقد ردت هذه الحرب الى الناس ثقتهم بتركيا بعد أن كانوا يعتقدون — تحت تأثير الصحف الموالية للاستعمار كالمقطم — أنها قد صارت الى حال من الضعف والانحلال ، لاتستطيع معها مناهضة اليونان ، حتى لقد غالى بعضهم بعد هذا النصر فتصور أنها من أقوى الدول وأنها تقدر على تدويخ أية دولة أوربية .^(٤)

ويعلن السلطان عبد الحميد الدستور ، الذي سوى بين الشعوب العثمانية على اختلاف أجناسها وأديانها سنة ١٩٠٨ ، فيرتفع صوت شوقي بقصيدته :

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٢٦٣ : ٢٦٦ .

(٢) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٧٥ .

(٣) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٣٠ .

(٤) تاريخ الاستاذ الامام — ج ١ — ص ٩١١ — محمد رشيد — مصر ١٩٣١ م .

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميها (١)
وفيهما يبين ما أفاض الدستور على البلاد العثمانية من أمن ، وما كان له من أثر فى
اطفاء الفتنة التى لم تنقطع . بعد أن سكنت اليه الشعوب العثمانية على اختلاف أديانها
وأجناسها ، لأنه سوى بينها بتمثيلها فى المجلس النيابى . ويختم قصيدته بالحث على
السلام ، وبأن اختلاف الأديان لا ينبغى أن يكون داعياً الى الخصام بل يدعو الى الله ،
ويحث على الخير ، وينهى عن الشر .

ثم يلغى عبدالحميد الدستور الذى أصدره كارهاً ، بعد حملة صحفية شنت على
زعماء الاتحاديين وبينت فساد دينهم . ويلجأ زعماء الاتحاديين فى الجيش الى العنف ،
فيقتحمون الأستانة ويحاصرون (يلدز) ، ويشتبكون مع رجال عبدالحميد فى معركة
كبيرة تنتهى بالتسليم . ثم يقبضون على أنصاره ويعدمون منهم عدداً كبيراً يزيد على
الألف . وتجتمع الجمعية العمومية — وكان الاتحاديون هم المسيطرين عليها — فتقرر
عزل السلطان عبدالحميد وتولية السلطان محمد رشاد فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ . وعند
ذاك ترتفع أصوات الشعراء فى مصر بين مشفق على عبدالحميد يرثى له فى بلواه ، وعاتب
عليه سوء سياسته التى انتهت به الى هذا المصير ، وشامت به يشنع بما لقى خصومه على
يديه من نكال .

وللشاعر أحمد شوقى قصيدة مشهورة فى هذا المجال :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور (٢)

وهو يرى فيها أن السلطان عبدالحميد فى موقفه أجدر بالرثاء ، لما أُلْ إليه من ذل
بعد عز ، فهو يعطف عليه فى محنته ، ويحله من نفسه محلاً كبيراً بين شماتة الشامتين ،
ولوم اللائمين :

شيخ المملوك وإن تضعضع	فى الفؤاد وفى الضمير (٣)
نستغفر المولى له	والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه	أولى بباك أو عذير

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٣٥٨ .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٣٦ .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٣٨ .

ولكن ذلك لا يمنعه من أن يلوه ، لتمسكه بالحكم الفردى ، ومحاربته نظام الشورى
الذى :

هو حكمة الملك الرشيد وعصمة الملك الفريير
كما لا يمنعه من الاشادة بالثوار الذين هبوا - كما يقول - لنصرة الحق ، وعرضوا
أنفسهم فى سبيله للهلاك :

يا أيها الجيش الذى لا يالدعى ولا الفخور^(١)
يخفى فان ريع الحمى لفت البرية بالظهور

ويضطرب البلقان أواخر عام ١٩١٢ ، حين تقوم بلغاريا والعرب والجبل الأسود
مطالبة باستقلالها الادارى عن تركيا ، مهاجمة أساليبها الادارية فى الحكم ، وتقوم
اليونان مطالبة بجزر الارخبيل . وتعلن تركيا الحرب على هذه الدول فى ٢٧ أكتوبر سنة
١٩١٢ . فتنشأ اللجان والجمعيات فى مصر لجمع التبرعات وينعقد مؤتمر لندن أوائل
ديسمبر للنظر فى المسألة البلقانية ، ويظل يوالى جلساته حتى ٢٣ يناير . وينتهى الى
قرارات تقبلها الوزارة التركية القائمة وقتذاك ، أهمها التنازل عن أدرنة وعن جزر الأرخبيل .
ويثور حزب الاتحاد على الوزارة فيسقطها ويستأنف القتال . وترد الأخبار الأولى الى مصر
بانتصارهم ، فتقوم مظاهرات الفرح والابتهاج بهذا النصر . وتقبض سلطات الاحتلال على
بعض المحرضين عليها ، ولكن هذا الفرح لا يلبث أن يتحول سريعا الى وجوم ، حين ترد
الأنباء بتقهقر الجيوش وسقوط أدرنة بعد حصار دام خمسة شهور ، أبلت فيه حاميتها أروع
بلاء . ويفزع المسلمون حين تتوالى الأنباء بتقدم جيوش البلقان ، وقد انفتح أمامهم
الطريق الى الأستانة بعد سقوط أدرنة حتى أصبحوا على أبوابها . ويرتكب جنود البلقان
جرائم بشعة فى الانتقام من السكان .

عند ذلك يرتفع صوت الشعب بمواويل فى رثاء أدرنة والبكاء عليها مع ارتفاع
صوت الشاعر شوقى بقصيدة من أروع قصائده ، تزيد على مائة بيت . يندب فيها مجد
الاسلام الزائل ، وقد ذكره تقلص ظله عن شرق أوربا وقتذاك بضياع سلطانه فى غربها حين
طرد العرب من الأندلس ولذلك سمي قصيدته (الأندلس الجديدة) :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام^(٢)

(١) نفس المرجع السابق

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٣٠ : ٢٣١ .

نزل الهلال عن السماء فليتها طويت وعم العالمين ظلام
أزرى به وأزاله عن أوجهه قدر يحط البدر وهو تمام
جرحان تمضى الأمتان عليهما هذا يسيل ، وذلك لا يلتام

ويخاطب شوقى فى هذه القصيدة دعاة الهزيمة من ساسة الترك — وهم من الاتحاديين — الذين كانوا ينادون بأن البلقان مصدر متاعب للدولة ، ويرون الخير فى أن تتخلى عنه وتكفى نفسها هذه المتاعب التى لا قبل لها بها . تلك هى سؤات القوم ، أو هذا بيت الداء ، التخاذل وهم المسئولون عن بلاد المسلمين ، والتفاخر بالماضى ، وهم لا يعلمون طبيعة الزمن . وأقبح من هذا كله ، أن يزيّف عليهم آراءهم فى سياسة الدولة ، وأن يسفه تعريف أمور الحرب والسلام .

يقول شوقى :

زعموك هما للخلافة ناصبا وهل الممالك راحة ومنام^(١)
ويقول قوم : كنت أشأم مورد وأراك سائفة عليك زحام
ويراك داء الملك ناس جهالة بالملك منهم علة وسقام

ويريد شوقى إن يقول إن السلاطين العثمانيين أقل من أن يضطلعوا بميراث الأجداد لأنهم يفتقرون الى ما يقتضيه الملك من العزائم ، وأقبح من هذه الصفات أنهم يعتذرون عن الضعف وسقوط الهمة بمعاذير يأنف منها العقل ويندى لها الجبين ، فكل ذلك وهم ، زينة لهم التهافت والخذلان ، لأن فيه ضياع الخلافة وانفراط عقد المسلمين .

ويندد شوقى بالذين استغلوا الدين فى الانتقام من المسلمين الآمنين والتنكيل بالابرياء من المدنيين ، فارتكبوا باسم المسيحية أبشع الآثام ، والمسيحية منهم براء ، فما كان المسيح عليه السلام سفاكاً للدماء ، ولا كان داعياً لاباحة الحرمات ، وانما كانت دعوته زحمة ومحبة وسلاماً ، يقول :

عيسى سبيلك رحمة ومحبة فى العالمين وعصمة وسلام^(٢)
ما كنت سفاك الدماء ولا امرءا هان الضعاف عليه والأيتام
انت الذى جعل العباد جميعهم رحماً وباسمك تقطع الأرحام
واليوم يهتف بالصليب عصائب هم للاله وروحـه ظلام

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٣١ : ٢٣٢

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٣٤ .

خلطوا صليبك والخناجر والمدى كل أداة للأذى وحمام
ثم يقدم صورا من الجرائم المنكرة التى دفع اليها التعصب الذميم الذى
يبرأ منه كل دين فيقول :

كم مرضع فى حجر نعمته غدا وله على حد السيوف فطام (١)
وصبية هتكت خميلة طهرها وتنائرت من نورها الأكمام
وأخى ثمانين أستبيح وقاره لم يغن عنه الضعف والأعوام
ويحمل الشاعر الترك فى ختام القصيدة تبعة تفريطهم فى هذا الملك الذى أسسه
أجدادهم فضيعوه بتفرقهم وتخاذلهم وما تملكهم من غرور وبتفريطهم فى نشر العلم وإقامة
العدل .

وترد الأنباء بعد هذه الكوارث المتلاحقة ، المثبطة للهمم ، والداعية الى اليأس
بقدم طيارين تركيين الى مصر سنة ١٩١٤ . قبيل الحرب العالمية الأولى وتسقط بهما
طائرتهما فى الطريق ويموتان ، فيعاود المحاولة زميلان آخران يصلان سالمين . فيستبشر
المصريون ويستيقظ فى نفوسهم الأمل بصعود نجم الاسلام وقيام دولته . ويستقبل الشعراء
هذا الحادث الجديد السعيد مهنئين ومعزين ، يقول شوقى :

يا راكب الريح حى النيل والهرما وعظم السفح فى سيناء والحرما (٢)
عاد الزمان فأعطى بعدما حرما وتاب فى اذن المحزون فابتسما
فيأرعى الله وفدا بين أعيننا ويرحم الله ذاك الوفد ما رحما
هم أقسموا لتدنين السماء لهم واليوم قد صدقوا فى قبرهم قسما

كانت العاطفة الدينية اذن غالبية مسيطرة على المسلمين فى مصر خاصة ، وكان
الدين والوطنية توأمين ملازمين ، كما قال مصطفى كامل فى خطبة له سنة ١٩٠٠ (٣)
وقد أعان على تعلق الناس بالفكرة الاسلامية مهاجمة كرومر الدائمة للمسلمين فى بعض
تقاريره وفى كتابيه اللذين ظهرا بعد مغادرته مصر (مصر الحديثة) و (عباس
الثانى) (٤) . وتصويرهم فى صورة المتخلفين ، ومهاجمته للاسلام وتصويره ديناً رجعيّاً
لا يصلح لأن يقوم على أساسه نظام اجتماعى راق . كما أعان على تقوية فكرة الجامعة

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٣٤ : ٢٣٥ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٦٧ .

(٣) مصطفى كامل - ص ١٢٢ .

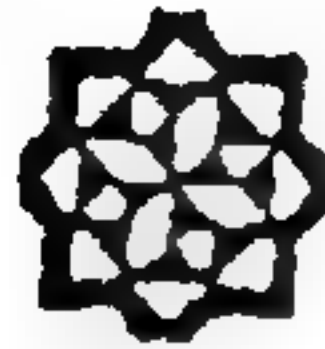
(٤) Modern Egypt ٢ - ١٢٩ - ١٥٤ - عباس الثانى - ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٩ .

الاسلامية مهاجمة الدول الأوروبية للامبراطورية العثمانية باسم الدين حمية لدول البلقان المسيحية ^(١) . مما أثار شعور العطف على تركيا ودعا الى الالتفاف حول الخلافة ، حتى رأينا الشعب على اختلاف طبقاته يسارع الى مد يد المعونة لها فى كل حروبها ومحنتها ، بالمال وبالرجال ، وتقوم فيه مظاهرات الفرح والابتهاج كلما وردت عليه الأنباء بانتصار جيوش المسلمين .

والواقع أن المنادين بفكرة الجامعة الاسلامية والرابطة العثمانية لم يكونوا جميعاً من المؤيدين للنفوذ التركى فى مصر . فمن بين هؤلاء الترك المستعربون أمثال الشاعر شوقى الذين تدفعهم الى تأييده رابطة الدم وعاطفة الحنين الى الأصل ، والشعور بالانتماء للسادة الحاكمين .

إذ يقول شوقى فى مقدمة ديوانه الأول : « أنا اذن عربى تركى يونانى جركسى » ، وهو الذى يقول فى الحرب العثمانية اليونانية :

وزينب ان تاهت وان هى فخرت فما قومها الا العشير المحبب ^(٢)
يؤلف ايلام الحوادث بيننا ويجمعنا فى الله دين ومذهب
وشعره بعد هذا يفيض بالحنين والحماسة الحارة لكل ما يمت الى
التوك بسبب .



(١) تاريخ الدولة العلية — ص ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ .

(٢) الشوقيات — طبعة ١٩١٢ — ص ١٥ .

التيار الاسلامى فى قصائد الخلافة :

لم يكن موقف الشعراء فى مصر بعد الاحتلال ازاء الخلافة ، كما كان من قبله وذلك لأن سيطرة الاحتلال ومحاولة فصم العرى بين الخلافة ومصر وغيرها من الأمم التى تظلمها الراية الاسلامية الموحدة لها تحت سلطان الخليفة ، ثم الفتن التى كانت تحدث بين حين وحين فى ممتلكات الخلافة بأوروبا من الأرمن واليونان ^(١) ، ثم ما وقع فى دار الخلافة من أحداث جسام مثل اعلان الدستور العثمانى ^(٢) ، ثم اعلان خلع السلطان عبدالحميد ^(٣) ، وتولية السلطان محمد رشاد ، ثم موجات التجديد التى غمرت الشرق وكانت تحمل بين طياتها التهوين من شأن الروابط الدينية ورمى المسلمين بالتعصب ... كل ذلك وأمثاله جعل الترابط الروحى يزداد بين المسلمين فى مختلف البقاع وأنطق ألسن شعرائنا بالتعبير عن ضرورة المحافظة على تلك الروابط المقدسة بين مصر والخلافة لأن الروابط قوة للاسلام والمسلمين ولا نكاد نجد شاعراً واحداً من شعرائنا خلا شعره من الاشارة الى مركز الخلافة سواء بالتغنى والاشادة أم بالأنين والألم .

ولقد كان شاعرنا شوقى فى مقدمة أولئك الشعراء الذين تغنوا بالخلافة وتألّموا لما كان يصيبها من كوارث .

وكيفما كانت الدوافع عند شوقى فى الاكثار من الحديث عن الخلافة ، فانه ترك لنا تراثاً ضخماً سجل فيه كثيراً من مظاهر الصراع ، أفرغ فيه عبقريته الشعرية وصو لنا نماذج حية عن أحوال الخلافة فى فترة من الزمن طويلة .

ولقد سجل شوقى فى آخر قصيدة له عن الخلافة ^(٤) الدوافع التى حفزته طوال حياته الى التجاوب مع حوادث الخلافة فى مختلف أطوارها ، ونلمس فيها الصراحة والقوة والوضوح الذى امتاز به شوقى .

وفى الجزء الأول من ديوان شوقى ثمانى عشرة قصيدة تتحدث عن الخلافة ، وفى الجزء الثانى أربع قصائد ، وفى الثالث قصيدة واحدة . ولم يكن حديث شوقى عن الخلافة مقصوداً على تلك القصائد وانما كان يلتبس كل مناسبة يستطيع النفاذ منها الى

(١) سنة ١٨٩٦ وما بعدها .

(٢) يوليو سنة ١٩٠٨ .

(٣) سنة ١٩٠٩ .

(٤) هذه القصيدة لم تنشر بالديوان وهى منشورة بجريدة عكاظ بالمعد ١٢١ ، فى يونيو سنة ١٩٢٦ م .

الحديث عن الرابطة المقدسة التي تربطه بالخلافة ، هذا غير ما جاء فى مدائحه للخديويين ، وفى حديثه عن صدى حوادث أملاك الخلافة ككنبة بيروت سنة ١٩١٢ ولا بد من الاشارة هنا الى أن الخلافة الاسلامية كانت تنحصر فى العرب حتى أيام المتوكل على الله - آخر خليفة عباسي ^(١) - الذى تنازل كما قيل عن حقه فى الخلافة الى السلطان سليم الثانى . وقيل أيضاً أن مراداً الأول تسمى بعد فتح أدرند بلقب خليفة الله .

ومعنى هذا أن لقب الخلافة لم ينحصر آنئذ فى جنس العرب كما كنا نعهد من قبل ولم يعد يتطلب الانحدار من آل العباس ولا الادعاء بالانتساب لقريش ، اذا أصبح العاهل المسلم الآن يستمد سلطته مباشرة من الله فهو وكيله وليس خلفاً مجرداً للنبي (^(٢)) . ولا شك أن هذا التطور فى أمر الخلافة صار يحسب له أمره .

ومنذ ذلك الحين أهتم السلاطين العثمانيون باتخاذ الألقاب الفخمة التى لم نعهد لها من قبل . فقد صار الخليفة العثماني (ملجأ السلطة الذى ضاعف الله سلطنته ، وزاد من سنى حياته وخلافته الى يوم الدين .. وصاحب الجلالة .. وكرسى السلطنة وفخر سلاطين العالم الجالس على عرش الخلافة) (^(٣)) .

وإذن فان (التعليل الصحيح لخضوع العرب لحكم الأتراك ماثل فى الفكرة الدينية ، فقد سرى فى ذهن العرب من أبناء هذه الأقطار أن فى تأييد السلطان .. تأييداً للاسلام وهو خادمه وناصره ، واعلاء لشأن الشريعة .. وهو حاميتها ومؤيدها وجمعاً للكلمة وهو مما يأمر به الدين ويحض عليه فالتفوا حوله وساروا تحت علمه ، وبإيعوه سيداً وإماماً) (^(٤)) .

ومن هنا ينبغى التعرف على هذا التيار الاسلامى فى دائرة السياسة العثمانية (الخلافة) كما انتهت اليه صورتها عند الخلفاء العثمانيين من خلال شعر شوقى ، وأول ما يستوقف النظر فى الموضوع اسناد الخلافة دائماً الى الله ، وهو موقف يبشر بأن ثمة رؤية دينية مقدسة لنظام الحكم ، فللخليفة صلة بالسماء لأنه مسؤول عن الرعية ، وهو خليفة الله فى الأرض ، يحكم بأمره ويستند اليه حكمه ، مما يؤذن بعد ذلك بكثير من ملامح

(١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية - ٣ - ص ٤٣ .

(٢) أرنولد - الخلافة - ص ٩٦ .

(٣) لمصدر السابق - ص ١٠٠ .

(٤) أمين سعيد - الثورة العربية الكبرى - ص ١

القداسة التى انتهت الى فكرة الوراثة ، فتجاوزت المستوى الدينى الى مستوى التأثر بنظم الحكم: فى حضارات أخرى امتزجت بالحضارة العربية وتفاعلت معها أخذاً وعطاء .

ومن الصور الواضحة الدلالة على هذا الاسناد الالهى للخلافة قول شوقى يهنئ الخديوى توفيق بقدوم ولديه من السفر :

يا كافى الناس بعد الله أمرهم
ويامنيل المعالى والندى كرمها
مولاي ، هل لفتى بالباب معذرة
النصر الا على أيديك خذلان^(١)
الريح من غير هذا الباب خسران
فعقله فى جلال الملك حيران

ويقول :

بحمد الله رب العالمينا
وحمداً يا أمير المؤمنين^(٢)

لقينا فى عدوك ما لقينا
لقينا الفتح والنصر المبينا

فالشاعر شوقى يبني نتائجه على مقدمات يسلم بها فى سياسة الحاكم أو منصب الخلافة ، إذ يرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أحله دار الخلافة فقام بأمره ، فهى منحة الهية ، ونتيجة لذلك يحق لنا أن نتصور ما يحق للشاعر أن يطرحه فى شخص الخليفة من صور أهمها ، وراثة الخلافة فى أسرته ولأنه اكتسب تلك الهبة الالهية وهو قادر من خلال هذا كله على توجيه الرعية وحمايتها وهزيمة أعدائها والدفاع عن الاسلام ، مادام قد ملك هذا الأمر المقدس . ولذا يبدو الشاعر مطمئناً الى موقفه بعد التسليم بتلك النتائج .

يقول :

صدقوا الخليفة طاعة ومحبة
يجدون دولتك التى سعدوا بها
وتمسكوا بالطهر من أذياله^(٣)
من رحمة المولى ، ومن أفضاله
ويقول :

الملك بين يديك فى اقباله
عوذت ملكك بالنبى وآله^(٤)
... ..

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٢٠٧ : ٢٠٧ .

(٢) نفس المصدر السابق - ج ١ - ص ٢٨٠ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٩ .

(٤) نفس المصدر - ص ١٦٩ .

أما الخلافة فهي حائط بيتكم حتى يبين الحشر عن أهواله^(١)
ولنستمع الى نداء شوقي المثير اذ يقول :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأمم^(٢)
قد مسها في حماك الضر فاقض لها خليفة الله أنت السيد الحكيم
لك الربوع التي دبع الحجاج بها الشريف عليها أم لك العلم

هنا يقول شوقي : (خليفة الله) يدعو الخليفة بالصفة العظمى ، والولاية على
المسلمين في أمور الدين والدنيا ، خليفة عن الله رب العالمين ، ويشكو الشاعر شريف
مكة الى السلطان عبدالحميد خليفة الله على الأرض ، ويسأله أن ينتقم منه للحجاج ، بما
أساء اليهم وأنزل بهم من أذى .

على هذا النحو تكررت عند شوقي فكرة (العطاء الالهي) في الخلافة ، لذا نجد
الصورة عنده متشابهة والصياغة مكررة تبعاً لتشابه المواقف ، وانعكاساً لاتفاق الرؤى
فيما يتعلق (بالخلافة) بأنبا هبة من الله تعالى للخليفة ، وللرعية بعد هذا أن تتصور ما
للخلافة من قداسة تعززها ارادة السماء وتسندھا ، للشاعر بعد هذا أن يخضع لتصوير
النظام من نفس المنظور والصورة أن تشيع على هذا النحو في شعر شوقي .

وليكن من نتائج ذلك أن يصبح الخديوى عند شوقي خير البشر بلا منازع فهو أفضلهم
على الإطلاق ، ولذا يسمو فلا يقارن به الآخرون ، فهو يتجاوزهم كثيراً حتى في قيامه
بأداء العبادات المفروضة عليه لا يتورع الشاعر في تصويره فريداً فيها ، فهو خير من يؤدي
الشعائر والفرائض ، و (الخديوى عباس الثاني) يظهر في شعر شوقي خير من حج البيت .
فقد مدحه في القصيدة التي نظمها بهذه المناسبة ، ثم تخلص من المدح الى بعض شئون
الدين ، فالخديوى أفضل الناس جميعاً ، يقول للخليفة بأنه (خير زائر) :

الى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات^(٣)
وقد أصبح من الطبيعي تبعاً لهذا التصور أن يلح شوقي على عرض الصور المختلفة

(١) نفس المصدر - ص ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر - ص ٢١١ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٨ - ط ١٩٧٠ ، أما في الطبعة القديمة من الديوان سنة ١٩٤٦ م ، فالبيت
ورد على هذه الصورة :

الى عرفات الله يا بن محمد عليك سلام الله في عرفات

التي يمكن أن يرسمها للتأييد الالهي والمد السماوي لشخص الخديوي ، يقول شوقي في هذه الصورة :

ويوم تولى وجهة البيت ناضراً وسيم مجالى البشر والقسمات^(١)
على أفق بالحجاز ملائك تزف تحايا الله والبركات
ويرسم صورة قدسية للخديو ومدى رفع مكانته إذ أن الرسول (ص) يحيى الخديوي
في مضاجع طهره ، يقول :

يحييك (طه) في مضاجع طهره ويعلم ما عالجت من عقبات^(٢)
وشوقي يرسم لوحته من خلال ثقته في شخص الخديوي الذي ارتبط بكرسى الخلافة ،
حتى ليرى أنه (توفيق الهمي) والله قد اصطفاه من بين الناس كافة ، والله أعلم بعباده ،
فالجميع يحيونه ويثنون عليه حتى الرسل والأنبياء والخلفاء الراشدون ، يقول :
ويثني عليك (الراشدون) بصالح ورب ثناء من لسان رفات^(٣)

فبعد هذا يصبح المد الالهي والعناية السماوية مبرراً لاطلاق كل الصفات التي
يمكن أن يضيفها الشاعر على الخديوي .

وشوقي حينما يهنئ الخليفة سنة ١٩٠٥ لنجاته من القذيفة التي ألقيت عليه ، انما
يهنئه لأنه رمز الرابطة الاسلامية ، ولأن الذين كانوا يقصدونه بالسوء لم يكونوا يقصدون
شخصه وانما كانت ضربتهم الى ذلك الرمز الاسلامي متمثلاً في الخليفة :

هنيئاً أمير المؤمنين فانما نجاتك للدين الحنيف نجات^(٤)
هنيئاً (لطه) والكتاب وأمة بقاؤك ابقاء لها وحياة
أخذت على الأقدار عهداً وموثقاً فلست الذى ترقى اليه أذاة
ومن يك فى برد النبى وثوبه تجزه الى أعدائه الرميات

يرى شوقي ان الله قد كتب النجاة للخليفة (أمير المؤمنين) ، وأن العناية الالهية
أحاطته وحفظته من هذا الشر المقصود ، وعلى نجاته من الأذى بكونه خليفة رسول الله .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق - ص ٩٩ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٩ .

(٤) نفس المصدر السابق - ص ٩٤ .

وقد بالغ شوقي في مدحه لشخص الخليفة وتهنئته حينما شبهه بالنبي ابراهيم الخليل عليه السلام يقول :

تمشيت في برد الخليل ، فخضتها سلاماً وبرداً حولك الغمرات^(١)
استوحى ذلك شوقي من قوله تعالى : (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم)^(٢) .

ويستكمل شوقي صورته (للتأييد الالهي) لشخص الخليفة ليقول أن الملائكة تحمي شخص الخليفة وهم من عند الاله ، يقول :

يحوطك ان خان الحماة انتباههم ملائك من عند الاله حماة^(٣)
ويقول :

فلولاك ملك المسلمين مضيع ولولاك شمل المسلمين شتات^(٤)

لقد أصبح الموقف الديني في نظر شوقي هو الوحيد الذي يحكم الخليفة ويوجهه . فهو القادر على اقامة أركان الدين ، إذ لولا الخليفة لأصبح شمل المسلمين مشتتاً ، فمقومات الصورة عند شوقي تستند على عزة الدين والمسلمين ، ولتكن النتيجة تنعكس على الرعية ، ولتكن ثمرة الوقفة الدينية عامة يجنيها المسلمون من طمأنينة يسعدون بها في ظل حكم الخليفة . وهذه الصورة كثيرة تنتشر في قصائد الخلافة عنده ، صور منها مشاهد دقيقة حين يطرب لنصر الترك في الحرب لأن في ذلك حماية دماء المسلمين في أرجاء الخلافة ، وذلك بفضل يقظة الخليفة وسهره على رعاية شئون رعيته . يقول من قصيدته (تحية للترك) :

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين^(٥)
لقينا في عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المبينا

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٤ - الغمرات : الشدائد والمكاره .

(٢) قرآن كريم - سورة الأنبياء - آية ٦٩ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٤ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - قيلت هذه القصيدة في الحرب بين الأتراك واليونان سنة ١٣١٤ هجرية .

جمعت لنا الممالك والشعوبا وكانت فى سياستها سروباً
فلما هب (جورجيهام)^(٥) هبوباً تلفت لا يصيب له معيناً
افتتح شوقى أبياته (بالحمد لله رب العالمينا)^(١) ، وهو اقتباس من القرآن
الكريم ، وهذا من باب الظواهر الأسلوبية فى الشوقيات بصورة عامة .

والملاحظ فى قصائد شوقى التى قالها فى الخلافة أن (الروح الاسلامى) هو
الرابطه التى تربطها ، فهو فى قصيدته الكبرى عن صدى الحرب اليونانية ، يرى أن
فى نصر السلطان نصراً لدين الله واعلاء للحق :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيا تضرِب^(٢)
وما السيف الا آية الملك فى الورى ولا الأمر الا للذى يتغلب

تحولت صفات السلطان عند شوقى من كرم وشجاعة وبطولة الى ملامح تستند الى
الحس الاسلامى فأصبحت فى جملتها هبة من الله لأمر المؤمنين السلطان الذى (يعلو
الحق بسيفه) ، وهذه محاولة لتحقيق الوظيفة الدينية المطلوبة من الخليفة والتى وضعت
على كاهله فكان عليه أن ينهض بها من خلال أصالتها . وهذا التيار الاسلامى الذى تأثر
به شوقى خدم محتوى قصائد الخلافة إذ وظفه الشاعر فى خدمة غرضه هذا ، وكان هذا
الاختيار عنصراً ايجابياً بالضرورة لأن شوقى طوعه لطبيعة العصر وربط سياسة الخلفاء
العثمانيين بالدولة الاسلامية . وفرض شوقى الفضائل الاسلامية على ممدوحية من
الخلفاء فكانت هذه القيم أقوى وأهم من حيث الدلالة من خلال التقوى ونشر العدالة
وانتصار الدين بالحق ، وتنفيذ تعاليم الدين وحماية الرعية . إذ لم يترك شوقى مناسبة
يستطيع النفاذ منها الى الحديث عن الرابطة المقدسة التى تربطه بالخلافة الا انتهزها
ووظفها .

والشعراء فى تلك الحقبة الزمنية يعلقون آمالاً جساماً على تركيا فهم يعلنون ولاءهم
لخليفة المسلمين فى شتى المناسبات ، شاكين اليه ما نابهم من ضرر وما نزل بهم من
خطب ، راجين تدخله لانقاذهم . بل انهم ليرون ذلك واجباً على خليفة المسلمين الذى
نيطت بعنقه رعاية شؤونهم وحياطة دولهم ، إذ الخليفة بالنسبة لهم ، كركن الكعبة عندما

(٥) جورجيهام : ملك اليونان حينذاك .

(١) قرآن كريم . سورة الناحه - آية ١ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٢ .

يستلمه الحجاج ، مقدس . وكفى أن يشهد الله بهذا المقام الدينى للخليفة ويعلم ما فى النفوس . يقول شوقى :

عالى الباب هز بابك منا	فسعيننا وفى النفوس مرام ^(١)
وتجلت ، فاستلمنا كما للناس	بالركن ذى الجلال استلام
نستمح الامام نصراً لمصر	مثلما ينصر الحسام الحسام
فلمصر - وأنت بالحب أدرى -	بك - يا حامى الحمى - استعصام
يشهد الله للنفوس بهذا	وكفاناً أن يشهد العلم
والى السيد الخليفة نشكو	جور دهر ، أحراره ظلام
وعدو هالنا وعودا كبارا	هل رأيت القرى علاها الجهم ^(٥)

فالخليفة الامام وحده قادر على حماية مصر وعلى نصرة رعيته وحمايتهم من أعدائهم .

وشوقى لا يكف عن البحث والتنقيب عن الحدث الذى يمكن أن يوثق من خلاله مدحه للخلفاء وخلافة الاسلام ، فيتجاوز تسجيل الانتصارات الداخلية والخارجية ، والأحداث ، والجمع بين ماضيها وحاضرها ، وكل هذه تنطلق من منظور سياسى واحد أساسه الدين ويستهدف خدمة الدين والخلافة والذود عنهما . ولأن شوقى كان أكثر شعراء مصر تمجيذاً للترك واشادة بالخلافة ، وولاء للخليفة ، ولطالما مجد الترك اذا انتصروا ونوه ببطولتهم ، وطالما رجع على وتر حزين اذا انهزموا وبكى الأقاليم والخلافة أو الدولة المقتطعة من المدن بكاء الحزين . فقد كان يصور علاقة الحاكم بالمحكوم على هذا النحو ، وبصورة يشغل بها الناس ويوهمهم بتصديقها ، وكأن الحياة أصبحت جهاداً دينياً متعدد الزوايا ، تستهدف فى جملتها وتفصيلها خدمة قضية الدين أولاً ، ثم خدمة الرعية ثانياً ، وليس للأميرين ثالث . على أن شوقى مسلم معتز بالاسلام ، متعلق بأسباب قوته ، وهو يجد هذه الخلافة رمزاً للدين وعلماً لجلاله .

ومن هم الذين مثلوا العالم الاسلامى كله فى ذلك الحين ، انهم الترك الخلفاء على المسلمين منذ بضعة قرون ، وعاصمتهم رمز للرابطة الدينية الروحية ، ومن هنا فان مناصرة للاسلام والمسلمين .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٤٢ : ٢٤٣ .

(٥) الجهم : السحاب الذى لا ماء فيه .

ولسنا نبعد عن الحقيقة اذا مذهبنا الى أن عاطفة شوقي التركية صدى لعاطفته الدينية الاسلامية ، لأنه يناصر الترك حفاظاً على الاسلام والمسلمين ، وعلى البلاد العربية ومصر .

وقد عرفنا أن الأحداث السياسية ، ومطامع الدول الأوربية فى العالم العربى والاسلامى كانت تضطره الى أن يربط بين الاسلام وتركيا هذا الربط .

ولم يكن ليستطيع أن ينحاز عن الخلافة الاسلامية وعن تركيا وهو يعلم أنها الجامعة الاسلامية ، ويرى هو وغيره من الساسة والأدباء أن الدول الغربية تتلف على تمزيقها واحتلال ولاياتها .

وليس أدل على أن العاطفة الاسلامية كانت أوثق الأواصر التى تصل شوقي بالخلافة العثمانية فى أنه ابتغى من مدحه للسلطان عبدالحميد ثواباً وذلفى اليه ، لا طمعاً فى عطايا السلطان وهباته فالشاعر عرض لوحات فنية جديدة لممدوحيه ترك فيها العنان للقيم الاسلامية كى تثبت وجودها فى القصيدة ، فظهر عنده رصيد ضخمة من المعانى والقيم والمثل التى برزت فى شخص الخليفة المسلم بصورة مزدحمة كازدحام خيال الشاعر وعقله بتلك المعانى ، يقول :

ملكت — أمير المؤمنين — ابن هانىء	بفضل له الأبواب ممتلكات ^(١)
ومازلت حسان المقام ، ولم تزل	تلىنى ، وتسرى منك لى النفحات ^(٢)
زهدت الذى فى راحتك ، وشاقنى	جوائز عند الله مبتغيات ^(٣)
ومن كان مثلى أحمد الوقت ، لم تجز	عليه — ولو من مثلك — الصدقات
...	...

سلامى عن هذا المقام مقتصر عليك سلام الله والبركات

ذكر شوقي (حسان بن ثابت) شاعر الرسول (ص) ، فهو هنا يرى مقامه من الخليفة مقام حسان من رسول الله (ص) فى مدحه والدفاع عنه . أما أبو نواس الحسن بن هانىء فكان تأثر شوقي به تأثراً عميقاً ، عارضه فى بعض قصائده بل نسج على منوال قصائده ، وسمى بيته (كرمة ابن هانىء) وقد وحدينه وبين أبى نواس فى قوله (ملكة أمير المؤمنين

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١٧ .
(٢) النفحات : العطايا — مبتغيات : مطلوبات .

ابن هانيء) فهو إنما يريد نفسه . وفي البيت الأخير تحية إسلامية وهي نص في التشهد (عليك سلام الله والبركات) ، وقول الشاعر :

فلا زلت كهف الدين والهادى الذى الى الله بالزلفى له نتقرب^(١)

لم يتردد شوقى فى ترصيع مجموعة الصفات الإسلامية على هذا النحو المتماسك الذى يحدد الدائرة التى يدور فيها ، ومن فضول القول هنا أن أصنفها بأنها دائرة إسلامية فهي ليست سوى ذلك ، فمن المعجم الإسلامى يستمد الشاعر الفاظه (أمير المؤمنين) ، (زهدت) من الزهد فى الدنيا ، (جوائز عند الله) ، (لم تجز عليه الصدقات) ، (عليك سلام الله والبركات) ، (كهف الدين) ، (الى الله بالزلفى نتقرب) وردت بالقرآن الكريم آية بهذا المعنى (مانعبدكم الا ليقتربونا الى الله زلفى)^(٢) .

وربما تتابعت الصورة فى قصائد شوقى التى قالها فى الخلافة واستكمل لوحاته الوصفية للخليفة والخلافة ، والوضع بصورة عامة وبشكل دقيق ، ولكن الموقف يتسع ويضيق فى صور شوقى حين يعرج على شخص الخليفة ، ثم يتجاوزه الى عهد الخلافة ويعود اليه ثانية ، ثم يعود الى الرعية وهكذا فان شوقى يرسم صوراً متميزة من خلال هذا التعدد ولكن النتيجة تبقى دائماً واحدة .

فقله فى قصيدة أخرى أنه يدافع عن الخلافة حبا لله ولدينه ، وأنه سيقضى حياته كلها ذائداً عن الخلافة الإسلامية :

عهد الخلافة فى أول ذائد	عن حوضهما بيراغة صباح ^(٣)
حب لذات الله كان ، ولم يزل	وهو لذات الحق والاصلاح
انى أنا المصباح ، لست بضائع	حتى أكون فراشة ^(٤) المصباح
غزوات (أدهم) ^(٥) كللت بذوايل	وفتوح أنور ^(٥) فصلت بصفاح ^(٥)
ولت سيوفهما ، وبان قناهما	وشبا يراعى غير ذات براح

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٥٨ .

(٢) قرآن كريم - سورة الزمر - آية ٣ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٠٨ .

(٥) النضاح : الدافع الحام .

(٥) الفراشة : حشرة .

(٥) الذوايل : صفة للرماح .

(٥) الصفاح : جمع منقح وهو عرض السيف .

(٥) أدهم : أنور : قائدان تركيان كبيران ، والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام .

وقول الشاعر انه يحب الخليفة ويؤزده بشعره مرضاة لله وطلباً للشواب ، يقول :
يا واحد الاسلام غير مدافع أنا فى زمانك واحد الأشعار^(١)
أخلصت حبي فى الامام ديانة وجعلته حتى الممات شعارى
لم أتمس عرض الحياة وانما أقرضته فى الله والمختار
ونرى شوقى فى رسم صورته ينتهى الى نتيجة واحدة وهى تعظيم شأن الخليفة الامام
وان كان الجانب الدينى يبدو أكثر سيطرة على الجانب العام ، ويرى شوقى ان الله هياً
للخليفة حظه من الدنيا والدين ففضله على غيره من الناس وأجاب دعوته ، وشوقى أخلص
فى حبه لشخص الخليفة لما يصحبه من بركة بحكم الامامة ، واستمد من المعانى
الاسلامية فكرة الامامة التى ترددت أصداؤها قديماً فى العصر الأموى وبالذات عند
(شعراء الأحزاب) .

فالخليفة امام المسلمين ، وهو واحد الاسلام ، كأن خلافته كانت قدراً من عند الله ،
ولذا يدعو له شوقى أن يظل شعاره ، مادام حياً ، فله القدر الوحيد الذى يدافع عن
المسلمين ، وكل هذا تقديس لمعنى الخلافة وصرحها الدينى ، إذ أن الخلافة عندما آلت
لآل عثمان ، صار الخليفة فى نظر المسلمين زعيمهم الروحى الذى يخضعون لنفوذه ،
وامامهم الذى يمثل وحدتهم كما تمثلت من قبل فى صدر الاسلام . وكانت الخلافة هى
جامعتهم الكبرى ، على تباين أجناسهم وتنائى ديارهم ، وتعدد أوطانهم لأنها لم تكن
قائمة على عاطفة وطنية أو عصبية قومية أو رابطة جنسية ، بل كانت قائمة على الاسلام
والايمان به ، رابطة أعلى وأهم وأسمى من أية روابط أخرى .

ويظل رصيد شوقى من فكرة تأصيل أنساب الخلفاء من المنظور الدينى عالياً ،
فالخليفة ينتسب الى البيت النبوى وهو ظل الله على الأرض وهو يشبه الخلفاء الراشدين .
ان قضية الانساب طالت أو قصرت تعد مقدمة لنتيجة واحدة هى أن الخليفة أولى من غيره
فى الحكم عن جدارة نسب ، وأصالة منبت وهو المخلص الروحى لهذه الأمة فى نظر شوقى .
وعاصمة الخليفة التركى هى رمز للرابطة الدينية الروحية . يقول والخطاب هنا للخليفة
محمد رشاد الخامس بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣١ .

الملك بين يديك فى اقباله
...
صدقوا الخليفة طاعة ومحبة
...
عوذت ملكك بالنبى وآله^(١)
...
وتمسكوا بالطهر من أذياله
...
جددت عهد (الراشدين) بسيرة
فكأنك (الفاروق^(٥)) فى كرسيه
أو أنت مثل (أبى تراب)^(٥)
عهد النبى هو السماحة والرضى
بالحق يحمله (الامام) ، وبالهدى
فقد شبه شوقى الخليفة رشاد (بالفاروق) عمر بن الخطاب (رض) حيث كان
عهده عدلا ونعما ، وشبهه بعلى بن أبى طالب فى التقوى وبأن كل الناس تهابه ، وشبه
عهد الخليفة بعهد النبى محمد وبسماحته ورضاه .

وقد استطاع شوقى أن يصوغ حاسته الاسلامية فى كل صفة من صفات الخليفة
والخلافة ، ولم يبعد عن هذا المسلك الفنى حين أورد لنا جزئيات الصورة الدينية نامية
متدفقة فى وصفه مشاهد الطبيعة فى طريقه الى الآستانة قادماً من أوروبا :

يا عرش (قسطنطين) ، نلت مكانة
شرفت بالصدى ، والفاروق ، بل
حامى الخلافة مجدها وكيانها
تاقت (فروق) على العواصم ، وازدهت
(جم الجلال ، كأنما كرسيه
أخذت على (البوسفور) زخرفها دجى
وكواكب الجوزاء تخطر فى الربى
واسم الخليفة فى الجهات منور
لم تعطها فى سالف الأعصار^(٢)
بالأقرب الأدنى فى المختار
بالرأى أونة وبالبتار^(٥)
بجلوس أصيد^(٥) باذخ المقدار
جزء من الكرسى ذى الأنوار)
وتلألأت كمبنازل الأقمار
(والنسر) مطلعته من الأشجار
تبدو السبيل ، به ويهدى السارى

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٦ .

(٥) الفاروق : لقب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

(٥) أبى تراب : كنية على ابن أبى طالب (رض) .

(٥) أسمال : الثياب البالية واحداً سمل .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣٨ : ٣٩ .

(٥) البتار : السيف القاطع .

(٥) الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يميناً ولا شمالاً .

كتبوه فى شرف القصور ، وطالما كتبوه فى الأسماع والأبصار

وقد استخدم التشبيه (كأنما كرسيه) لجعل التعبير مستساغاً من الناحية الدينية ، فكان (كرسى) الخلافة جزءاً من الكرسى ذى الأنوار ، يقصد كرسيه تبارك تعالى ، وهذا الاغراق أو تلك المبالغة لا تغتفر الا أنه يرى أن الخليفة يحمى الخلافة بروح تتفق وروح الحياة والعصر ومتطلباته ، ولكنها تتفق أساساً مع الحكم الإسلامى . أما بلاط الخلافة فهو يتعامل مع الرعية أحياناً بالرأى وإذا اقتضت الحال (بالسيف البتار) لحل المشاكل ، الأمر الذى يتطلب من الخليفة التمتع بمقومات متناقضة يستمد من كل منها ما سيكون أكثر تلاؤماً مع الموقف . فموقفه من الرعية بحاجة الى أن يكون موقف الحامى والمتواضع والقادر وفى نفس الوقت أن يكون الحازم الرادع للظلم وحامى الدين والخلافة ، وهو ما طرحه شوقى فى بيته هذا ، ليبين هذه القوة التى توظف فى خدمة المجتمع الإسلامى :

حامى الخلافة مجدها وكيانها بالرأى أونة وبالبتار^(١)

والعثمانيون خلفاء نشأوا على الآداب الإسلامية فى لغة القرآن أو فى لغتهم التركية التى نقلوا إليها أمهات الفقه والتفسير وحضارة المسلمين وكان العثمانيين بالنسبة لشوقى تاريخ وفتح وحماة اسلام.

وكم كان شوقى يود لو أن الخلافة تعود كما كانت أول العهد بها ، أيام كان يتولاها الصديق ، ويسوسها الفاروق (رضى الله عنهما) :

عودى الى ما كنت فى فجر الهدى عمر يسوسك ، والعتيق^(٥) يليك^(٢)
ويشير شوقى الى ترك الملك المحصور فى أسرة واحدة ، والرجوع الى جعله حقاً يتولاه من تبايعه الأمة ، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين . ولقد اضطلع شوقى بأعباء هذا المنهج فى الدعوة الى هذه النظم المستحدثة فى أمور السياسة والحكم ، فكان يستعين على أهواء الحكم بأصول الاسلام ، ويستهوئهم بالخلفاء الراشدين فيداول القول بين هؤلاء وهؤلاء ليستثير فيهم نخوة التشبه وفضيلة الاقتداء ، يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣٩ .

ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٨

(٥) العتيق : لقب أبى بكر (رضى الله عنه) سمته به أمه أو لجماله ، أو نقول الرسول (ص) من أراد أن ينظر الى عتيق النار فلينظر الى أبى بكر .

فكأنك الفاروق فى كرسية نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله^(١)

... ..

خلافة الله جر الذيل حاضرها بما منحت وهز العطف باديه^{(٢)(٥)}

... ..

خلافة الله فى أحضان دولتهم شاب الزمان وما شابت نواصيها^(٣)

... ..

جددت عهد الراشدين بسيرة نسج (الرشاد) لها على منواله^(٤)

أما الاحتجاج القوى لهذه النظم على سنة العصر وبعد الاطلاع على الحضارات وتألم شوقى لزوال الخلافة وقد عاش فى ظلها طوال شبابه ونضوجه ، وهو كغيره من المسلمين كان يعتبرها الملاذ والمأوى للعالم الاسلامى فى محنته ، غير أنه انصرف عن الفكرة فى الهزيع الأخير من حياته ليكرس أدبه لوحدة العرب وللحريات والدستور فيما بين الحربين العالميتين . وكان (مصطفى كمال أتاتورك) قد شايعه المسلمون فى أنحاء الامبراطورية العثمانية ، وكان شوقى فى جملة المشايعين بل المكابرين به ، أملا فيما هو خير للاسلام ، حتى اذا استتب له الأمر وتمكن من الحكم ، ألغى الخلافة سنة ١٩٢٣ هو وأصحابه (الكماليون) واستقلوا بتركيا دولة علمانية .

تأثر شوقى كغيره من المسلمين وان كان هذا لم يضعف من تقدير الشاعر لعظمة محرر تركيا الحديثة ، وقد انصرف الناس عن (مصطفى كمال) عندما ألغى الخلافة ، إذ بدأ الناس يتذوقون طعم الحرية والديمقراطية ، وشوقى واحد ممن رأى أن الديمقراطية مستحبة لأنها نمط من أنماط الشورى الاسلامية ، إذ قال فى هذه المناسبة قصيدة « خلافة الاسلام » سنة ١٩٢٤ :

عادت أغانى العرس دجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح^(٥)

كفنت فى ليل الزفاف بشوبه ودفنت عند تبلج الأصباح

... ..

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٧٠ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨٨ .

(٥) باديها : المقيم فى البادية .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨٧ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٧١ .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١٩ .

ضجت عليك مآذن ، ومنابر وبكت عليك ممالك ، ونواح

...

نظمت صفوف المسلمين وخطوهم فى كل غدوة جمعة ورواح

لقد ظلت صور المآذن والمنابر والصلاة فى الجمع الجامعة معلماً بارزاً فى الحياة ، رغم العلمانية ونفى شوقى فى نفس القصيدة على شريف الحجاز (حسين بن على) طمعه فى الخلافة مع ضعفه وعجزه عن توليها ومآلاته لأعداء الاسلام فى الحرب العالمية الأولى ، يقول :

لا تبذلوا برد النبى لعاجز عزل يدافع دونه بالجراح
بالأمس أوهى المسلمين جراحه واليوم مد لهم يد الجراح
فتلسمعن بكل أرض داعياً يدعو الى الكذاب أو لسجاح

وقد حرص شوقى وغيره من شعراء عصره على أن يقرنوا الخلافة دائماً بذكر الله تعالى ، وهذا الاتجاه يحترم الخلافة فى استقرار أمورها من ناحية ، ويزيد من حجم الثقة التى ينبغى على الرعية أن تعيش فى ظلها فى شخص الحاكم اذا تعلقت شخصيته من خلال الخلافة بالسماء على هذا النحو المقدس . ويبدو أن الحس الإسلامى كان أكثر سيطرة على خيال شوقى وشعراء عصره ، فكانت مجموعة الصفات التى طرحوها فى المدح لها علاقتها الوثيقة بالدين ، بدليل ما لجأ اليه هو وغيره من الشعراء من اسناد الصفات (الى الله) واسناد معان اسلامية الى اسم الخليفة كأنه مثلاً (طهر) و (طاعة) و (محبة) يقول :

صدقوا الخليفة طاعة ومحبة وتمسكوا بالطهر من أذياله^(١)

وإذا لم يسند الشاعر المعنى على هذا النحو التصويرى ، فانه يسند الأداة الى الله تعالى ، ومركز الخلافة الى الله تعالى ، وكأن الخليفة لا يتبنى الاقضايا الدين ، وهو الخليفة والامام فى وقت واحد وهو يشبه عمر بن الخطاب فى عدله بين الرعية ، يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٦ .

ايه (عبد الحميد) ، جل زمان أنت فيه خليفة وامام^(١)
... ..
(عمر) أنت ، بيد أنك ظل للبرايا ، وعصمة ، وسلام

والخليفة كالكعبة يلمس الناس ركنها بقدسية وجلال ، يقول :
وتجلّيت . فاستلمنا ، كما للناس بالركن ذى الجلال استلام^(٢)

* * * *

وتبرز عند شوقي صيغة مكررة تبني نفس التصور وهو حزنه على الخلافة عند ستوطها
لشور في نفسه ذكريات أليمة لما أصاب الأمة الاسلامية . فلا تكاد صورة تختلف عن أخرى
فكلها ذات طابع ديني اسلامي تؤدي الى نتيجة واحدة لا تتجاوزها ولا تخرج عليها : بكاء
والدساتير الغربية فهو الانتصار على العقول المتشبهة بما لاحجة فيه من القديم وهذا هو
طريق الاصلاح الصحيح .

وشوقي حينما يبشر الخلافة في صدر رسالته بالبقاء والدوام . وبالوراثة للخلفاء انما
يريد البقاء لنفسه . مثله كمثّل المحب يغلبه الخوف على من يحب ، إذ هو ينشد الطمأنينة
ويريد للخلافة الخير ، ولكن تتابع الخلفاء وما آلت اليه الدولة العثمانية وأنظمتها من
ضعف جعل شوقي ينادي وينشد الحرية السياسية من ملابسات الظلم وظروف الطفيلان .
وهذه نقطة تحول عند شوقي ، وتحذر في العمل الأدبي ليعبر عن التحرر في صميم الحياة
فنّادى من هذه الحضارة بالدستور والبرلمان ، وكلا الدستور والبرلمان من عصب
الديمقراطية الغربية ، وأخذ الشعراء ينادون بالدستور والديمقراطية بمفهوم غربي ، ولكن
ليس غربياً خالصاً وانما بتداخل العناصر الاسلامية معها ولاسيما فكرة الشورى التي
تمثلها حالة الخلفاء الراشدين بالذات ، لأن الدستور كان جزءاً من فكرة الأمة وكان
الصراع في العالم العربي والاسلامي صدى للصراع الحضاري بين الشرق والغرب ، واشتد
الاثراك أنفسهم يطلبون الدستور بالسيف فأمر به السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ ، فكتب
شوقي يبارك الخلافة والسلطان والمسلمين جميعاً :

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٤٠ .
(٢) نفس المصدر السابق - ص ٢٤٣ .

بشرى البرية قاصيها وباريها حاط الخلافة بالدستور حاميها^{(١)(٥)}
أما ترى الملك فى عرس وفى فرح بدولة الرأى والشورى وأهليها
وقد يقول بعض النقاد إن شوقى هلل وكبر لدستور صدر فى تركيا ، ولكننا نقول أن
شوقى كان مؤمنا بأن مصر ولاية تركية ومع ذلك فقد كان أول الدعاة اليه فى مصر وفى
هذه القصيدة ذاتها .

والخديويون فى مصر وعلى رأسهم عباس — يومذاك — لا يكادون يختلفون عن
السلطين بطشاً واستبداداً فى الحكم ، وضيقاً بالدستور ، ودعاة الاصلاح :

يا شعب عثمان من ترك ومن عرب حياك من يبعث الموتى ويحييها^(٢)
ما بين آمالك اللأى ظفرت بها وبين (مصر) معان أنت تدريها

وهذه المعانى هى ما يعلمه الأتراك من شغف مصر بالدستور وتطلعهم اليه .
ونظر شوقى الى النظم البرلمانية على أنها نمط من أنماط الشورى أو شكل محمود من
أشكالها يتفق ومبادئ الاسلام وهو هنا يريد الموازنة بين حضارة الغرب وحضارة
الاسلام . يقول فى ذلك :

فانما هى شورى الله جاء بها كتابه الحق يعليها ويفليها^(٣)

....

بنيت على الشورى كصالح عهدهم وعلى حياة الرأى واستقبله^(٤)

....

انى أرى الشورى التى اعتصموا بها هى حبل ربك ، أو زمام بنيك^(٥)

....

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى ، والحقوق قضاء^(٦)

...

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٨٦ .

(٥) حاميها : هو الله تعالى .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٩٠ .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٨٧ .

(٤) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٦٦ .

(٥) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٦٨ .

(٦) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٣٨ .

ويعزز شوقي نظرتَه هذه مؤكداً على المساواة الدستورية بين الأديان أو الملل والنحل في دار الاسلام التي هي دار الخلافة بقوله من قصيدة (الدستور العثماني) :

الدين لله ، من شاء الله هدى لكل نفس هوى في الدين داعيها^(١)
ما كان مختلف الأديان داعية الى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب والرسل والأديان قاطبة خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله أصل في مرادها^(٢) وخشية الله أس في مبانيها

وفي العام التالي لإعلان الدستور ، وبعد التهانى التي انتهت على الخليفة عبدالحميد من شعر الشعراء ، تشتد ثورة حزب تركيا الفتاة ويعطمه النصر بنيل الدستور ... فيخطو الزعماء خطوة جريئة ويخلعون السلطان عبدالحميد بعد أن حكم ثلاثين عاماً ، لم يكن لينال فيها ما ناله من تقدير واحترام وتمجيد الا عن طريق رابطة الدين ، فأمام هذه الرابطة كانت تتلاشى سيئاته وسيئات حاشيته ، وكانت النفوس تكظم غيظها وتصبر على مضض ابقاء على الرمز الدينى ولكن ذلك لم يجد آخر الأمر فكان ما كان من خلعه وتشريده .

ونجد شوقي يشدو بقصيدة يسجل فيها مآثر عبدالحميد ويتألم لما أصابه ويودعه خير وداع ، ثم يبنى الخليفة الجديد (محمد رشاد) ويرجو للخلافة على يديه الفوز والنصر ، وشوقي هنا قد طوع الاختيار مرتين ، مرة لطبيعة العصر وربطه بسياسة الخليفة في الدولة العثمانية ، ومرة ثانية حين فرض على الخليفة الفضائل الاسلامية ، فكانت مجلة القيم الاسلامية أقوى وأهم من حيث الدلالة على شخص الخليفة فيما يتعلق بالعدل والمساواة وتنفيذ تعاليم الدين وحماية الرعية . ومما لا شك فيه أن لهذه الاضافات دوراً في تشكيل محتوى التيار الاسلامى فى قصائد شوقي ، وهنا نلاحظ أن صور الخليفة المسلم تتضح أمام أعيننا . ويبدأ قصيدته بوصف ما كان فيه عبدالحميد من عز وعيش رغيد ونعمة كبرى ومطلعها :

سل « يلدزا » ذات القصود هل جاءها نبأ (البدور)^(٣)
ومنها
عبد الحميد حساب مثلك فى يد الله الففور
سدت الثلاثين الطوال ولسن بالحكم القصير

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٨٩

(٥) مرشد : مقاصد .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١١١ .

وكن شوقى يرى أن الاستبداد الذى يقوم به الفرد تأتى نتائجه العكسية على الذين يحكمهم ويستند لهم فيطيعون فينزلون على ظلمه وطغيانه ، وهو فى قصيدته هذه يلفت نظرنا الى التداخل فى عتابه لشخص الخليفة على استبداده مع مدحه وتعديد مآثره ، وهذه الازدواجية التى تصادفنا واضحة فى أسلوب شوقى ، وهى صدى للموقف الحائر بين الرغبة فى بقاء الخلافة صوناً لوحدة المسلمين والرغبة فى زوال الخليفة لما تردت اليه حال المسلمين بسبب فساد أمور الدولة فى عهده . ان هذا التداخل فى قصائده يتحمل أعباء الموقف السياسى ويكشف عن كثير من معالمه كما يتحمل أمانيه وميوله لبقاء الخلافة ، وهذا ما وضحه شوقى لنا فى هذه الصورة :

لا تستشير وفى الحمى	عدد الكواكب من مشير ^(١)
كم سبحوا لك فى الروا	ح ، وألهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجدا	كسجود موسى فى الحضور
خفضوا الرؤوس ووتروا	بالذل أقواس الظهور

ويريد شوقى ب (الحضور) سجد موسى فى حضرة الله عز وجل ، فهو سجد الخوف والخشوع جميعاً ، وأبعد من ذلك فى الذل هذه الصورة البالغة التعبير ، فمثلهم فى خضوعهم كمثل القوص ، قام فيهم الذل مقام الوتر ، نشد أعلاهم الى أسفلهم ، ورؤوسهم الى أقدامهم ، فتقوست ظهورهم نفاقاً وذلفى الى أن يقول :

أوذيت من دستورهم	وحننت للحكم العسير ^(٢)
وغضبت كالمنصور أو	هارون فى خالى العصور
ضنوا بضائع حقهم	وضننت بالدنيا الفرور
هلا احتفظت به احتفا	ظ مرحب فرح قريير
هو حلية الملك الرشيد	وعصمة الملك الفرير

وهذا قول جارح للسلطان فلا يحن السلطان الى أمر الا اذا كان جبلة فيه ، ولعل شوقى حاول أن يحترز فى الصورة الى حد ما فحاول أن يجد ملمحاً تاريخياً دقيقاً يقف عنده فى عقد المقارنة التى تعتبر صورة تاريخية متأخرة ، فلم يجده الا فى المنصور أو هارون الرشيد . لأن شوقى يسخر بغضبة السلطان بغير حق ، وينسبه الى السفه إذ يضمن بالاستبداد ، والحكم — كله — عرض زائل وغرور .

(١) ديران شوقى — ج ١ — ص ١٢١ : ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٢٢ .

ولم تصدر هذه الملامح الاسلامية من فراغ عند شوقي ، ولكنها كانت صدى أميناً لثقافة الشاعر . اذ تكاثفت طبيعة العصر وأسهمت في هذا التيار الدينى الذى صاحب قصائد الشعراء ومعها تكاثفت ثقافة الشعراء وحرصهم على تسجيل موقفهم من خلال أشخاص الخلفاء وأحداث الخلافة . وهذا هو شأن شوقي فى أسلوبه ، اذ أنه كان يتغذى من رصيد ثقافى واسع وانه خرج يمثل مخزوناً من التراث العربى الفنى ومن المعارف العربية الانسانية . ثم يتجه الشاعر الى تحية (رشاد) ويقول :

المؤمنون بمصري يهدون	ن السلام الى الأمير ^(١)
ويبايعونك يا (محمد)	فى الضمائر والصدور
قد أملوا لبلالهم	حظ الاهلة فى المسير
فابلغ به أوج الكما	ل بقوة الله النصير

الخلافة وضياع مركز الخليفة والعطاء الالهى للخليفة وملاحم البطولة وتشبيه الخليفة بأبطال التاريخ الاسلامى . ويستمد أيضاً من المعانى الاسلامية فكرة الامامة التى ترددت أصداؤها منذ القديم ، ويستمد من تلك المعانى نتيجة يرتبها على أساس المقدمة السابقة وهى ما تمثله طاعة الرعية لهذا الامام الذى هو الخليفة .

وظل شوقي فى قصائد الخلافة محافظاً على شكلها التقليدى ، لتبقى للقصيدة قداستها ومكانتها ، وأفسح المجال للتيار الاسلامى فيها ليأخذ للقصيدة قداستها ومكانتها ، ليأخذ صور متداخلة الجزئيات أحياناً ونامية أحياناً أخرى أو شاملة .

يصور فى قصيدة (الاندلس الجديدة) سنة ١٩١٢ ، بمناسبة سقوط (أدرنة) فى يد البلغار هذه الصور الاسلامية الخالصة :

يا أخت أندلس عليك سلام	هوت الخلافة عنك والاسلام ^(٢)
نزل الهلال عن السماء فليتها	طويت وعم العالمين ظلام
(الهلال) رمز للمسلمين هنا .	

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٠٥ .

(٢) ديوان شرقى - ج ١ - ص ٢٣٨ .

ثم يعود الى الأئين لما أصاب الاسلام يقول :

صبرا أدنة ، كل ملك ذائل يوما ويبقى المالك العلام
خفت الأذان فما عليك موحد يسعى ولا الجمع الحسان تقام
وخبث مساجد كن نورا جامعا تمشى اليه الاسد والآرام
يدرجن فى حرم الصلاة قوائنا بيض الازار كأنهن حمام

والى جانب كل ما ذكرنا عن الخلافة وهذا التيار الاسلامى فى قصائد شوقى ،
يجب أن نسجل حدثاً هاماً ، وهو الموقف الحربى كجزء من سياسة المجتمع العثمانى . وليس
جديداً على الشعر أن يرتبط بالموقف الحربى . فاذا سلمنا بضرورة صدور الشعر أصلاً
مرتبطاً بظروف اجتماعية يصورها ويعكس جوانبها ، ففى مواقف الحرب تبدو الضرورة
لتسجيلها وتوثيقها فنياً ، ومن هنا يصح اعتبار الشعر — من هذا الجانب — وثيقة تاريخية
لها طابعها الخاص الى جانب أهميتها فى توثيق الوقائع أو تعديلها بل الاضافة اليها والتفسير
فيها

وليس جديداً أن نجد حروباً اسلامية اندفع أصحابها الى أمم أخرى فاتحين ،
فلمسألة أصولها وجذورها فى عصر رسول الله (ص) والخلفاء الراشدين ، ولكن الجديد
فى هذا يجب أن يتجه الى رؤية حقيقة التيارات الاسلامية التى أبرزتها قصائد الخلافة عند
شوقى فى جانبها الحربى ، فهل كانت المسألة مجرد حروب ترصد وتسجل ، أم أن
الشاعر كان مدفوعاً بدوافع دينية لهذا الرصد وهى دوافع أسهمت فى خلق تجارب ،
وصياغة انفعالات من خلال هذا التيار الاسلامى ؟

وأول ما يبدو لنا فى الموقف الحربى شخص الخليفة نفسه . فهو قائد يتحمل أعباء
القيادة كما يتحمل أعباء الخلافة . وهو مسئول عن رعاياه وعن دين الله فى حالتى السلم
والحرب ، ومن هنا يظهر اللاحاح المتكرر على تصوير القيادات الحربية ، والأدوات
القتالية وشوقى لا ينكر ناموس الحياة ، ولا ينتصر لخلقه فى المواعدة . على مطالب الدول
فى الحرب وانتظام الأمور ، يقول :

دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم والحرب أس نظام الكون والأمم^(١)

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٠٢ .

لقد فاخر بالسيف وأشاد بالصارم البتار وأدخل صور الحرب وقاموس الفاظه في وصف معارك الممدوح :

بسينفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيا تضرِبُ^(١)
وما السيف الا آية الملك في النورى ولا الأمر الا للذى يتغلب
وما زال فجراً سيف (عثمان) صادقاً يساريه من عالى ذكائك كوكب
...
وهاب العدا فيه خلافتك التى لهم مأرب فيها ولله مأرب

* * * *

ويقول :

ومملكة (اليونان) محلولة العرى رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب
هددت أمير المؤمنين كيانهـا بأسطع^(٢) مثل الصبح لا يتكذب
فالمشهد حربى فى جملة ، والسيف أداته القتالية توظف لخدمة الدين وتخليصه
من الشوائب ، وتنتهى الصورة بهزيمة الذليل الكافر (مملكة اليونان) ، وهى هزيمة
يوازيها فى الجانب الآخر انتصارات العثمانيين . فهو مدح عند شوقى ينتهى الى نتيجة
تلخص قضية وموقفاً ، وهو أن الأمة تدفع عن نفسها الشر وترد كيد الأعداء بالحرب .
وتبدو الوقائع الحربية فى قصائد الخلافة واضحة عند شوقى ، إذ يتخذ منها مجالا
لابراز مكانة الخلفاء على نحو جديد أساسه البطولة والنجاح فى القيادة الحربية ، وما
تنتهى اليه الصورة من استحضار مواقع بعينها من التاريخ كموقعة (بدر) اذ انتصر
المسلمون وهم قلة فيها ، وما كان لها من أثر عميق فى نفوس الناس . ثم ذكر رجالات
الاسلام مثل خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي ، وماله من صوت بعيد فى الحروب
الاسلامية ، وشوقى يشيد بانتصار الأتراك فى الحرب والسياسة فيقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك^(٣) جدد خالد العرب^(٤)
صلح عزيز على حرب مظفرة فالسيف فى غمده ، والحق فى النصب

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٢ .

(٢) أسطع : سيف شديد السطوع .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٥٦ .

(٤) خالد الترك : يراد به الغازى معطى باشا كمال

(٥) خالد العرب : خالد بن الوليد وله فى الحروب الاسلامية صوت بعيد .

حذوت حرب (الصلاحيين) ^(٥) فى زمن	فيه القتال بلا شرع ، ولا أدب
لم يأت سيفك فحشاء ، ولا هتكت	قناك من حرمة الرهبان والصلب
...	...
للتترك ساعات صبر يوم نكبتهم	كتبن فى صحف الأخلاق بالذهب
...	...
بالفعل والأثر المحمود تعرفها	ولست تعرفها باسم ولا لقب
...	...

ويقول

يوم (كيدر) فخيّل الله راقصة	على الصعيد ، وخیل الله فى السحب ^(٥)
غر ، تظليها غراء ، وارفه	بدرية ^(٥) العود ، والديباج ، والعذب ^(٥)
...	...
تحية - أيها الغازى - وتهنئة	بآية الفتح تبقى آية الحقب

ويقول أيضاً

المظهرين لنور (بدر)^(٥) بعدما خيف المحاق^(٥) عليه والاضلام^(٥)
وقد أتاح هذا الموقف لشوقى تصوير المعارك وأدواتها القتالية وأساطيل العدو ،
أثناء تهنئته للفاتح بهذا النصر ، إذ أن «الفتح» لفظ دينى أطلقه المسلمون على غزوهم
للبلاد ، فقد كانوا يعمرّون ما يفتحون ولا يستعمرون . وأهل البلاد إذا أسلموا أصبحوا منهم
وإذا لم يسلموا لهم حقوق مقررة ومقدسة ، وأصبح شوقى شاهد العصر على دوافع الخلافة
لهذه الحروب ونتائجها .

وليس هنا مجال حصر تلك المعارك التى خاضها الخلفاء وغيرهم من الأبطال ولكن
المشهور منها فى قصائد شوقى يفرض نفسه ويصبح لحناً حماسياً ذا طابع اسلامى فيترنم به

(٥) الصلاحيين : نسبة للبطل صلاح الدين الأيوبي .

(٥) خيل الله : الملائكة .

(٥) بدرية : نسبة الى معركة بدر .

(٥) العذب : خرق الأثوية .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٢٧ .

(٥) (بدر) : اسم الغزوة المشهورة فى صدر الاسلام ، سميت باسم المكان الذى وقعت فيه .

(٥) المحاق : قيل هو آخر الشهر حيث يحرق نور التمر وقيل هو ثلاث ليال من آخره .

الناس ، يقول :

ومن شرف الأوطان ألا يفوتها حسام (معز) ، أو يراغ مهبذب^(١)

وهكذا تتعدد الأحداث ويتضخم معها رصيد المعارك وصورها أمام شوقي وهو ينشد الشعر فى الخلقة مما تتجاوز المستوى الضيق المحدود لينطلق الى مستويات أخرى أكثر اتساعاً وشمولاً . فقد يصبح محور إعجابه بالأثرak من خلال المد الاسلامى الى أنحاء بعيدة واتساع الممالك المفتوحة من الهند الى الصين ، يقول :

وأرج الفتح أرجاء الحجاز ، وكم	قضى الليالى لم ينعم ، ولم يطب ^(٢)
وأزينت أمهات الشرق ، واستبقت	مهارج الفتح فى المؤشيه القشب
هزت (دمشق) بنى (أيوب) ، فانتبهوا	يهنئون (بنى حمدان) فى (حلب)
ومسلمو (الهند) و (الهندوس) فى جذل	ومسلمو (مصر) والأقباط فى طرب
ممالك ضمها الاسلام فى رحم	وشيجة ^(٣) ، وحواما الشرق فى نسب

ويقول والخطاب هنا للخليفة (محمد رشاد) :

هز اللواء بعزك الاسلام	وعنت ^(٤) لقائم سيفك الأيام ^(٥)
وانقادت الدنيا اليك ، فحسبها	عذرا قياد ^(٦) أسلست وزمام
يا ابن الذين إذا الحروب تتابعت	صلوا ^(٧) على حد السيوق وصاموا ^(٨)
عشرون خاقانا ^(٩) نموك ^(١٠) وعشرة ^(١١)	غر الفتوح خلائق ^(١٢) أعلام

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٤٤ .

(٥) رحم وشيجة : المتصلة القوابة .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٦٦ .

(٥) عنت : خضعت .

(٥) قياد : ما يقاد به ويستعمل بمعنى الطاقة .

(٥) زمام : مقود البعير .

(٥) صلوا وصاموا : أى لمزمهما كما يلزم المتعبد صلاته .

(٥) خاقان : هو ملك من ملوك الأتراك .

(٥) نموك : دفعوك بالانتساب إليهم .

(٥) عشرة فر الفتوح : أى ونماك أيضاً عشرة خواقين ، امتازوا بالفتح والتوسع فى الملك فاقتصروا بوصف

الفاحين فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان .

(٥) خلائق : جمع خليفة .

ولعل فى الصور المتقدمة تتويجاً للموقف الدينى فى حديث الحروب وتصوير
المواقف الحربية من هذه الرؤية الدينية ، فالمزج واضح بين صورة الخليفة كخليفة ،
وصورته كقائد يمكن أن تمتد فتوحاته الى الهند ومصر وغيرها من الممالك من أقصى
الشرق الى أقصى الغرب ، وقد يحطم أعظم امبراطوريات عالمه . وهو انتصار مرهون أولاً
وأخيراً بإرادة الله ، وهو جزء من فضله تعالى على خليفته فى الأرض .

والى جانب تسجيل أبعاد الفتح العثمانى الاسلامى على هذا النحو الجغرافى
الدقيق ، ينتشر الفكر الحربى الجديد مع الفتوحات وهو فكر يحرص شوقى على أن
يسجله وهو حروب الخلافة ضد المتمردين فى جميع بقاع الأرض وتصوير هذه الحروب
على أنها جهاد دينى خالص فى سبيل الله والدفاع عن الاسلام ، يقول :

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين^(٢)
لقينا فى عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المبينا

• • • •

هم شهروا أذى ، وشهت حربا فكنت أجل اقداً وضرباً
حدودهم شرقاً وغرباً وطهت المواقع والحصونا

• • • •

جمعت لنا الممالك والشعوبا وكانت فى سياستها ضروبا
فما هب (جورجيه) هبوا تلفت لا يصيب له معينا

• • • •

أنالوا الملك فتحاً أى فتح وشادوا للخلافة أى صرح
وجاءوا ربهم منهم بذبحر تقبله ، وكان به ضنينا

• • • •

بنى عثمان ، انا قد قدرنا فتوحكم الكبار وقد شكرنا
سألنا الله نصراً فانتصرنا بكم ، والله خير الناصرينا

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨٠ - قيلت فى الحرب بين الترك واليونان

هنا أشار شوقي الى الذبح الذى فدى به (اسماعيل) عليه السلام ، فكأنه الشهيد فداء لوطنه (وجاءوا ربهم منهم بذبح) . ولا أدل على انتشار هذا التيار الاسلامى فى قصائد الخلافة الحربية من تكرار تلك الصيغ الدعائية التى ردها شوقي (سألنا الله نصراً) ، (والله خير الناصرينا) وهذه الصيغ تحمل حماسة الشاعر — إذا جاز لنا التعبير — وصدق موقفه من أصحاب الحروب بحكم الانتماء العرقى من ناحية ، والدفاع الدينى من ناحية أخرى .

وقد اتخذ شوقي قصائد الخلافة لتقوم بهذا الدور التسجيلى للحروب العثمانية ، واتخاذ هذه الحروب وسيلة للدعوة الى الجهاد ، والى جانب ذلك هناك دور آخر قامت به هذه القصائد لا يقل فى أهميته وخطره عن الادوار الأخرى وهو اتخاذها وسيلة لانتقاد الخليفة والرغبة فى التخلص منه أو عندما يسقط ، بصرف النظر عن نتيجة هذا الموقف وهل سينتهى الى ما يطمناه الشاعر أم لا . وهذا مانجده كثيراً عند شوقي فى قصائده مما يعتبر من باب الظواهر الاسلوبية وهو المزاجية بين المدح والذم فى آن واحد ، وهذا ما حدث فى العام التالى لاعلان الدستور العثمانى حينما خلع السلطان عبد الحميد بعد أن حكم ثلاثين عاماً لم يكن لينال ما ناله من تقدير واحترام وتمجيد إلا عن طريق رابطة الدين ، فأمام هذه الرابطة كانت تتلاشى سيئاته وسيئات حاشيته وكانت النفوس تكظم غيظها وتصبر على مفضى ابقاء على الرمز الدينى . ولكن ذلك لم يجد آخر الأمر فكان ما كان من خلعه وتشريده ، ومع كل ما قاله شوقي من ذم بصيغة المدح فى مهاجمة السلطان عبد الحميد فانه لم يكن جريئاً كالشاعر (أحمد نسيم) وقد يكون لدم شوقي التركى أثره فى ذلك . بقول :

شيخ الملوك وان تضع	فى الفؤاد وفى الضمير ^(١)
نستغفر المولى له	والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه	أولى بباك أو عذير
ونصونه ، وتجله	بين الشبماتة والنكير
عبد الحميد حساب مث	لك فى الملك السفور
سدت الثلاثين الطوا	ل ، ولسن بالحكم القصير
...	...

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١٢١ .

ويقول :

ان القضاة إذا رمى دك القواعد من (ثبير)^(٥)
صور الشاعر تعرف القضاء بدك القواعد ، وكل أمر عظيم بثبير وهو اسم جبل وفيه استعارة
تمثيلية .

وبذلك كانت قصائد الخلافة عند شوقي سجلا حافلا لتطورات الأمور في الخلافة في
فترة من الزمن ، وقد لاحظنا الصورة واضحة لما تكنه نفس شوقي من حب خالص للاسلام
وخلافة الاسلام ، وان تغاضى كثيراً عن سيئات عبدالحميد ، وتألم لما أصاب الخلافة من
كوارث يقول :

خلت^(٦) القرون كليله ، وتصرمت^(٧) دول الفتوح كأنها أحلام^(٨)

وصور شوقي هذه العاطفة الجياشة والذكريات الأليمة لما أصاب الأمة الاسلامية
في سقوط الأندلس التي أدمت قلوب المخلصين ، يقول :

يا أخت أندلس عليك سلام هت الخلافة عنك والاسلام
نزل الهلال عن السماء فليتها طويت وعم العالمين ظلام
(الهلال) يستخدمه شوقي رمزاً للاسلام ، والصليب رمزاً للمسيحيين .

ويقول شوقي :

صبرا أدرنه^(٩) ! كل ملك زائل يوما ، ويبقى المالك العلام^(١٠)
خفت^(١١) الأذان ، فما عليك موحد يسعى ، ولا الجمع^(١٢) الحسان تقام
وخبث^(١٣) مساجد كن نورا جامعا تمشى اليه الأسد^(١٤) والآرام^(١٥)

(٥) ثبير : جبل معروف بمكة (وهو الذي صعد فيه النبي (ص) فرجف به ، فقال اسكن ثبير ، فانما عليك
نبي وصديق) وقد روى هذا في حراء ، وهذا هو ثبير الثبيرة - إذ هناك أربعة أثيرة بالحجاز .

(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٣١ .

(٧) خلّت : مضت .

(٨) تصرمت : انتقضت .

(٩) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٣٨ .

(١٠) صبرا أدرنة : أصبرى صبرا .

(١١) العلام : هو الله سبحانه وتعالى .

(١٢) خفت : سكن وانتقطع ، الموحد : من يعتد أن الله وحده لا شريك له ولا ولد ، الجمع : هي صلوات
الجمع الأسبوعية .

(١٣) خبت : سكنت ، الأسد : هم الرجال الذاهبون الى المساجد ، الآرم : النساء الذاهبات الى المساجد .
والرئم : الظبي .

... ..
جرحان تمضى الأمتان عليهما هذا يسيل ، وذاك لا يلتام

ونلاحظ في البيت الأخير (جرحان تمضى ...) غموضاً في المعنى إذ أنه استخدم الأجمال في بداية البيت ثم أخذ يفصل في المعنى ولكن هذا التفصيل لم يضيف شيئاً الى المعنى وهو وان جاء بعد الأجمال إلا أنه ظل غامضاً .

شوقى والمجتمع الاسلامى :

وتتسع نظرة شوقى الاجتماعية حتى تشمل العالم الاسلامى بأسره فيتعرض لبعض العيوب الاجتماعية التى كان يعاني منها العالم الاسلامى فى عصره ، ويبدو ذلك مثلاً فى قصيدته (مرحباً بالهلال) " حيث يتعرض الى مدح الهلال والثناء عليه ، ثم يوجه اليه التحية ، ثم ينصح المسلمين ضارباً لهم المثل الأعلى بأسلافهم الأمجاد ، والقصيدة كلها فى نطاق شعره الاجتماعى الاسلامى حيث يتعرض الى بعض العيوب التى يشقى بها العالم الاسلامى فى ذلك الوقت وما عدا هذا الأساس لأبيات هذه القصيدة فهو اما تقديم للغرض الأساسى ، واما وسائل يعتمد عليها لتأييده رأيه ، وتقوية نصحه .

ولابد أن نذكر أن لشوقى قصائد أخرى تناولت الجانب الاجتماعى فى العالم الاسلامى تم ذكرها فى مواضع أخرى من هذا البحث .

ويبدأ شوقى قصيدة (مرحباً بالهلال) بمقدمة يتخذها مدخلاً لغرضه الأسمى ، فهو يحى الهلال ويرحب به أجمل ترحيب ، ويذكر منزلته السامية ، ومكانته فى القلوب وفى النفوس ، وكيف أنه جاء مبشراً بالعيد الهجرى لسنة ١٣٢٩ هـ ، وكيف اتفق هذا مع مجيئ عيد الميلاد ، وقد أدى الشاعر لكل من العيدين ما يستحقه من العناية والترحيب ، ومن الثناء والتعظيم .

(٥) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين والثانى خروج الأندلس من أيديهم والأمتان هما العرب أيام نكبة الأندلس وترك أيام ضياع أدرنة .
(٥) الهلال يتوسط علم الدولة العثمانية فى مقابل الصليب عند النصارى فى أعلامهم .

يقول :

العام أقبل قم نحى هلالا يطوى كتاب الكائنات لقارىء
ملك السماء ، فكان فى كرسية تتنافس الآمال فيه ، كأنه
والشمس تزلف عيدها ، وتزفه عيد المسيح ، وعيد أحمد ، أقبلا
كالتاج فى هام الوجود جلالات^(١) يزن الكلام ، ويقدّر الأقوالا
بين الملائك والملوك مثالا ثغر العناية ضاحك الآمالا
بشرى بمطلعه السعيد ، وفالا يتباريان وضاءة وجمالا
وشوقى فى تعظيمه للهلال يصوره بعدة صور ، فتارة هو كالتاج قد ألبسه الوجود فزاد
به جمالا ، وتارة هو عنوان على كتاب الكائنات ، وتارة هو ملك السماء يجلس على
كرسيه بين الملائكة وبين الملوك وهو أكثرهم وضاءة وجلالا .

ثم يصل شوقى الى بيت القصيد من حديثه حين يزجى النصح الى أمم الهلال مبيناً
ما يراه فيهم من عيوب ومثالب ، وما ينبغى عليهم أن يأخذوا أنفسهم به اذا أرادوا أن
يكونوا من المنتسبين حقاً ، فالاسلام يرفع العامل ويسود المقدام والفعال ، ولكن
المسلمين قد ظلموه بتفريطهم وكسلهم ، حيث أتاحوا لأعداء الاسلام أن يطمعوا فيه وأن
يأخذوا عليه المعاييب والمثالب .

يقول الشاعر :

أمم الهلال ، مقالة من صادق والمتلطف فى النصح ، غير مجادل
من عادة الاسلام يرفع عاملا وظلمته السنة تؤاخذ بهكم
والصدق أليق بالرجال مقنالات^(٢) والنصح أضيع ما يكون جدالا
ويسود المقدام والفعال وظلمتموه مفرطين ، كسالى
وشوقى لا يرضى حتى يضرب لأخوانه المثل الصالح ، فيذكر لهم الاسلاف الأمجاد
لكى يتخذوا منهم القدوة والمثل المحتذى . يقول شوقى :

هذا هلالكم تكفل بالهدى هل تعلمون مع الهلال ضلالات^(٣)

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨٥ : ١٨٦ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨٧ .

(٣) نفس المصدر السابق .

سرت الحضارة حقة في ضوءه ومشى الزمان بنوره مختالا
وبنى له العرب الأجواد دولة كالشمس عرشا ، والنجوم رجالا
رفعوا له فوق السماك دعائماً من علمهم ومن البيان ، طوالا
الله جل ثناؤه بلسانهم خلق البيان وعلم الأمثالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارد الأخلاق منه تعالى
والشاعر يقصد بالهلال هنا الدين الاسلامي لأن الهلال رمز له وإشارة إليه ، ونلاحظ

أن شوقي يكرر وصف المسلمين الأوائل بالغيث في بيتين متتاليين هما :

كالرسل عزما ، والملائك رحمة والأسد بأساً ، والغيوث نوالاً^(١)
عدلوا ، فكانوا الغيث وقعا ، كلما ذهبوا يميناً في الوري ، وشمالا
ومراده بالوصف الأول أن هؤلاء المسلمين كانوا كراما يبالغون في الجود والعطاء ،
أما مراده في الوصف الثاني فهو أنهم كانوا خيراً وبركة في كل بقعة يحلون بها ، ينشرون
العدل والمساواة ويبثون تعاليم الدين الاسلامي السمحة الكريمة ، فلا تكرار لأن وجه
الشبه مختلف .

ولقد كان المسلمون الأولون على هذه الحالة التي وصفها شوقي ، بينما كان غيرهم
في هذا الوقت يضربون في ضلالة عمياء ويتيهون في جهالة . يقول شوقي :

أيام كان الناس في جهلاتهم مثل البهائم ، أرسلت ارسالاً^(٢)
من جهلهم بالدين والدنيا معا عبدوا الأصم ، وألهوا التمثالا
ضلوا عقولا بعد عرفان الهدى والعقل ان هو ضل كان عقلاً^(٣)
حتى إذا انقسموا تقوض ملكهم والملك ان بطل التعاون زالا
لو أن أبطال الحروب تفرقوا غلب الجبان على القنا الأبطال

وكأنما يريد شوقي بهذا أن يضرب للمسلمين المثلين ، الأعلى الذي هو جدير
بالاتباع والاحتذاء ، والأسفل الذي هو جدير بالاطراح والأعراض ، لتكون ميزة المثل
الأعلى أكثر وضوحاً وتيمناً لدى أخوانه المسلمين ، فذكر لهم مثلاً أعلى يتمثل في آبائهم
المسلمين السابقين ، ومثلاً على النقيض من ذلك يتمثل في غير المسلمين الأولين ممن
عاصروهم وعاشوا في زمانهم .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٨٧ .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٨٧ .

(٣) العقول : في الأصل يشد به البعير ، وهنا بمعنى التيد .

اتحاد المسلمين والأقباط :

ومن الدعوات الإصلاحية التي سجلها شوقي في شعره الديني الدعوة الى اتحاد عنصرى الأمة من المسلمين والأقباط . ويبدو ذلك فى مواضع كثيرة من شعره .

فشوقى فى قصيدته (يا شباب الديار)^(١) يدعو الى ذلك ويقال أن هذه القصيدة كانت أول دعوة الى هذا الاتحاد ، وأنه كان لشوقى فضل تدبير الخيط الأول فى نسيج الترابط والاتحاد بين المسلمين وبين المسيحيين فى مصر^(٢) .

وشوقى يرى أن كل من يعيشون على ضفاف النيل هم أبناء لمصر ، لا فرق فيهم بين مسلم وقبطى . كما يرى أن كل من يدعى أن الأمة فى مصر هى أمة الأقباط ، أو هى أمة المسلمين فقط ، فانما يتعلق بخيال ويدعو الى محال ، فالتاريخ يشهد بأن الكل مصريون ، النيل أبوهم ، وهم طينه وماؤها ، وفوق هذا فالكل بنو آدم وبنو الانسانية ، يقول شوقى :

يا بنى مصر ، لم أقل أمة	القبط ، فهذا تثبت بمحال ^(٣)
واحتيال على خيال من المجد	د ، ودعوى من العراض الطوال
انما نحن مسلمين وقبطا	أمة وحدت على الأجيال
سبق النيل بالأبوة فينا	فهو أصل ، وأدم الجد تالى
نحن من طينه الكريم على الله	ومن مائة القراح الزلال

ثم يتوجه الشاعر الى الأقباط يرميهم بالأهمال والتقصير فى حقوق الدين وفى حقوق الوطن مثلهم فى ذلك مثل المسلمين ، فيقول :

مر ما مر من قرون علينا	دسنا فى القيود والأغلال ^(٤)
وانبضى الدهر ، بين زغرودة العر	س ، وحشو التراب ، والإعوال
ما تحلى بكم يسوع ، ولا	كنا لطفه ودينه بجمال

ثم يتوجه أخيراً الى شباب الأمة يطالبهم بالعمل من أجل رفعة بلادهم فمصر لهم وهى عرينهم الواجب عليهم حمايته والذود عنه والسعى لرفعته وعزته ، وأما الدين فنحن نؤديه لله ، سواء منا من اتخذ الصليب أو الهلال شعاراً . يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٦٦ - ٢٢٨ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٦٦ - الهامش .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨٩ .
(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨٩ .

يا شباب الديار ، مصر اليكم
كلما روعت بشبهة بأس
هيئوها لما يليق بمنف
وانهضوا نهضة الشعوب لدنيا
والى الله من مشى بصليب
وحينما قتل (بطرس غالى باشا) فى مصر برصاصة من ابراهيم الوردانى سنة
١٩١٠م ، لأسباب سياسية) هاجت النفوس واستاء كثير من الأقباط لوقوع الجريمة على
زعيم ووزير قبطى ، قال شوقى فى ذلك مقطوعة^(١) توجه فيها الى أقباط مصر طالبا منهم أن
يخففوا من ثورتهم :

بنى القبط اخوان الدهور ويديكم
خملتكم لحكم الله صلب (ابن مريم)
سديد المرامى قد دماه مسدد
ووالله ، لو لم يطلق النار مطلق
قضاء ، ومقدار ، وأجال أنفس
هبوه (يسوعا) فى البرية ثانياً^(٢)
وهذا قضاء الله قد غال (غاليا)
وداهية السوس لاقى الدواهي
عليه ، لأودى فجأة ، أو تداويا
إذا هى حانت لم تؤخر ثوانيا

استخدم الجناس بين (غال) و (غاليا) وهذا الجناس غير مجد فى تجميل
العبارة وتزيينها ، خصوصاً وقد تجاوزت الكلمتان ، وابتدأت كل منهما بالفين المعجمة
الحلقية ، وحروف الحلق ثقيلة فى نطقها ، ولو أن شوقى قال مثلاً (هذا قضاء الله قد نال
غالياً) لتفادى هذا الثقل .

ولكننا نلمس فى أبيات شوقى الايمان بالله ، والتسليم بقضائه . وبعد أن يسند
شوقى اغتيال (بطرس غالى) الى القضاء يصل الى هدفه من هذه المقطوعة ، وهو دعوة
الأقباط الى نبذ الشقاق والجفاء ، والى التآلف والاتحاد مع أخوانهم المسلمين ، فالكل
مصرى ، والكل ولد النيل ، فلا يفرقهم التعصب الأعمى ، ولا يفسدن قلوبهم هذا
للتحالف فى الدين والمذهب .

(١) نفس المصدر السابق ص ١٨٩ : ١٩٠ .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٣٩

(٣) نفس المصدر السابق ص ٥٥ .

تعالوا عسى نظوى الجفاء عهده
 ألم تك (مصر) مهدنا ثم لحدنا
 ألم نك من قبل (المسيح بن مريم)
 فهل تساقينا على حبه الهوى
 ومازال منكم أهل ود ورحمة
 وننبذ أسباب الشقاق نواحيا^(١)
 وبينهما كانت لكل مغانيا ؟
 و (موسى وطه) نعبد النيل جاريا ؟
 وهلا فديناه ضفafa وواديا ؟
 وفي المسلمين الخير مازال باقيا ؟

ثم يتوجه فى مقطوعته التى رثى بها (بطرس غالى) الى الدعوة للتآلف بين المسلمين والأقباط . إذ يوجه الشاعر حديثه الى المرثى أولا :

قد عشت تحدث للنصارى ألفة
 واليوم فوق مشيد قبرك ميتا
 الحق أبلغ كالصباح لناظر
 أعهدتنا والقبط الامة
 وتجدد بين المسلمين وثاما^(٢)
 وجد الموفق للمقال مقامما
 لو أن قوما حكموا الأحلاما
 للأرض واحدة تروم مراما ؟

ويتوجه الى الأقباط بهذا النداء ، يدعوهم الى نبذ الخلافات التى لا طائل تحتها وأن يتأملوا واقعهم وتاريخهم ، فان المسلمين والأقباط منذ القدم يعيشون بمصر فى وئام وسلام :

يا قوم بان الرشد فاقصوا ما جرى
 هذى ربوعكم ، وتلك ربوعنا
 هذى قبوركم ، وتلك قبورنا
 فبحرمة الموتى ، وواجب حقهم
 وخذوا الحقيقة ، وانبذوا الأوهاما^(٣)
 متقابلين نعالج الأياما
 متجاورين جماجما وعظاما
 عيشوا كما يقضى الجواد كراما

وشوقى دائماً يراعى هذا الجانب الحساس من جوانب الحياة فى الوطن المصرى والاسلامى بعامة ، وهو وجود المسلمين الى جوار المسيحيين جنباً الى جنب فى وطن واحد ، ولقد كان القتال يدور أحياناً بين المسلمين وبين أهل البلاد المتاخمة للدول الاسلامية ، وهم من المسيحيين ، وربما أوجد هذا بعض التنافر بين المسلمين والأقباط داخل الدولة ، ولذا كان شوقى دائماً يدعو الى الوحدة والتآلف بين مسلمى البلاد وأقباطها فى سبيل عزة الأوطان ، فما عيسى ومحمد الا أخوان ونبيا من أنبياء الله ، ولن يرضيهما أن يتسبب اختلاف الدين فى اختلاف القلوب وتفرق الجماعة ، يقول شوقى فى

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٥٥ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٤٥ .

(٣) نفس المصدر السابق .

هذا المعنى متحدثاً عن الأستانة :

أدار (محمد) وتراث (عيسى) لقد رضىياك بينهما مشاعاً^(١)
فهل نبذ التعصب فيك قوم يمد الجيل بينهم النزاعا ؟
أرى الرحمن حصن مسجديه بأطول حائط منك امتناعا
فكنت لبيته المحجوج ركننا وكنت لبيته الأقصى سطاعا
هواك والعيون منجرات كفى بهما من الدنيا متاعا

وحينما يتحدث شوقى الى بنى الوطن الواحد عن مشروع ملتر - وزير المستعمرات الانجليزى - على الوفد المصرى الذى سافر لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام فى (فرساي) عقب ثورة ١٩١٩م ، واتفق «ملنر» مع الوفد المصرى على أن يعرض المشروع على البلاد لأخذ رأيها فيه بواسطة أربعة من رجال الوفد مع التزام الحيدة فى ذلك ، وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة الى أن المشروع يصلح أساساً للمفاوضات إذا أضيفت اليه بعض التعديلات ، وكان شوقى من المؤيدين لهذا رأى ، فهو يقول لأبناء البلاد :

لا تستقلوه فما دهركم بحاتم الجود ولا كعبه^(٢)
ثم يمضى فى عرض لنقاط المشروع ، وبيان روحه وأهدافه . ولكنه يقدم لذلك بمقدمة يتوجه فيها الى شباب الوطن فيذكرهم بأسلافهم الأمجاد الذين كانوا قطب الحياة وميزانها ، ثم هو يشكر لهم تألفهم على حب مصر وعلى اتحاد المسلمين والأقباط منهم سعياً لبناء مجد الأمة وتشيد بنيان حضارتها .

يا نشأ الحى ، شباب الحمى سلالة المشرق من نجبه^(٣)
بنى الأولى أصبح احسانهم دارت رحى الفن على قطبه
موسى وعيسى نشأ بينهم فى سعة الفكر وفى رحبه
وعالجا أول ما عالجا من عسل العالم أو طبه
ما نسيت مصر لكم برها فى حازب الأمر وفى صعبه

وهكذا نجد شوقى لا يترك مناسبة مناسبة متاحة للحديث عن هذا الجانب الهام والخطير من جوانب حياتنا الاجتماعية إلا يصوغها شعراً يدعوفيه الى وحدة الصف ، والى تألف القلوب حفاظاً على خير الوطن وعزته .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٥٤ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٧٥ .

(٣) نفس المصدر - ص ٧٤ : ٧٥ .

الفصل الثانى

إضفاء الصبغة الاسلامية على موضوعات شعره

- # الفرعونية فى ظل التيار الاسلامى
- # إضفاء حقائق الاسلام على الديانات الأخرى
- # إضفاء الصبغة الاسلامية على الشكل المسرحى .

الفرعونية فى ظل التيار الاسلامى :

اتسم شعر شوقى الفرعونى بسمة الجلال القرآنى وقد عبر شوقى عن ذلك تعبيراً فنياً خرج فى أداء لغوى لا يفارق البلاغة القرآنية والشعر القديم .

هذه الحقيقة تثير السؤال عن مدى اهتمام شوقى البالغ كشاعر بهذه الفترة من تاريخ مصر ؟

يرجع ذلك إلى حضارة مصر الفرعونية أولاً كانت حضارة ذات صبغة دينية قوية ، الموت فيها أهم من الحياة ، والآخرة أهم من الأولى ، تؤمن بالبعث وتهبىء له الطعام والشراب وعربة الشمس . كل هذا فتن شوقى وهو شاعر ينظم فى إطار هذه المفاهيم ويشيعها فى مراثيه وقصائده فى مصارع الدول والرجال .

ولأن شوقى كان شاعر الماضى والتاريخ ، طوف بمنابره ومحاريبه فى دار الاسلام وفى دار الحرب ، وهو القائل : « الشعر ابن أبوين » الطبيعة والتاريخ فكان من الطبيعى أن تجذبه مصر الفرعونية التى كان تاريخها يمثل أطول فترة زمنية فى التاريخ المصرى ، وأن تجذبه هذه الحضارة العجيبة التى بزغت فى فجر التاريخ والتى أصبحت ديارها ولاية فى دار الاسلام بعد الفتح العربى ، ذلك الفتح الذى برده بين فتوح مصر جميعها فى قوله المشهور :

فى الحق سل وفيه أغمد سيفهم سيف الكريم من الجهالة يفرق^(١)
والفتح بغى لايبهون وقعه الا العفيف حسامه المترف

وقد أعجب شوقى بعنصر السيادة والقوة التى أظهرها الفراعنة فى الوادى وفى غرب آسيا . إذ أنه كان شاعر القوة لأنه كان قريباً من السلطان ، ويذكر الأمجاد الحربية الاسلامية الماضية منها والحاضرة .

والى جانب ذلك فان الحضارة الفرعونية فى الحقيقة كانت أطلالا وهذا النداء الذى هو نداء الأطلال مضمون شعري يستجيب له الشاعر العربى استجابة سريعة ، فهو من انجازات العصر الجاهلى الباقية ، ويحتل تجديدات على أيدي الشعراء ومنهم أحمد شوقى الذى رأينا شعر الأطلال عنده بلغ ذروته ، وقد وقف عليها فى أمكنة مختلفة فى دار

(١) ديوان شوقى - ج ٢ ص ٧٣ .

الاسلام فكانت هذه الأهرامات والهيكل الفرعونية الغاية التي وصل اليها الشاعر العربى فى هذا المضمون الجميل .

وقد وجد شوقى تشابهاً فى تاريخ أسرته وتاريخ أسرة أخرى يرقى عهدها الى مصر الفرعونية التى ذكرها القرآن الكريم ، ألا وهى الأسباط . قال تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً »^(١) ، وهكذا جاء أجداد شوقى الى مصر غرباء زمن محمد ، ورأى الشاعر هذا التشابه الغريب ممثلاً فى (يوسف الصديق) وكان من الوافدين الذين ربحت تجارتهم كما ربحت تجارة جد شوقى ، ولم يكن من الصعب على شوقى أن يحدث شيئاً من الانطباق الذاتى بينه وبين النبى (يوسف) كما سبق وأن شبه نفسه (بعبسى المسيح) وب (محمد) ، وهذا من باب الاساءة بحق الأنبياء كما تقدم ، وقد صار خديوى مصر يدعى (العزيز) ، وهو اللقب الذى أعطاه القرآن لوزير فرعون الذى اشترى يوسف ، ثم صار شوقى شاعر عباس حلمى ، أى شاعر العزيز ، وقد اعتد بهذا اللقب وأشار اليه فى البائية المعروفة . يقول :

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب^(٢)

ويبدو فى شعر شوقى اتصال روحى مع مصر الفرعونية القرآنية ، فالإشارات الى يوسف متعددة ، وكثير منها إشارات ذاتية تدل بجلاء ووضوح على هذه النرجسية وحب الذات وعقدة تشبيه نفسه بالأنبياء والعظماء ، وله عدة مواقف فى ذلك . مثلاً هناك فكرة العفاف التى تتردد فى غزلياته منتزعة من حياة يوسف ، أو من تلك الحادثة التى تصف علاقته بامرأة العزيز . وهذا يعين على فهم بعض الأبيات فى شعره بل هو المفتاح لبعض الابهام ، ففي الغزلية المشهورة (خدعوها بقولهم حسناء) هنالك بيت مستوحى من قصة يوسف كما ذكرها القرآن وأورده شوقى بهذا المعنى يقول :

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت أنتم الناس أيها الشعراء^(٣)

قال تعالى : « وقدت قميصه من دبر »^(٤)

(١) قرآن كريم - سورة الأعراف (آية ١٦٠)

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٩ .

(٣) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١١٢ .

(٤) قرآن كريم - سورة يوسف (آية ٢٧) .

وقد ورد ذكر الفراعنة فى القرآن الكريم كقوم ليس لهم ذكر جميل ، وليس من السهل على شوقى وهو مسلم ، دستوره القرآن ، وشاعر ملتزم ينظم فى اطار الخلافة والجامعة الاسلامية أن يقف على أطلال الفراعنة ويقوم بعملية ربط سياسى روحى دينى بين هذه الحضارة القديمة وبين الاطار القومى الاقليمى، وهو المفهوم السياسى الجديد الذى جاء به (رفاة الطهطاوى) بعد عودته من فرنسا ، والى جانب الاطار القومى الاطار الدينى اذ تصدى للمواجهة بين حضارة الفراعنة وبين مصر القرائية ، فجاء بحل لطيف أرضى به ضميره الشعري وضميره الدينى ، ويتلخص هذا الارضاء فى معادلة مفادها أن الأنبياء ضيوف الفراعنة لجأوا اليهم فى محنتهم ، يقول :

أين الفراعنة الألى استذرى بهم
عيسى ويوسف والكليم المصعق^(١)
الموردون الناس منهل حكمه
أفضى اليه الأنبياء ليستقوا

وأن مصر الفرعونية أرض مقدسة ، هبطها الأنبياء ومشوا على ثراها ، ونزلت فيها أولى الشرائع ، كما أنجبت أم العرب ، فهاجر أم اسماعيل ما كانت سوى فتاة مصرية من أرض الفراعنة ، وقد توكأ شوقى على القرآن الكريم والشعر القديم فى تصوير هذا الربط الدينى السياسى بين حضارة الفراعنة ومصر اليوم . وهذا يعتبر تجديداً نابعاً من التراث لديه ، ففى نداء الأطلال مضمون أحسن معالجته القدماء ولكن شوقى أعطاه اطاراً جديداً ومعنى جديداً أحيا به المضمون القديم وأوضح مدى قابليته للتجديد ، وأما القرآن الكريم فقد أذاب كثيراً من أصدائه وأشدائه الفرعونية فى شعره فجاء وبه شئ من تداعى المعانى ، وكثير من الايحاءات القرائية كما سيأتى ذكره .

وتعتبر المزاجية بين مصر الفرعونية ومصر القرائية نغمة جديدة سرت فى شعر الإحيائيين ومنهم شوقى ، ولعلها جديدة كل الجدة فى طريقة تناولها ، فقد اعتاد الشعراء والعلماء والمؤرخون أن يتحدثوا عن الفراعنة على أنهم زمرة من الطغاة ، عتوا فى الأرض وغذبوا الرسل وامتنهوا القيم الانسانية ، وقد استطاعت الكشوف الأثرية أن ترفع عنهم بعض اللعنة ، ليحتلوا مكانة لائقة .

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٩ .

ولقد جاء الحديث عن الحضارة المصرية القديمة من جانبين : الجانب الأول : مباهاة العالم بالحضارة المصرية القديمة كرد على دعوى الغرب باحرازه قصب التقدم والسبق ، وعلى رمية الشرق بالانحطاط والجهل والتأخر ، وأما الجانب الثانى : فهو محاولة الوحدة بين الأقباط والمسلمين عن طريق الحضارة المصرية القديمة التى خلفت هذه الأجيال التى اعتنقت الديانتين المسيحية والاسلامية .

وقصائد شوقى الفرعونية متفرقة فى ديوانه ، فأحيانا تبدو بشكل قصائد كاملة ، وأحيانا أخرى تأتى بشكل متفرق ، أما القصائد الكاملة والتى وردت فى ديوانه ، فمنها (ذكرى كارنافون) ، و (أبو الهول) ، و (توت عنخ آمون) ، و (أنس الوجود) ، و (أثينا) . ومنها على شكل مقاطع مركبة فى بناء القصائد مثل (كبار الحوادث فى وادى النيل) و (على سفح الأهرام) ، و (الرحلة الى الأندلس) و (أيها النيل) ، و (أندلسية) .

ويضفى شوقى الصبغة الاسلامية على شعره الفرعونى فى بعض قصائده لمحاولة المزاجية بين مصر الفرعونية ومصر القرائية كما ذكرنا إذ يقول :

تلك الرمال بجانبيك بقية	من نعمة وسماحة ورماد ^(١)
ان نحن أكرمنا النزيل حيالها	فالضيق عندك موضع الارفاد ^(٢)
هذا (الأمين) بحائطيك مطوفا	متقدم الحجاج والوفاد
ان يعده منك الخلود ، فشعره	باق ، وليس بيبانه لنفاذ
...	...

قم قبل الأحجار والأيدى التى أخذت لها عهداً من الآباد
وأبيات شوقى هذه قالها فى حفل تكريم الأديب أمين الريحانى ، وهذا الحفل أقيم على سفح الهرم بالجيزة فالأبيات عليها هذه المسحة الاسلامية فى اقامة الشعائر الاسلامية ، فالشاعر (أمين) قصد مصر كالكعبة وهؤلاء الوفاذ يطوفون بها كالحجاج ، هو يتقدمهم واذا جاوزه من الأهرامات الخلود فهو قد خلد بشعره وبيانه ، كأنما زيارة مصر وأهراماتها اقامة شعيرة من الشعائر الاسلامية وهى الحج .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١٤ .

(٢) الأرفاد : الاعطاء .

أما البيت الأخير لشوقي (قم قبل الأحجار) ففيه استعارة ضمنية لفعل المسلم بالحجر الأسود (فى الكعبة) عند تقبيله فى مواسم الحج والعمرة .
 أم القرى — ان لم تكن أم القرى — ومثابة الأعيان والأفراد ^(١)
 ويقصد بها شوقى هنا (مصر) .. فهى وان لم تكن (مكة) والتى كنى عنها (بأم القرى) فهى أى مصر تؤوى الضيف وهى مثابة القوم ومحل اجتماعهم ، وقد استطاع شوقى أن يجانس بين القرى و القرى من باب المجانسة بين المعنوى والمادى ، ففى (أم القرى) دلالة على المنزلة المعنوية ، وفى (أم القرى) دلالة على المنزلة ، أما استعماله لكلمة (ومثابة) الى جوار (أم القرى) ففيه نفس قرأنى لأن مكة وفيها البيت الحرام الذى هو مثابة للناس ، قالى تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ^(٢) .

ويقول وهو يخاطب الأهرامات :

قل للأعاجيب الثلاث مقالة من هاتف بمكانهن وشاد ^(٣)
 لله أنت ، فما رأيت على الصفا هذا الجلال ولا على الأوتاد
 لك كالمعابد روعة قدسية وعليك روحانية السعبد
 أسست من أحلامهم بقواعد ورفعت من أخلاقهم بعماد
 ففى أبياته هذا النفس الدينى التعجبى ، إذ أنه قال (لله أنت) فهو رد أمر هذا التعجب لله سبحانه وتعالى فهو أعلم بأمر عظمة هذه الأهرامات ، وقد استطاع شوقى أن يعبر عن عظمة المسيحية وعظمة الاسلام : المسيحية من النقوش والطابع الجمالى فى الكنائس وعظمتها وذلك بقوله مخاطباً الأهرامات (لك كالمعابد روعة قدسية) ، والاسلام فى الصيغة المجردة الجليلة البعيدة عن الحسى والمادى بقوله (وعليك روحانية العباد) .

وقد أحسن شوقى عملاً حين قام بعملية مزج وتداخل بين التاريخ الفرعونى والتاريخ الاسلامى وذلك ما لمسناه فى قصيدة (توت عنخ آمون) إذ يقول :

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١١٤ .
 (٢) قرآن كريم — سورة البقرة — آية ١٢٥ .
 (٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١١٣ .

قفى - يا أخت يوشع - خبرينا أحاديث القرون الغابرينا ^(١)
وقصى من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا
...
أم المالكين بنى (أمون) ليهنك أنهم نزعوا (أمونا)
ولدت له (المأمين) الدواهي ولم تلدى له قط (الأمينا)
...
تعالى الله ، كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا

فشوقى يخاطب - أخت يوشع - الشمس وقد ورد فى غير هذا الموضع
من البحث ذكرها وقصة ترحلها ليوشع بن نون فتى موسى عليهما
السلام ، يسأل الشمس عن أحاديث الأجيال الماضية ، ومنهم الفراعنة
بناة الأهرام الخالدة . حاول شوقى بذلك المزوجة بين التاريخ الاسلامى
عندما ذكر الخلفاء (الأمين ، المأمون) من بنى العباس مع التاريخ
الفرعونى بذكره (أمون) ، وقد اختار شوقى الخليفة (المأمون) لأنه
أفضل بنى العباس حزماً وحلماً ، ودهاء ، ليشبه أمون به ، ولم يقتصر
الأمر على التداخل بين التاريخ الاسلامى والتاريخ الفرعونى بل امتد
عنده الى الناحية الأسلوبية ، فقد أورد أسماء (أمون) (الأمين) ،
(المأمين) وذلك ليخلق تداخلاً من الناحية الصوتية أيضاً ، ونلاحظ
أيضاً النفس القرآنى الذى أورده شوقى فى البيت الثانى من الأبيات
السابقة بقوله : (قصى من مصارعهم ..) اشارة الى قوله تعالى :
« نحن نقص عليك أحسن القصص » ^(٢) .

ولشوقى بعض المواقف التى يقوم فيها بعمليات المزوجة بين
مصر الفرعونية ومصر القرآنية ، لكن هذه المواقف تعتبر من السقطات
عنده فقد أورد فى قصيدة (أيها النيل) قوله :
لورد فرعون الغداة ، لراعته أن الغرائيق ^(٣) العلى لا تنطق ^(٤)

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٢٦ .

(٢) قرآن كريم - سورة يوسف - آية ٣ .

(٣) الغرائيق : جمع غرنيق ، الشاب الأبيض الجميل ، ويقصد التماثيل فى القصيدة .

(٤) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٦٨ .

ففى بيته هذا اشارة خفية الى (الفرانتيق انعلا) والتي استخدمت فى حروب الردة ، وقد ادعى مسيلمة الكذاب أن الرسول محمد (ص) يعبد تماثيله سنة ، لذا فمسيلمة يعبدها سنة . وحديث الفرانتيق ، رواه غير واحد من كتاب السنة ، وأشار اليه غير واحد من المفسرين . ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلا وهو حديث ظاهر التهافت وينقض ما لكل نبي من العصمة فى تبليغ رسالات ربه . وهذا الحديث هو من وضع الزنادقة الذين حاولوا تسويفه فأخذوا تحريف الآيات ، أما الرسول (ص) فهو الأمين الذى بعثه الله هدى وبشرى للعالمين .

وقد نزلت صورة النجم وورد فى سياقها دليل قوى وقاطع بعدم وجود مسألة الفرانتيق ، قال تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى . ان هى الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى » (١) .

وحين يتناول شوقى قصيدة (أبو الهول) وهو الأثر الخالد من آثار مصر الفرعونية ، يضيف عليها النفس الدينى والتاريخى بجميع مراحلها فى محاولة لتداخل هذه العناصر كما فعل فى قصائده السابقة ، إذ يقول :

أبا الهول ، طال عليك العصر	وبلغت فى الأرض أقصى العمر (٢)
...	...
أبا الهول ، أنت نديم الزما	ن ، نجى الأوان ، سمير العصر
بسطت ذراعيك من آدم	ووليت وجهك شطر الزمر
...	...
وأنست موسى وتابوته	ونور العصا ، والوصايا الغرر
وعيسى يلم رداء الحيا	ء ، ومريم تجمع ذيل الخفر
وعمره يسوق بمصر الصحا	ب ، ويزجى الكتاب ويحدو السور
فكيف رأيت الهدى ، والضلا	ل ، ودنيا الملوك ، وأخرى عمر؟

(١) قرآن كريم - سورة النجم - آيات ١٨ - ٢٣ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٣٢ .

استخدم شوقي هذا النفس الدينى القرأنى التاريخى فى قصيدته هذه الى جانب صورة (أبو الهول) التى ترتبط فى ذهن الشاعر بالخلود .

واستخدم شوقي الاشارة القرأنية فى قوله :

بسطت ذراعيك من آدم ووليت وجهك شطر الزمر^(١)
هذا الاستخدام اشارة الى قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا »^(٢) .

والى جانب ذلك فقد أورد الشاعر أسماء الأنبياء (موسى – عيسى) ومريم العذراء كشخصية مقدسة ، ومن أعلام التاريخ الاسلامى عمرو بن العاص وهو يسوق المسلمين لفتح مصر ، ويزجى كتاب الله وآياته .

لقد أتى شوقي بهذا الزخم الهائل من الألفاظ ، والأسماء ليرصها فى قصيدته هذه ، ولكن الملاحظ على القصيدة بصورة عامة أن فيها صوراً متناقضة ، فأبو الهول عنده يمثل صور القوة والجبروت والبطش والتنبؤ ، إذ يقول :

فيالدة الدهر ، لا الدهر شب ، ولا أنت جاوزت حد الصفر^(٣)

... ..
تحيرت البدو ماذا تكرر
فكنت لهم صورة العنفوا
ن وضلت بوادى الظنون الحضر
ن ، وكنت مثال الحجى والبصر

... ..
كأن الرجال على جانبك
وبين يديك ذنوب البشر

ولأن أبا الهول لا يمثل لشوقي هذه الصورة وحدها، بل يمثل له صوراً أخرى متناقضة تقف على الطرف الآخر ، انه بالنسبة اليه مظهر للضعف والشلل والعجز ، يقول :

تهزأت دهرا بديك الصبا
أسال الهيأض وسل السواد
ح فنقر عينيك فيما نقر^(٤)
وأوغل منقاره فى الحفر

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٣٧ .

(٢) قرآن كريم - ج سورة الزمر - آية ٧٣ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٣٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٣٥ .

فعدت كأنك ذو المحبسين ، قطيع القيام سليب البصر
فأبو الهول لدة الدهر الخالد الذى ركب متن الرمال أصبح ضعيفا أمام ديك من ديوك
الدهر ، جعله قطيع الكلام بعد أن سلب عينيه .
فبنا نلاحظ تناقض الصور حيث يعجل شوقى بتحطيم أبا الهول تماماً عندما
يقول :

فلم يبق غيرك من لم يحف ولم يبق غيرك من لم يطر^(١)
تحرك أبا الهول هذا الزما ن تحرك ما فيه حتى الحجر

والصور التى قدمها شوقى فى قصيدته لا تحمل أى أثر موحد مترابط لموضوع واحد
يعرض فى أشكال يؤكد أو يشد أو يسلم بعضها الى بعض ، ولا يعود ذلك فحسب الى
أن أبا الهول لا يمثل رمزاً واحداً فى ذهن الشاعر أو لا يشير الى شىء معين ، وانما
يعود أيضاً الى أن شوقى كغيره من الشعراء الكلاسيكيين ، كان فنه يفتقد الى الاطار
النسقى ، والنظرة الكلية ، والوحدة العضوية والنفسية ، والرؤية التى لا تقف عند
حدود الصور بذواتها بغض النظر عن صلاتها ، وانما تتجاوزها الى العلاقات ،
فالعلاقات وحدها هى القادرة على ايجاد الفن السليم .

ولقصائد شوقى الفرعونية مكانة خاصة فى أعماله الشعرية ، إذ أضافت هذه
القصائد مضموناً جديداً لديوان الشعر العربى أحل شوقى محلاً فريداً بين شعراء العرب
قديماً وحديثاً ، فشعراء العرب فى العصور الوسيطة مروا على مصر الفرعونية مرور الكرام
كما فعل (المتنبى) . وكان شعرهم أحياناً ينبىء بعدم صحة المعلومات مثل
(البحتري) الذى جعل الفراعنة أعراباً من تنوخ . ولكن زاد حظ مصر الفرعونية من
الشعر العربى عندما نظم فيها شعراء الاحياء البارودى وصبرى وحافظ . أما شوقى فقد
رافقته مصر الفرعونية طيلة فترات حياته ، فمن مطلع حياته حتى نفىه الى أسبانيا ، ومن
فترة رجوعه من المنفى حتى مماته ، كان شعره مبنياً على العلم ، لأنه عاصر الاكتشافات
الأثرية التى تلت حل رموز الهيروغليفية والتى كشفت عن معالم تلك الحضارة العجيبة ،
لذا نقد نجح فى بعث هذه الحضارة واضفاء هذه الصبغة الدينية الاسلامية عليها ليثير
اعجاب الناس .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٤٤ .

إضفاء حقائق الاسلام على الديانات الأخرى :

يحدثنا شوقي عن الفترة التي تشوق الناس فيها الى معرفة الحقيقة الالهية ، فلم يجدوا لهم مرشداً ولا هادياً من الكتب السماوية والأنبياء ، فذهبوا في الديانة مذاهب شتى وتنوعت مذاهبهم ، وتعددت لديهم المعتقدات .

فقدماء المصريين مثلاً كانوا أول أمرهم يعتقدون بوجود اله واحد ورمزت كل قبيلة له برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذه الالهة برموز صارت بعد . ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير محسوس في حياتهم كالشمس والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان فعبدو العجل (أيس) والقط والكلب وما الى ذلك .

وهم في كل هذا يطمحون الى (الحقيقة الزهراء) وهي وجود الاله وتوحيده ، فنفايتهم هي عبادة الاله الواحد ، ولكن ضلت بهم الوسائل ، ويذكر شوقي بعض الكائنات التي عبدها قدماء المصريين فيذكر أنهم عبدوا كل ما له قوة أو تأثير محسوس في حياتهم ، وانهم عبدوا كل شيء فيه لمحة جمال ، وعبدوا التماثيل والكواكب والنباتات والجبال ، والملوك ، والبحار ، والأسماك ، والرياح والأمطار ، وجوارح الطير والحيوان ، وعبدوا الأرحام ، وعبدوا أمهاتهم وأبائهم ، ثم يذكر من آلهتهم « ايزيس » الهة التمر عند القدماء ، ويذكر أن قدماء المصريين ماعبدوا هذه الكائنات الا رموزاً تسمى لذات الله العلية التي يخضع لها الجميع . وتعد كل انشئ من هذه الأشياء المعبودة أمة له ، كما يعد كل ذكر عبداً ، فالله سبحانه وتعالى هو السر الذي يجمع الفضائل ويتصف بكل كمال وله في الكون آيات يستطيع الناس بالتأمل فيها أن يعرفوا الله على حقيقته ، وأن يروه بكل وضوح على الرغم من احتجابه عن الأبصار .

والتوحيد هو الخط الذي يسرى في العقيدة المصرية منذ القدم الى العصور الحديثة . يقول شوقي من قصيدة (أنها النيل) :

أين الفراعنة الأولى استذرى بهم عيسى ويوسف والكليم المصعق^(١)
الموردون الناس منهل حكمة أنضى اليه الأنبياء ليستقوا

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٦٦ .

يشبه الحكمة التي امتاز بها الفراعنة بمنهل يستقى منه الأنبياء ، وهذا يدل دلالة على أن الأنبياء الذين مروا على مصر استقوا الحكمة من الفراعنة . وهو ربط بين الأنبياء والحضارة المصرية القديمة .

يقول شوقي :

رب شقت العباد أزمان لا كتب بها يهتدى ولا أنبياء؟^(١)
ذهبوا في الهوى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء
فاذا لقبوا قويا لها فله بالقوى اليك انتهاء
واذا أثروا جميلا بتنزيه هـ ، فان الجمال منك حباء
واذا أنشأوا التماثيل غرا فاليك الرموز والايماء

ويعدد شوقي ذكر المعبودات ويخص بالذكر « ايزيس » وبأن قدماء المصريين يعدونها خيراً (فلها اليد البيضاء) عليهم ان حلت في البرنما الزرع وفاض الخير ، أو في البحر سارت الرياح رخاء لينه تدفع السفن وتسير وسائل الاتصال ، وان حلت في الأفق فهي « ايزيس » التي ترسل على الكون ضياءها وتمد الكائنات بالدفع وتبعث فيهم النشاط والحياة ، وهي تحل في كل عضو من جسم الانسان فهي حركته وحياته ، يناديهما القدماء بربة الكون .

وإذا كان القدماء قد اتخذوا لها التماثيل فما ذلك الا للرمز والتقريب (والتمثيل يدنى من لا له أدناه) ، ويشير شوقي الى أن اليونان جعلوها الهتهم من بعد المصريين وكذا جميع القدماء فالكل قد أحبوها ، ودانوا لها بالعبادة والتقديس ، ولهذا كان المصريون القدماء يعدونها من مفاخرهم . يقول شوقي مشيراً الى كل هذه المعانى :

سجدت مصر في الزمان لايزيـ س الندى ، من لها اليد البيضاء^(٢)
ان تل البر ، فالبلاد نضار أو تل البحر ، فالرياح رخاء
استخدم شوقي هنا كلمة (السجود) بالمعنى اللغوي أو الخضوع والانقياد وهو غير معناها الاسلامي الذي نعرفه أي السجود الذي هو ركن من أركان الصلاة .

ويعتذر شوقي عن ضلال المصريين القدماء في عبادتهم ويتوجه بالاعذار الى ربه قائلاً ان ما دعاهم الى هذه العبادات هو خوفهم من الله ورجاؤهم له ، وحبهم لذاته

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٥ : ٢٦ .

(٢) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٢٦ .

الكريمة فواصلوا التفكير ، وأعملوا الأذهان والعقول لكي يتوصلوا الى حقيقته ، ولكن عقولهم كانت ماتزال فى (صباها) وعلى بدائيتها ، وكانوا يفتقرون الى مرشد يهديهم سواء السبيل ، فما وجدوا مرشدا فكان ان ضلوا السبيل ، ولو جاءهم كتاب من السماء لعرفوا منه الله على حقيقته ، وهكذا يبرهن الانسان دائماً على قصور عقله وتفكيره وانه يعجز دائماً عن الوصول الى كنة المخلوقات وحقيقتها ما لم تدركه هداية السماء التى يأتية بها الرسل والأنبياء .

يقول شوقى وهو يشير الى ذلك :

رب ، هذى عقولنا فى صباها نالها الخوف ، واستبأها الرجاء ^(١)
فعمشتناك قبل أن تأتى الرسل ، وقامت بحبك الأعضاء
وهناك اشارات أخرى فى شعر شوقى الى ديانات المصريين القدماء ، نجدها فى قصائد متفرقة ، وفى الهمزية مثلاً يقول عن (ايزيس) :

ايزيس ذات الملك حين توحدت أخذت قوام أمورها الأشياء ^(٢)
وهو يشير بذلك الى أن الاتحاد والتآلف هما سر نظام الكون واستقرار الحياة .
ويقول فى ملحمة (كبار الحوادث فى وادى النيل) متحدثاً عن الفراعنة :

وبنو الشمس من أعزاء مصر والعلوم التى بها يستضاء ^(٣)
وهو هنا يشير الى اعتقاد المصريين القدماء بأن الملوك كانوا نسل الشمس . وهذا يطابق اعتقادهم بأن الملوك من نسل الآلهة ، لأن الشمس كانت عندهم من الآلهة المعبودة وفى نفس القصيدة يخاطب شوقى رمسيس الثانى بقوله :

لك آمون ، والهلال اذا يكبر ، والشمس ، والضحى ، آباء ^(٤)
ويخاطب شوقى أبا الهول بقوله :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٥ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٨ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١ .

ألم تبطل فرعون فى عزه الى الشمس معتزياً^(٥) والقمر^(١)
وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة (اوزوريس) (الشمس) ،
و (إيزيس) (القمر) لأنهما من معبوداتهم فلعله يشير الى هذا المعنى إذ يقول من
نفس القصيدة مخاطباً أبا الهول :

رأيت الديانات فى نظمها وحين^(٥) وهى سلكها وانتشر^(٢)
تشاد البيوت لها كالبرو ج ، إذا أخذ الطرف فيها انحسر
تلاقى أساساً وشم الجبا ل ، كما تتلاقى أصول الشجر
ويشير شوقى فى شعره الى معابد المصريين حين يخاطب أبا الهول والى بعض الآلهة
التي كانوا يعبدونها ويعظمونها .

وروى ان اله الشر (ست) تغلب أخيراً على (اوزوريس) اله الخير فقتله فتقمص
روحه جسد عجل . وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى . وكانوا يعتقدون
أن العجل الذى تقمص روح (اوزوريس) هو ابن بقرة حملت به بواسطة شعاع من الشمس
وشعاع من القمر ، وله علامات ظاهرة فى جسده إذ يكون أسود اللون وفى وجهه سمة بيضاء
مربعة وصورة نسر على ظهره ، وصورة خنفساء تحت لسانه .

وليس هذا هو كل ما فى شعر شوقى من اشارات الى الديانات المصرية القديمة
ولكن ما لم نذكره لايخرج فى مضمونه عما ذكرنا .
الديانة الموسوية :

ما من رسول أرسله الله قبل محمد (ص) الا أيدته بالمعجزات التى تثبت أنه يبلغ
رسالة السماء ، ولا يأتى بما يقول من عند نفسه ، وقد أيد الله موسى (عليه السلام)
بمعجزات باهرة ، منها عصاه التى أبطلت أعمال السحرة الذين جمعهم فرعون ليقنوا من
موسى موقف التحدى من هذه المعجزة السماوية ، فاطمأنت اليه قلوب المؤمنين وعرفوا
ان ما جاء به من قبيل السحر إنما هو معجزة أيد بها من السماء ليعرف الناس أنه رسول

(٥) معتزياً : من (اعتزى الى الشيء) إذا انتمى إليه .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٣٧ .

(٥) وحين وهى تسلكها : فى حالتى قوتها وضعفها .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٤٠ .

الله أتاهم بالدين الحق . وهكذا يريد الله للانسان أن يحكم عقله فى كل أموره ، وأن يطمئن الى ما يبدو له من رأى سديد وحقيقة ظاهرة قوية واضحة ، يقول شوقى متحدثاً عن موسى (عليه السلام) :

حجنا فى الزمان سحرا بسحر واطمأنت الى العصا السعداء ^(١)

واستعمال شوقى اسم (السحر) لعصا موسى انما هو من قبيل المجاز ، لمجاورتها لما ذكره من سحر المصريين القدماء ، ولوجود التشابه الظاهرى بين أثر العصا وبين السحر والا فان تلقف العصا لحبال السحر وعصيتهم لم يكن سحرا وانما هو معجزة من الله أيد بها رسوله (موسى) عليه السلام ، ولو كانت سحراً لما تأتى منها أن تتغلب على سحر المصريين القدماء لأن سحرهم لم يكن يضارعه سحر ولكنهم الخبيرون بهذا الشأن عرفوا أن ما صدر من العصا انما هو شىء فوق مراتب السحر ، وفوق ما يطيقه السحرة ، لذلك كانوا أول المؤمنين بموسى (عليه السلام) . « قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى » ^(٢)

وموسى (عليه السلام) ولد فى مصر فأتى هذا المولد الى الكون بالهداية والمحبة والتراحم وأضاء موسى وجه الأرض بما لديه من التعاليم السماوية حتى صار مبعث الفخر لهذا الكون ، يقول شوقى :

مصر موسى عند انتماء ، وموسى مصر أن كان نسبة وانتماء ^(٣)

فموسى هو الذى أرشد المصريين القدماء الى عقيدة التوحيد الصحيحة ، وخلصهم مما كانوا فيه من حيرة وتشتت فى العبادة :

واتخذنا الأسماء شتى ، فلما جاء موسى انتهت لك الأسماء ^(٤)

أما فرعون الذى ربه موسى فى عز ملكه فقد كاني يعتقد بأن موسى سيظل وفيا له مدى الحياة ، ولم يدر بخلده يوما أن موسى سوف يلبي أمر ربه ويخرج عن طاعته ، ويجزيه على احسانه وتربيته عقوقاً وعصيانياً .

ولكن ارادة الله رأت لموسى أن يعق من رباه وهكذا يكون وفاء الأنبياء لله وحده لا لغيره ، فما كان لفرعون على موسى من فضل ، ولقد أراد فرعون يوما أن يقتل موسى ،

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٧ .

(٢) قرآن كريم - سورة طه آية ٦٥ : ٦٧ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٧ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٧ .

ولكن ارادة الله غلبت فرعون ، فكأن الله صرفه عن ذلك بلطفه ودقة حكمته ، فالفضل الذى يدين به موسى لله وحده وليس لفرعون على موسى من فضل .

فالله يحيط أنبياءه ورسله دائماً بعنايته ورعايته ، منذ ولادتهم حتى نهاية حياتهم ، ولذا كان وفاؤهم لله وحده ، لأنهم لا يعرفون لهم راعياً ولا حافظاً فى الدنيا سواه ، وفى هذا يقول شوقى :

ظن فرعون أن موسى له وا ف ، وعند الكرام يرجى الوفاء ^(١)
لم يكن فى حسابه يوم ربي أن سيأتى ضد الجزاء الجزاء
فرأى الله أن يعق ، ولله تفى — لا لغيره — الأنبياء

والصلة بين موسى وبين مصر صلة وثيقة ، ان مصر هى وطنه فيها ولد وبها تربى ونشأ ، إذا نسب موسى فالى مصر ينسب لا الى غيرها من البلاد . ومصر شرفت بأن موسى من أبنائها ، ومن الأنبياء الذين بعثوا فى أرضها وبثوا دعوتهم بين أهلها ، وان مصر لتفخر بهذا أيما فخر ، وهل للأماكن والبقاع من شرف أعلى من انجابها للرسل والأنبياء ؟ واذا كانت مصر قد نالت موسى بالأذى والاضطهاد فان هذا لا يحول بينها وبين الفخر به ، ان مصر لم تجف موسى الا فى ساعة الشك ، وتلك سنة الله فى كل قوم يبعث فيهم نبي أو رسول فليست مصر بهذا بدعا فى البلاد ، وان كانت مصر فى الحقيقة طبعت — كما يدعى شوقى — على جفوة الكبراء والعظماء وكان هذا من أسباب الشقاء لأهلها ولديارهم وأبنائهم .

ولذا فقد أصابهم على يد موسى أن غرق فرعون ، وغرق معه الكثيرون ممن أضلهم فرعون من أبناء البلاد .

ان من عظام الأمور وكبائر الحوادث الا يصاب الكبراء والا يحفظ الناس كرامة رجال الاصلاح ، يقول شوقى :

مصر موسى عند انتماء ، وموسى مصر ان كان نسبة وانتماء ^(٢)
فيه فخرها المؤيد ، مهما هز بالسيد الكريم اللواء
ان تكن قد جفته فى ساعة الشك فحظ الكبير منها الجفاء

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٧ .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٧ — ٢٨ .

خلة للبلاد يشقى بها النا س ، وتشقى الديار والأبناء
فكبير الا يصان كبير وعظيم أن ينبذ العظماء
وفى شعر شوقى اشارات كثيرة الى موسى (عليه السلام) وديانته ومنها قوله فى
قصيدة (أبو الهول) يخاطب هذا الأثر الفرعونى الخالد :

وأنست موسى وتابوته ونور العصا ، والوصايا الغرر^(١)
وفى البيت اشارة الى التابوت (أو السلة) الذى ألقى فيه موسى بيد أمه ، ثم قذفت
به فى اليم وعصاه وما كان منها من الآيات والوصايا العشر .

ولقد ورد ذكر هذا التابوت فى القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى مخاطباً نبيه
موسى : « إذ أوحينا الى أمك ما يوحى . ان اقدفيه فى التابوت . فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم
بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له . والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني »^(٢) .
وكذلك عصا موسى ورد ذكرها فى القرآن الكريم قال تعالى : « فألقى موسى عصاه
فاذا ذى تلقف ما يأفكون »^(٣) .

وأما الوصايا العشر فقد وردت بعض آيات فى القرآن الكريم تشير الى الألواح التى
اشتملت عليها فى مواضع متعددة منه قال تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
أهلكنا القرون الأولى »^(٤) .

وقال تعالى : « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون »^(٥) .

ولقد اعتمد الشاعر شوقى على المأثور القرآنى فى ذكره لموسى وفرعون وله فلسفة فى
ذلك إذ أن فرعون وأعوانه أسوأ نماذج للانحرافات القيادية اللاإنسانية ، فقد اتهموا
جميعاً بالطغيان والتكبر والبطش والجبروت والقرآن الكريم خير دليل على ذلك ، يردد
اسم فرعون مقروناً بالبطش والجبروت وفى كل مرة تأتى الآيات بتفاصيل جديدة عن
انحرافات اللاإنسانية وقيادته التى جرت الويلات على جنوده . إذ أن فرعون واحد من

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٤١ .
(٢) قرآن كريم - سورة طه (آية ٣٧ : ٣٩) .
(٣) قرآن كريم - سورة الشعراء (آية ٤٥) .
(٤) قرآن كريم - سورة القصص (آية ٤٣) .
(٥) قرآن كريم - سورة الأعراف (آية ١٥٤) .

أولئك الذين اجتمع لهم الجهل والمال والسلطان ، وكل تلك أمور تفسد القيادة وتجعلها تتخبط في ضلالاتها العمياء ، فتأتى الآيات لتخرج الانسان من ظلمات الجهل الى نور المعرفة بالله، وبحقوق الآخرين وتهون من شأن المال والمترفين والحياة الدنيا حتى لا يغتر الانسان بغيرورها ، وتنفع للقيادة الانسانية حدوداً لا تتعدها فتلتزمها بالعدل والشورى والحكم بما أنزل الله .

ثم إن فرعون وملأه وجنوده مستكبرون فى الأرض ؛ ولا يخفى ما لهذه الاشارات جميعاً من دلالات على أن الظلم والطغيان يبدأ أن فردين ثم يتحولان فيصبحان جماعيين . وأراد شوقى أن يقول إن كل طاغية مصيره مصير فرعون وجنوده .

وفى الشوقيات مواضع أخرى ردد شوقى فيها الحديث عن موسى وديانته قال :
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً وابن البتول فعلم الانجيلا^(١)
ديانة عيسى (عليه السلام) :

يذكر شوقى المسيح فى شعره ، فالمسيح عيسى بن مريم يصفه بأنه رسول من الذين أرسلهم الله الى الناس لهدايتهم وتعليمهم الخطأ والصواب والهدى والضلال ، والمؤمنون بالرسول هم الذين يتسجيون لنداء الله، ونداء الفكر الانسانى الذى أثبت الله لهم وجوده وقدرته بالآيات البيّنات ، ولشوقى عن المسيح مواقف كلها حب واعتزاز واجلال ، وفى ملحمة شوقى (كبار الحوادث فى وادى النيل) يشير الى ما جاء به عيسى (عليه السلام) من هداية سماوية أخرجت الناس من ظلمات الجهل والضلالة الى نور الهداية والتوحيد ، كما يشير الى دعوة المحبة والسلام والتسامح التى حملها الى الناس يقول :
وسرت آية المسيح ؛ كما يسرى من الفجر فى الوجود الضياء^(٢)
تملأ الأرض والمعالم نورا فالشرى مائج بها ، وضاء
لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ولا ينسى شوقى أن يسجل تلك الحادثة العظيمة ، ألا وهى رفع المسيح الى السماء ، يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨١ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨ .

ملك جاور التراب ، فلما مل نابت عن التراب السماء ^(١)
وأطاعته فى الاله شيوخ خشع ، خضع له ، ضعفاء
أذعن الناس والملوك الى ما رسموا ، والعقول ، والعقلاء
والى هذه الحادثة يشير القرآن الكريم : « إذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك
الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم
الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » ^(٢)

ويتعرض شوقى كذلك لموضوع صلب المسيح وأن المسيحيين يعتقدون بالصلب ، أما
الاسلام فينفى حادثة الصلب ، ويذكر أن المسيح لم يصلب وانما الذى صلب هو رجل آخر
صوره الله بصورة المسيح ، فصلبه اليهود معتقدين أنه المسيح ، قال تعالى : «ولكن شبه
لهم» ^(٣) .

وشوقى ، مسلماً ، لا يؤمن بحادثة وإنما هو مؤمن بما جاء فى القرآن الكريم
ولذلك فهو يقول فى معرض حديثه عن العلماء والمصلحين ، وما يلقونه دائماً من عداء فى
مجتمعاتهم :

أو كل من حامى عن الحق أقتنى عند السواد ضفائنا وذحولا ^(٤) ^(٥)
ويعبر شوقى عن اعتقاده بنفى الصلب فى عبارة صريحة إذ يقول فى قصيدة أخرى :
لولا مكان لعيسى عند مرسله وحرمة وجبت للروح فى القدم ^(٦)
لسمر البدن الطهر الشريف على لوحين ، لم يخش مؤذيه ، ولم يجم
جل المسيح ، وذاق الصلب شأنه ان العقاب بقدر الذنب والجرم
ويعالج شوقى هنا مسألة حساسة للاسلام فيها رأى واضح صحيح وهو أن عيسى
(عليه السلام) لم يصلب ولم يقتل وانما شبه لليهود الذين أرادوا الايقاع به ، فموقفه
هنا يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم من أنه لم يتم صلب ولا قتل ، ولكنه يسوق العبارة

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) قرآن كريم - سورة آل عمران (آية ٥٥) .

(٣) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر .

(٤) قرآن كريم - سورة النساء (آية ١٥٧) .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨١ .

(٦) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

عن ذلك فى حرص شديد ولباقة بارعة ، فهو لا يريد أن يدخل فى جدل بين المسلمين وبين جيرانهم واخوانهم المسيحيين ، فيقول انه لولا مكانة المسيح عند الله تعالى لتمكن خصومه اليهود من صلبه والتمثيل به ، و « لولا » كما نعرف أداة شرط تفيد الامتناع لوجود أى أن مكانة عيسى الثابتة المكنة من ربه وهى حقيقة واقعة هى التى جعلت صلبه أمراً مستحيلاً ، فالصلب إذن لم يقع. وأن يكن شوقى قد تلطف فى نفيه حرصاً على شعور المؤمنين به بغير أن يخرج فى ذلك عما تقتضيه عقيدة المؤمن بالاسلام .

وبهذا تحولت أماكن العبادة المصرية القديمة — وهى الهياكل — الى ما يشبه أديرة يعبد فيها الله على دين عيسى المسيح ، تشع فيها أنوار العبادة الحقّة وإذا الدعوة بعد تنتشر فى كل أرجاء البلاد ، وفى كل جنبات الوادى ، يقول :

وأطاعته فى الاله شيوخ خشع ، خضع له ، ضعفاء ^(١)

... ..

فاذا الهيكل المقدس دير واذا الدير رونق وبهاء

انما الأرض ملك لله ، وقد أرسل اليها ملوك الحقيقة وهم الأنبياء ، وان من واجب الناس نحوهم أن يمنحوهم الحب الخالص والوفاء الصادق ، وما ديانات هؤلاء الأنبياء الا سبل الخير والهداية وكل من ينكرها فهو خاسر شقى بهذا الانكار :

انما الأرض والفضاء لربى وملوك الحقيقة الأنبياء ^(٢)
لهم الحب خالصاً من رعايا هم ، وكل الهوى والولاء
انما ينكر الديانات قوم هم بما ينكرونه أشقياء
ويردد شوقى اسم السيد المسيح (عليه السلام) كثيراً فى شعره إذ يقول :

عيس سبيلك رحمة ومحبة فى العالمين ، وعصمة ، وسلام ^(٣)

... ..

يا حامل الآلام من هذا الورى كشرت عليه بإسمك الآلام

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٨ .

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٨ .

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٣٤ .

ولا يمل شوقى من ذكر السيد المسيح (عليه السلام) فى كل مناسبة ، وها هو فى خضم المديح الذى يغمر به رسول الله الاسلام لا ينسى أن يذكر السيد المسيح وما له من معجزات ، يقول مخاطباً النبى محمداً (ص) :

أخوك عيسى دعا ميتا ، فقام له وأنت أحييت أجيالا من الرمم
(اشارة الى معجزة احياء الموتى) .

وشوقى يحب المسيحية ويحترم ما فيها من مبادئ سامية ولكنه يحمل على سلوك كثير من البلاد المسيحية التى تصب اضطهادها وظلمها باسم الدين . وهو يعنى بغير شك تلك البلاد الاستعمارية التى لم تخب فيها النزعات الصليبية والتى تعرض كثير من البلاد الشرقية لوطئتها الاستعمارية .

ديانات أخرى :

ثم يتعرض شوقى للفترة التى انقضت ما بين عيسى وبين ظهور الاسلام . وكيف أن ظلام الجهل قد عم الناس فى شرق الأرض وغربها ، يفتك الجهل بالأفئدة ويفتك الجهلاء بمن حولهم من الخلق ، ويضل الناس فى عبادتهم ، فيعبدون الأشخاص ، والشهب ، والصخور الصماء ، وأصبح الناس يدينون بالولاء والخضوع الى الأوثان .

يقول شوقى :

أظلم الشرق بعد قيصر والغر ب ، وعم البرية الأدجاء^(١)
فالورى فى ضلاله متماد يفتك الجهل فيه والجهلاء

ويشير شوقى فى موضع آخر الى المجوسية ولكنه فى هذا الموضوع يعرض نفسه للنقد والمآخذ ، فعندما يصف المعركة التى دارت بين الترك وبين الروم فى سهل فرسال ، يصور الوغى بالنار ويصور جنود الترك بالمجوس الذين يقدمون القرابين لنيراهم تقديساً لها وتعظيماً ، فالجنود يتخذون من الأعداء ذبائح يتقربون بها الى نيران المعركة زلفى ، والصورة الشعرية لاتنسى الاشارة الى تقانى المسلمين فى تقتيل الأعداء وتذبيحهم ، وما يشوبها من تشبيه المسلم بالمجوسى . وما كان أغنى شوقى عن هذا التصوير إذ فى اللغة العربية الصورة تختلف ، هو يشبه اقبال المسلمين على الحرب باقبال المجوس على

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٩ .

النار ، هؤلاء يندفعون نحو الحرب تقرباً وعبادة ، والمجوس يندفعون نحو النار تقرباً
للالة وعبادة ، فلا ضير من تشبيه الفعل بفعل المجوس لا المسلمين بالمجوس .
وفى قصيدة أخرى يشير شوقي الى ديانات الهند مع الاشارة الى ديانات أخرى الى
جانب المسيحية واليهودية وديانة المصريين القدماء فيقول على لسان المطرية (٥) :

أنا التي كنت سريرا لمن ساد (كادورد) زمانا وشاد (١)
قد وحد الخالق في هيكل من قبل سقراط ومن قبل عاد
وهذب الهند دياناتهم بكل خاف من رموز وباد
ومن تلاميذى موسى الذى أوحى من بعد اليه فهاد
ويتحدث شوقي عن الأديان ومجموعاتها المختلفة التى عمت الجزيرة العربية وغيرها
من الانحاء قبل الاسلام يقول :

والدين بين القدماء عدوى يتقطع أجواز القفار عدوا (٢)
نار المجوس وجدت مجازا وابن سنان أنقذ الحجازا
بقية تؤمن بالجليل يتبعون ملّة الخليل
وعصبة على هدى الأحبار أهل كتاب يعبدون البارى

ثم يصف شوقي البيت الحرام وحالته قبل الاسلام :

ومعبد مشترك مشاع كل العبادات به مشاع (٣)
وكان من الطبيعى الا يتوسع فى الحديث عن هذه الديانات ، فلم يعرض علينا فى
شعره عنها الا أسماءها وأبرز معالمها بين الأديان .

(٥) المطرية : من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن فيها والخاصية فى
البئر ، يقال إن المسيح (عليه السلام) اغتسل فيها ، وفى جانبها اشمالي عين شمس القديمة مختلطة ببساتينها -
راجع معجم البلدان لياقوت الحموى .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧٧ .

(٢) دول العرب وعظماء الاسلام - ص ٢٠ : ٢١ .

(٣) دول العرب وعظماء الاسلام - ص ٢٢ .

إضفاء الصبغة الاسلامية على الشكل المسرحى :

لقد تأثرت المسرحية الاسلامية عمداً أو عفواً بالتيارات الفكرية التى هبت على الفنون الأدبية فى أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادى، كانت من سمات عصر النهضة بها . وقد طورت هذه التيارات الفن المسرحى وأكسبته على مر الزمن صفات جديدة ، وعدلت فى قواعده وغيّرت من مفاهيمه ، وكونت فيه مذاهب فنية ، وكان من أظهر هذه المذاهب أثراً فى المسرحية الاسلامية (الكلاسيكية - الرومانسية - الواقعية - الرمزية) وذلك بحكم أن العرب قد أخذوا عن الأوربيين فن المسرحية فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وترجموا كثيراً من مسرحياتهم وقلدوهم فى بناء المسرحيات وصياغتها بعد أن كانت هذه التيارات قد مرت بهم . وتلك المذاهب قد عملت عملها فى أدبهم وفى فنهم المسرحى وما نشأ من التيارات والمذاهب بعد ذلك، مما وصل أثره إلينا نتيجة لتوثيق صلتنا بالآداب الغربية عن طريق نشاط الترجمة منها الى العربية وذهاب المبعوثين الى أوروبا ووفود فرق مسرحية أوربية الى البلاد العربية، وغير ذلك من وسائل الاتصال والتأثير . والواقع أن مذهباً بعينه لم ينفرد بالتأثير فى المسرحية الاسلامية بل وجد بها تأثير مختلط ، وعناصر مشتركة بين أكثر من مذهب . فقد نجد فى مسرحية واحدة (كأميرة الأندلس) لشوقي ملامح الكلاسيكية ولامح من الرومانسية كالتوسع فى عنصرى الزمان والمكان ، ولامح من الواقعية كإثارة الشر لفة للمسرحية . وقد نجد تأثيراً كبيراً لمذهب وتأثيراً أقل لمذهب آخر .

ولعل أكثر المذاهب تأثيراً فى شعر شوقي المذهب الكلاسيكى الذى عرف بالاعتزاز بالنماذج اليونانية القديمة للمسرحية ، والالتزام بالقواعد والأصول التى استنبطت منها . وأول ما نلمح من تأثير المذهب الكلاسيكى فى المسرحية الاسلامية هو الاتجاه الى التاريخ الواقعى والأسطورى فى استمداد الموضوعات . ولكن المسرحية الكلاسيكية كانت تتجه لأمجدها ما خلد التاريخ اليونانى والرومانى وما روت أساطيرهما سعياً الى (ارستقراطية) الموضوع ، وتختار أشخاصها « رجالاً عمالقة يسمون برؤوسهم فوق مستوى العامة »^(١)

(١) قصة الأدب فى العالم - أحمد أمين - ذكرى نجيب محمود - ج ٢ - ص ٣٠٦ - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥ م .

وتختلف المسرحية الإسلامية عن المسرحية الكلاسيكية في أن أشخاص المسرحية الإسلامية لا يسمون فوق الضعف البشرى ، فهي لم تقصد الى هذا الهدف لأن الإسلام بطبيعته دين مساواة لا يفرق بين بنى الانسان ، ولا يفضل أحداً على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح . فأشخاص المسرحية الإسلامية وان كانوا ممتازين ببطولاتهم ليسوا فوق مستوى أحد من البشر ، انهم أناس سما به جهادهم وايمانهم . ويمكن أن يرقى الى مستواهم كل من يعمل مثل أعمالهم من أولى العزم من عامة الناس . وكان اتجاه المسرحية الإسلامية الى التاريخ من أجل وضع هذه النماذج الكريمة السابقة أمام الأجيال القادمة لتكون الأسوة الحسنة والقذوة الصالحة . فليس كل أبطال المسرحية الإسلامية من طبقة الملوك أو الأمراء أو الأشراف والنبلاء ، بل نجد من بينهم الرقيق الذى رفعه ايمانه وصبره وبلاؤه فى الإسلام (كبلال بن رباح) ، ونجد منهم البرأة الضعيفة التى سما بها ايمانها وحبها لربها وزهداها فى لهو الحياة وزخرف الدنيا مثل (رابعة العدوية) . وهذه ميزة تمتاز به المسرحية الإسلامية على المسرحية الكلاسيكية .

وفيما تمتاز به المسرحية الكلاسيكية تحقيقاً للوحدات الثلاث الارسطية ، وحدة الزمان والمكان والحدث . التزم شاعرنا أحمد شوقى بالفصول الخمسة فى مسرحية (أميرة الأندلس) على غراز المسرحية الكلاسيكية . وكذلك التزم بسمو لغة المسرحية الجدية وصياغتها شعراً رناناً فخم الأسلوب جيد السبك واللفظ والعبارة وذلك فى مسرحية (على بك الكبير) و (مجنون ليلى) .

وقد سار شوقى على نهج المسرحية الكلاسيكية فى اصفاء الصبغة الانسانية العامة وعلاج البشر فى عمومها لا خصوصها كما حدث فى مسرحية (على بك الكبير) التى تصور احتمال صودة الاساءة البليغة المهلكة من أقرب الناس الى الانسان حتى ليصدق المثل القائل (اتق شر من أحسنت اليه) .

ومما انتهجه شوقى من المميزات الواضحة للمسرحية الكلاسيكية « ايجاد عقد ثانوية الى جانب العقدة الأصلية بشرط الا تضعفها »^(١) وادخال عنصر الحب محركاً مساعداً للحدث المسرحى ، ونلاحظ هذين الملمحين فى بعض المسرحيات الإسلامية عنده مثل (أميرة الأندلس) فهو يدخل موضوع حب الفتى (حسون) والأميرة (بثينة) ليساير الموضوع الأسمى للمسرحية ويكون عقده تحل بزواجهما .

(١) أشهر المذاهب المسرحية — درينى خشبة — ص ٧٠ : ٧١ — ط . نموذجية ١٩٦١ م .

وكان ظهور المسرحية فى مصر قد مر بمراحل ثلاث :

- ١ - مرحلة البواكير ما بين عامى ١٨٩١ - ١٩١٤ م .
- ٢ - مرحلة النضج ما بين عامى ١٩١٥ - ١٩٣٩ م .
- ٣ - مرحلة الزواج ما بين عامى ١٩٤٠ - ١٩٦١ م .

وهذه الحدود الزمنية تقريبية اجتهادية وليست بالضرورة حدوداً قاطعة ، لأن تداخل العصور والمراحل فى تاريخ الأدب أمر طبيعى ، ولهذا كان تحديدها يتسم بالمرونة ويخضع الى القول على سبيل التقريب .

ويقع مسرح أحمد شوقى فى مرحلة النضج من حياة المسرح بعامة. ألف فيه (مجنون ليلى) و (على بك الكبير) و (أميرة الأندلس) .

والمقصود بالمسرحية الاسلامية هى المسرحية التى اتخذت من حوادث التاريخ الاسلامى على امتداده أو شخصياته المؤثرة فيه موضوعاً لها ، وشكلته فى بناء فنى يبرز الغاية منها ، وهذه الغاية تتوافق والرؤية الأخلاقية الاسلامية . وقد تتجلى فى موضوع عصرى ولكن الكاتب يعالجه من زاوية اسلامية تهدف الى توضيح الأحكام الدينية المتعلقة بهذا الموضوع .

والمضمون الاسلامى فى المسرحية يختلف قوة وضعفاً وعمقاً وسطحية وقرباً من التصور الاسلامى الصحيح ، أو بعداً، باختلاف المؤلفين واختلاف اتجاهاتهم ، وباختلاف طبيعة الموضوع واختلاف زمان التأليف ومراحل تطور طرق المعالجة . فإذا خلت المسرحية من المضمون الاسلامى بصوره الثلاث السابقة فإنها لاتحسب فى عداد المسرحية الاسلامية ولو وقعت فى عصر اسلامى أو بلد اسلامى .

وشاعرنا أحمد شوقى دخل ميدان التأليف المسرحى وبدأ بمسرحيات تقصد الى تاريخ مصر القديم فى مسرحيتى (مصرع كليوباترا) و (قمبيز) . ولكن الاتجاه الاسلامى عنده بعامة يقوى بعد عودته من المنفى فى الأندلس .

وقد التفت شوقى الى التاريخ العربى الاسلامى بمسرحياته الثلاث (مجنون ليلى) و (على بك الكبير) و (أميرة الأندلس) التى ألفها فى العامين الأخيرين من حياته (١٩٣١ - ١٩٣٢ م) .

مسرحية مجنون ليلى :

مجنون ليلى شخصية اسلامية من شخصيات القرن الأول للهجرة ، وشاعر من شعراء البادية فى تلك الحقبة من التاريخ التى ازدهر فيها الغزل العذرى على يد شعراء وقفوا حياتهم على حب واحد يتغنون به فى عفة ! ويصدرون فيه عن عاطفة حارة وحرمان متصل ، حرمان أشبه ما يكون بهذا الحرمان الارادى الذى تعمل الارادة على تغذيته من وقت لآخر ، حتى لتكاد الأحداث تخيل للقارىء أنها هى التى تقوى من هذا الحرمان أو تزيد من اشتعاله أى تكون أحداثاً يشترك فى خلقها الشخص المحروم ذاته بما يضعه فى طريقه من عوائق .

أما نظرة الاسلام الى الحب باختصار هى ما بين الزوجين من مودة ورحمة لا الحب بمفهومه ، وكما قال حديث الرسول « من أحب فعف فمات فهو شهيد » . وضغط الاسلام على العفة ، عفة الرجل والمرأة صوناً للمجتمع حتى لا يصل الى فوضى الانتماء الأسرى .

ومع ذلك فقد صودت كتب التاريخ والأخبار قصة المجنون بحيث جعلته ضحية الصراع الذى ينشأ بين الحب والتقاليد . والتقاليد هنا هى التقاليد العربية القديمة التى تحول بين الشاعر وحبيبته اذا هو شبيب بها ، أو تحدث بأسمها فى شعر يروى وينتشر ، أو اذا هو صبور فى هذا الشعر ما يمكن أن يكون سبة وعاراً بالقياس الى العربى البدوى فى تلك الحقبة من التاريخ .

هذا الصراع هو الذى اتخذته شوقى أساساً لمأساته فى مسرحيته (مجنون ليلى) فهو ملتفت كثيراً الى ما كان يحسن الالتفات اليه من وجود عوامل نفسية أخرى يمكن أن تدعم الصراع وتقويه . فقد كان من الممكن لمثل هاتين الشخصيتين اللتين اعتمد عليهما شوقى : شخصية المجنون وشخصية ليلى ، أن تصورا بملامحهما النفسية وتكوينهما البيئى والاجتماعى فى نظر كاتب المسرحية ، نموذجين من النماذج البشرية التى تشتمل على خصائص عامة تصلح أن تميزهما بطابع معين ، وتجعلهما يمثلان طائفة خاصة من البشر لها نفس الصفات ، وبها من رواسب البيئة والتربية والمزاج والتقاليد ما يفرد هذه النماذج ، ويجعلها تتسم بملامح نفسية خاصة . وفى هذه الحالة أى فى حالة ما يتجه كاتب المسرحية هذا الاتجاه أن يكون الصراع صراعاً بين عاطفة حب وتقاليد بيئية فحسب بقدر ما يكون صراعاً بين حب صنف معين من الناس وبين التقاليد ، صنف يمثل

نموذجاً خاصاً أو قطاعاً خاصاً من قطاعات النفوس البشرية التي تصطرع وتتفاعل مع تقاليد المجتمع ومفاهيم أهل هذا المجتمع .

لم يلتفت شوقي الى هذا الصراع النفسى الذى يكشف فى النهاية عن نموذج بشرى ، ولم يعن باستبطان نفس هذا الكائن البشرى المتميز بقسمات وملامح ثابتة بقدر ما اعتمد على صراع مباشر معتمد على أحداث القصة ومواقفها التي اقتبسها من القصة القديمة التي رواها صاحب الأغاني وغيره عن مجنون بنى عامر .

على الرغم من أن هذه الأحداث التي ترويها كتب التاريخ والأخبار يمكن أن تحمل فى طياتها صورة حية لشخصية انسانية لها طابعها الذاتى والنفسى ، وعلى الرغم من أن مثل هذه الأحداث كانت تصلح فى يد الفنان أساساً لدراسة حية ملهمة للشخصية الانسانية فقد أثر شوقي أن يكون ما يأخذه أو يختاره من الأحداث أساساً لتصوير الصراع المباشر بين حب قيس وبين ما يقف فى سبيله من تقاليد صارمة أكثر من أن يكون أساساً للتوغل فى أعماق هذه النفس وكشف النقاب عما يصطرع فيها من نزعات ، وما يصطدم فيها من متناقضات . وعلى الأخص إذا أخذنا فى اعتبارنا أن هذه الشخصية التي يعالجها شوقي قد وسموها بالجنون ، وأنه هو شخصياً قد أصر على الاحتفاظ بهذه الصفة وأنه اقتبسها أيضاً فيما اقتبس من أحداث وأسماء . وكلنا يعرف أن قيساً قد سمي فى كتب الأخبار بالمجنون فهو (مجنون بنى عامر أو مجنون ليلى) .

والى جانب الصراع النفسى الذى اتخذه الشاعر مادة فى مسرحيته كان هناك هدف آخر هو الاشادة بالنبل العربى ، والتغنى بسمو العرب وتضحياتهم بحياتهم فى سبيل نبيل العواطف ، أو من أجل رعاية التقاليد كما حدث لقيس ، وكما جرى لليلى . ولاننسى الأحداث الدينية التي غذى بها شوقي مسرحيته واستمد منها مادته .

مصادر القصة وأحداثها :

روت المسرحية أن قيساً قد عشق ليلى صغيراً ، وأنهما كانا يعيشان جارين ، وأنهما رعيًا ابل ، قومهما معاً ، وأنهما تلاقيا وهما بعد طفلان يلعبان بالحصى ويخطان فى الرمال ، وفى ذلك يقول صاحب الأغاني عن أبى عمرو الشيبانى وأبى عبيدة :

« كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدى بن سعد ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، معلق كل واحد منهما

بصاحبه وهما يرعيان مواشى أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه . ويدل على ذلك قوله :

صغيرين نرعى البهيم ياليت أننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهيم ،^(١)
ولقد أشار شوقى فى قوله على لسان ليلى وأبان عن بدء العلاقة بين قيس وليلى فى أبياته المشهورة التى يناجى فيها قيس صباه موجهاً خطابه الى جبل التوباد . فهذه المناجاة تبين أن العلاقة بين ليلى وقيس كانت علاقة قديمة منذ كانا طفلين يلعبان بالرمال وبينان الربوع بالحصى ، إذ يقول :

جبل التوباد حياك الحيا وسقى الله صباننا ورعى^(٢)
فيك ناغينا الهوى فى مهده ورضعناه فكنت المرضعا
... ..
كم بنينا من حصاها أربعا وأنثينا فمحونا الأربعا

ثم يعتمد شوقى فى تصوير اللقاء الأول بين ليلى وقيس فى المشهد الثانى من الفصل الأول من مسرحيته على قصة النار التى ترويهما الأغانى (للأصفهاني) فتقول عندما سأل أحد الناس قيسا عن أعجب شيء أصابه فى وجده بليلى فقال : « فأتيتهم ليلة أطلب نارا . وأنا ملتف ببرد لى ، فأخرجت لى نارا فى عطة فأعطيتنيها ووقفنا نتحدث ، فلما احترقت العطة خرقت من بردى خزقة وجعلت النار فيها فكلما احترقت خرقت أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق علي من البرد إلا ما وارى عورتى ، وما أعقل ما أصنع »^(٣) .

وإذا انتقلنا الى قصة الحج التى رواها شوقى عن قيس فسنرى أنها كذلك قديمة رواها (صاحب الأغانى) . ونلاحظ أن شوقى ترددت فى مسرحيته لوحات كثيرة جاءت مثلما وردت عند صاحب الأغانى ، وترددت معها الزوايا والأوضاع التى اختارها شوقى ، واختلفت الألوان والظلال التى أضفاها عليها . ونرى امتزاج المشاهد والأصوات عند كل من شوقى وأبى الفرج فى تصوير بعض المشاهد الدينية مثل الحج . فنرى عند صاحب الأغانى مشهد الحجيج وقد تزاحموا فى منى حول رمز الشر يرمونه ، ومن بين هذه

(١) الأغانى - ج ٢ - ص ٤٢٩ .

(٢) مجنون ليلى - المسرحية - أحمد شوقى - ص ١١٢ .

(٣) الأغانى - ج ٢ - ص ٤٥٠ .

الجموع المحتشدة المتزاحمة لا يخطيء بصره ليلى وقد تقدمت لترمى جمارها وكأنما اختفت أمام عينه كل هذه الجموع فلم يعد يرى الا ليلى ماثله أمامه بكل ملامحها وقسماتها ، حتى ليرى أطراف أناملها المخضبة تبدو من خلال بردها الذى ترتديه وهى تمد كفها لترمى الحصى الذى جمعته ، ولكنها — لسوء حظه ولمزيد من شقائه — لم تكد تظهر حتى اختفت .

يقول :

فلم أر ليلى بعد موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب ^(١)
ويبدى الحصى منها اذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
وفى ديوان المجنون وردت لوحة أخرى وهى أشد تفصيلا وأكثر ألواناً ، تكاملت لها عناصرها المسموعة بما وفره لها من مؤثرات صوتية غنية بأصداؤها الموحية وأنغامها المعبرة تصور مشهد الحجاج . وهذه المشاهد أوحى الى الشاعر شوقى بمزيد من التأثر وانعكاس هذه الأفكار على مادته المسرحية ، يقول الشاعر :

ذكرتك والحجيج لهم ضجيج بمكة ، والقلوب لها وجيب ^(٢)
فقلت ، ونحن فى بلد حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك ، يا رحمن ، مما عملت ، فقد تظاهرت الذنوب
فأما عن هوى ليلى ، وتركى زيارتها ، فانى لا أتوب
وكيف ، وعندها قلبى رهين أتوب اليك منها أو أنيب ؟

لقد استمد مؤلف مجنون ليلى ألوان صورته من مشهد حجاج بيت الله الحرام ، وقد ارتفعت أصواتهم بالتلبية والدعاء ، وخشعت قلوبهم من خشية الله ، وخلصت سرائرهم لوجهه تعالى ، ومن أعماق المشهد الدينى المقدس يرتفع صوت العاشق المحزون يعلن توبته من ذنوبه الكثيرة للرحمن فى ساحة قبول التوبة واستجابة الدعاء ، ويتوجه اليه تائباً من كل ذنوبه الا من حب ليلى فانه لا يملك أن يتوب عنه ، لأنه ليس خطيئة أو ذنباً ، وانما هو حب مشروع لا اثم فيه ، بل هو قدر مقدور فرضه الله عليه ، فهو يقف أمامه مسلوب الارادة ، بعيداً عن مجال الاختيار ، لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، ففيم

(١) الأغاني — ج ٢ — ص ٢٠ .

(٢) ديوان مجنون ليلى — ص ٢٥ .

تكون التوبة إذن ؟ انها لوحة اسلامية جديدة متكاملة ، وفر لها الشاعر خطوطها وألوانها من مشهد الحجيج وضجيجهم في البلد الحرام .

والشاعر العاشق يدعو الله دعوة أخرى ، انه يسأله أولاً أن يجمع بينه وبين محبوبته ، وأن يضم شملهما في حياة زوجية سعيدة ، ثم يعاهده إن استجاب له أن يتوب توبة لم يتبها أحد غيره . ويبدو أن المجنون استلهم أشعاره من تجربة واقعية مرت به وتركت أثارها العميقة في نفسه ، ففي أخباره أن أباه حج به في موسم من مواسم الحج ليدعو الله له بأن يعافيه مما به ، وأنه طلب إليه أن يتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله أن يعافيه من حب ليلي ، فتعلق بها وقال : « اللهم زدني ليلي حبا ، وبها كلفا ولا تنسني ذكرها أبدا »^(١) . وهذا المنظر يصوره شوقي بقوله :

زياد انظر فما انفك	صريع الوجد والذكرى ^(٢)
كما مر بنا الركب	الحسيني به مرا
فلم يشغل له بالا	ولم يوقظ له فكرا
(زياد) :	

رويدا سيدي مهلا	ولا تستغرب الأمرا
لقد سقناه بالأمس	فحج الكعبة الفرا
فلما لمس الركن	ومست يده السترا
وقلنا الآن من ليلي	ومن فتنتها يبر
سمعناه ينادي الله	من ساحته الكبرى
(ابن عوف) :	

وماذا قال ؟

(زياد)

ما تاب	من العشق ولا استبرا
ولكن قال يارب	ملككت الخير والشر
فهات الضر ان كان	هوى ليلي هو الضرا

(١) (١) الأغاني - ج ٢ - ص ٢١ : ٢٢ - وأيضاً ص ٥١ .

(٢) مجنون ليلي - مسرحية - أحمد شوقي - ص ٣٩ .

وان كان هو السحر فلا تبطل لها سحرا
ويارب هب السلوى لغيري وهب لى الصبرا
وهب لى موتة المضمنى بها لا ميتة أخرى

وفى موضع آخر من شعر المجنون يتراءى له المشهد من خلال سمعه وبصره وقلبه معاً ، وفيه تتداخل الحواس لتلتقى حول هذا الموسم الاسلامى المقدس لتصور وقعه فى نفسه :

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى ^(١)
دعا باسم ليلى غيرها ، فكأنما أهاج بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه وليلى بأرض عنه نازحة مفرى
وواضح أن هذه القصة أغرت شوقى بنظمها أبياتاً ذاعت لجمالها الشعرى يقول فيها :

ليلى ! مناد دعا ليلى فخف له نشوان فى جنبات الصدر عريدى ^(٢)
ليلى ! انظرى البید هل مادت بأهلها وهل ترنم فى المزممار داود
ليلى ! نداء بليلى رن فى أذنى سحر لعمرى له فى السمع ترديد
ليلى تردد فى سمعى وفى خلدى كما تردد فى الأيك الأغاريد
هل المنادون أهلوها وأخوتها أم المنادون عشاق معاميد

لم يعد الشاعر فى نظر شوقى يسمع الا اسم (ليلى) يدعو به واحد منهم فهو لم يعد يبصر الا اياها ، واذا هو يرهف السمع ويمد البصر لعله يراها ولكنه — لسوء حظه ولمزيد من شقائه مرة أخرى — لم تكن (ليلاه) وانما كانت « ليلى » غيرها فهاجت أحزانه المكبوتة فى أعماقه ، واثارت طيور الشوق التى كانت ساكنة فى صدره تعريد من جديد ، وتجدد أحلامه الضائعة .

ومع هذه الاشارات المتكررة والأحاديث المتكررة والأحاديث المتصلة عن الحج ، تترد فى شعر شوقى اشارات الى الصلاة ولكن بدرجة أقل . وربما كان السبب فى ذلك أن مواسم الحج كانت فرصة قد تتيحها أيام منى بصفة خاصة لرؤية هؤلاء العشاق لمحبيباتهم فى أمثال هذه اللقاءات الخاطفة العابرة ، وكانت هذه اللقاءات تترد فى أشعار هؤلاء .

(١) الأغاني — ج ٢ — ص ٥٥ — وانظر أيضاً ص ٢٢ وفيه (أطراب) مكان (أحزان) :

(٢) مجنون ليلى — مسرحية — أحمد شوقى — ص ٤٠ .

لقد تضاربت الآراء فى مدى تاريخية القصة ، أى منهم من قال إنها شخصية خيالية ومنهم من قال إنها شخصية اسلامية حقيقية كما قلنا فى بداية كلامنا عنها ، لكن شوقى صبغها بصبغة التاريخ الحقيقى حين حدد زمنها بصدر الدولة الأموية ، وحاول أن يحدد أكثر بايجاد صلة زمنية بين فترة حوادث المسرحية وفترة معينة من حياة الحسين بن على (رض) ، كما أضفى عليها ظلالا اسلامية عامة فى الزمان وفى المكان ، ولون بعض مواقفها بلون اسلامى مما سوع لنا أن ندخلها فى عداد المسرحيات الاسلامية . ونلاحظ ما تدور حوله أحداث المسرحية من عاطفة الحب العفيف بين بطليها (قيس وليلى) . فعلى الرغم من قوة هذا الحب وتأججه ، فان (العفة) من أهم ما يطلبه الاسلام ويدعو اليه الجنسين الرجل والمرأة صوناً لصحة النسب وحفاظاً على الخلق وحماية للمجتمع من الفوضى فى الانتماء والصلات البشرية ، فاذا انتهى الأمر الى الزواج فذاك ، والا فالعرض موفور والدين سالم كما حدث فى هذه المسرحية ، وان كان الشاعر قد صور لنا (ليلى) أشد تمسكاً من (قيس) ربما تحت تأثير ما اعتراه منالذهول وشبه الجنون — فيطلب منها مرة قبله ومرة أن ترحل معه الى الخلوات فتأبى وترد باستحالة ذلك حفاظاً على الشرف واباء للعار :

لست يا قيس فاعلا ولا لى بما تدعو اليه يدان ^(١)
ولعل الشاعر أراد أن يبرز معنى اسلامياً آخر هو تمسك المرأة المسلمة بالوفاء لزوجها مهما كانت الظروف التى تحيط بها ، ويتجلى ذلك فى الموقف السابق حينما تجاهل (قيس) مكانة (ورد) من (ليلى) بعد أن صارت زوجة ، فتد (ليلى) (قيسا) الى الصواب :

ورد هو الزوج فاعلم قيس أن له حقاً على أؤديه وسلطانا ^(٢)
ومن الظلال الاسلامية العامة والتى حرص شوقى أن يضيفها على المسرحية هذا الجو الاسلامى العاطفى بمشاعر الناس فى ذلك العهد وفى تلك البيئة المكانية نحو (الحسين السبط) (رضى الله عنه) حيث كان كعبة القلوب والأبصار فى جزيرة العرب بعد قتل أبيه وموت أخيه وانتهاء الخلافة الى (معاوية بن أبى سفيان) .

(١) مجنون ليلى — مسرحية — أحمد شوقى — ص ١٠٦ : ١٠٧ .

(٢) نفس المصدر السابق .

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يبتسم للزمن الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين الذى هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلاً منه يقينه وإيمانه (تعرض عنه الدنيا) التى أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بنى أمية فتنقله من حيث كان يراه هذا العربى فى الحجاز ميزان العدل وآية الزهد والورع الى حيث قدر له أن يكون فى دمشق ملكاً دنيوياً ، وكذلك ظل (الحسين) قائماً فى نفوس الناس صورة مقدسة لبدأ الاسلام تستمد أنضر ألوانها من صلته القريبة بجده الرسول (ص) . وبنوته لرجل كان أشد الناس زهداً واستصغاراً لدنياه (على بن أبى طالب) ، وكذلك ظهرت بلاد العرب فى المسرحية وقلبها يخفق باسم (الحسين) ولسانها المقول اما منافق يترضى الحاكم الجديد ، واما خائف تسنح له الفرصة فيهتف باسم (الحسين) فى معزل عن العيون والأبصار ^(١) .

ونجد ذكر (الحسين) كثيراً فى المسرحية على السنة كثير من الشخصيات مثل ما جاء فى الفصل الأول :

عبلة :

أسمع بشر رضيع الحسين فديت الرضيعين والمرضعة ^(٢)
وأنت اذا ما ذكرنا الحسين تصاممت !

بشر : (هامساً وملتفتاً كأنما يخشى أن يسمعه أحد)

لا جاهلاً موضعه .

ولكن أخاف أمراً أن يرى على التشيع أو يسمعه
أحب الحسين ولكنما لسانى عليه وقلبى معه !
حبست لسانى عن مدحه حذار أمية أن تقطعه
اذا الفتنة اضطربت فى البلاد ورميت النجاة فكن إمعه

وما جاء فى الفصل الثانى حين مر ركب الحسين :

(١) مجنون ليلى - مسرحية - أحمد شوقى - ص ٨٢ - الفصل الرابع .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٨ - الفصل الأول .

الحادى : هذا الحسين الامام ^(١)

ابن عوف : هذا منار العرب

وغير ذلك كثير من المواضع التى ورد فيها ذكر الحسين .

وقد كان شوقى موفقاً حين جعل نصب عينيه — فى كثير من الأحيان — شعر البطل نفسه ، فكان يعتمد على معانيه حيناً ، كما كان يقتبس بعض نصوصه حيناً آخر ، مما جعله أكثر تعبيراً عن حقيقة الشاعر وواقعه التاريخى والنفسى .

ومن أمثلة اعتماد شوقى على بعض معانى الشاعر الأصلية قوله على لسانه فى المسرحية :

إذا الناس شطر البيت ولو وجوههم تلمست دكنى بيتها فى صلاتيا ^(٢)
فهو من قول المجنون :

أرأنى اذا صليت يمت نحوها بوجهى وان كان المصلى ورائيا ^(٣)
بل أن بعض تلك الأشعار التى أجراها شوقى على لسان بطله قد لغبت دوراً هاماً وأساسياً فى مسار الأحداث ، ولأن الموضوع عربى كان اجراء الشعر على ألسنة الشخصيات أكثر ملاءمة وأقرب الى الطبيعة .

وقد حفلت المسرحية بالمواقف (الدرامية) والفنائية الجيدة التى تآزرت — مع الشعر الرائع — على جعل هذه المسرحية من أنجح مسرحيات شوقى جميعاً .

ولكن هناك بعض المآخذ على شوقى وهى أنه فى بعض الأحيان اعتمد على بعض الحكايات غير المعقولة ، أو التى لا تخدم المسرحية ولا هدفها مثل حكاية اختراق قيس بالنار وهو لاه عن نفسه أثناء حديثه مع ليلى ، حتى مست النار لحمه دون أن يحس وغيرها من الحكايا ^(٤) .

كذلك يؤخذ على هذه المسرحية أن مؤلفها قد جعل بعض الشخصيات تتصرف تصرفات للعرف . فمثلاً (ورد) فى المسرحية — وهو زوج ليلى — يبيع لقاء قيس

(١) مجنون ليلى — مسرحية — أحمد شوقى — ص ٣٨ .

(٢) مجنون ليلى — مسرحية — أحمد شوقى — ص ٤٦ .

(٣) ديوان — مجنون ليلى — ص ٢٥ .

(٤) المسرحية فى شعر شوقى — د . شوكت — ص ٨١ .

واختلاءه بصاحبته فى بيت الزوجية ، وهذا غير مألوف ^(١) ، مهما قصد به الإشادة بنبل للعرب وسماحتهم .. ووالد ليلى حين يتقدم اليه (ابن عوف) ملحاً فى اتمام زواجها من قيس ، يترك الخيار لها لتبدي رأيها ، فترفض ايثاراً للتقاليد . وهذه من المبالغات المفرطة مهما أريد الإشادة بمنح الأب العربى الحرية للبنت ، ومهما قصد الى الإشادة برعاية البنت للتقاليد ... ولىلى فى مشهد (سمر ليلى) نراها تقدم ابن ذريح لصاحباتها وتقدمهن له ، تماماً كما تفعل الحضريات فى العصر الحديث فى بعض النوادى أو حفلات السمر .

وكل هذا مما يخرج المواقف عن طبيعتها المألوفة ، ويصرفها عن توقعاتها المنتظرة .

يقول د . محمد حسن : « وقد أخذ على هذه المسرحية بعامة ضعف عنصر الدراما فى مواقفها المختلفة ، وبخاصة فى موقفها الأساسى وهو الصراع الذى تعانيه الشخصيات المختلفة ، فى تمزقها بين سلطة التقاليد ورغباتها وعواطفها الخاصة ، ان هذا الصراع مفتقود تقريباً فى بناء شخصية قيس ، وهو سريع مقتضب فى باقى الشخصيات ، فلا تكاد ليلى تحكم فى مصيرها حتى تصدر حكمها فى عجلة ، كأنها قررت ذلك منذ زمن ، ولا تجد دافعاً للقلق أو المراجعة . وكذلك الأمر بالنسبة للمهدى وورد أيضاً ، وكان الأولى أن نعايش قلقهم وعذابهم وتناقضهم وعثراتهم .. فهذا هو الذى يجعل منهم شخصيات انسانية قادرة على بث الحياة فى المسرحيه ، وقادوة أيضاً على اقناعنا» ^(٢)

ومع كل هذا فقد استطاع شوقى فى هذه الدوائر الجديدة أن يحقق مزاجاً أخرى بين الموقف الدينى والموقف العاطفى .

(١) مسرحيات شوقى - د . مندور - ص ٦٥ .

(٢) د . محمد حسن عبدالله - فنون الأدب - ص ٩٧ - دار البحوث العلمية سنة ١٩٧٧ - الكويت .

مسرحية على بك الكبير:

أما مسرحية (على بك الكبير) وقد ألفها شوقي أول أميرها عام ١٨٩٣ ، وهو فى شبابه يطلب العلم فى باريس ، وكانت باكورة ضعيفة فناً وأسلوباً ، ولذلك عاد إليها عام ١٩٣٢ م وأخرجها اخراجاً جديداً معدلاً فى مواقفها ، مغيراً فى أسلوبها ، فظهرت فى ثوب جديد هو الذى يدرسه الدارسون . لذلك جعلت موضعها هنا فى مرحلة النضج . وهذه المسرحية كسابقتها (مجنون ليلى) ليست اسلامية الموضوع ولكن المؤلف ضمنها كثيراً من المعانى والمواقف الاسلامية ، ولذلك ندخلها فى نطاق المسرحية الاسلامية ، وهى تصور جانباً من فترة كانت من أحلك فترات تاريخ مصر الاسلامية حين كانت تحكم حكماً مزدوجاً عجيباً يجمع بين سلطتى الأتراك والمماليك وينوء بمظالمهما الشعب المصرى ..

وتصور المسرحية مأساة رجل من المماليك هو (على بك الكبير) سمت بعد همته الى محاولة الاستقلال بمصر والوطن العربى عن الأتراك ، واستعادة الشخصية المفقودة لمصر زعيمة العالم العربى ، واسترجاع المجد القديم . وينجح الرجل أول الأمر وينتصر على الأتراك ، ويبدو أن الأمل قد تحقق فى بسمة واشراق ولكن أقرب الناس اليه يطعنه بخيانة نكراء فتكون نهايته ونهاية الأمل معه .

وأول ما نلاحظه من اللوحات الاسلامية فى جو المسرحية هذا الحوار فى الفصل الأول بين (شمس) و (زكية) الجاريتين و (أم محمود) الماشطة حين يسمعن ، وهن فى قصر (على بك الكبير) ، صوتاً شجياً يردد آذان العصر فى محراب دار الامارة :

شمس :	ما هذه الرنة	فى قبة القصر ^(١)
زكية :	صوت من الجنة	يهتف بالعصر
أم محمود :	ما زالت السنة	والبر فى مصر
	يا رب ايدها	بالعز والنصر

وفى الفصل الأول أيضاً يصور لنا المؤلف شوقي (على بك) حاكماً صالحاً سخياً يحرص على احياء المواسم الدينية على لسان (رزق) وكيل الخزانة :

رزق : الفضة انفضت وما قد كان من ذهب ذهب^(٢)

(١) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقي - ص ٩ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٩ .

· رمضان راح بنصفه والنصف راح به رجب
وعلى لسان (على بك الكبير) نفسه يعدد ما صنع من أجل الفقراء واليتامى من
رعيته :

أجل نحن أطعمنا الفقير ولم يكن له فى قصور المترفين طعام^(١)
ونحن سقينا ابن السبيل ولم يكن يبلى له فوق الطريق أوام
ونحن حضنا اليتيم نمسح دمه وأواه منا محسنون كرام
ولقد اعتمد شوقى هنا على المأثور التراثى القرأنى .. قال تعالى : « كلاب لا
تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين »^(٢) وقال تعالى : « فأت ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل »^(٣) .

وعن اهتمامه ببناء دور العلم وإنشاء المساجد ودور الرعاية الاجتماعية والصحية
يقول (على بك) :

ونبنى فركن للثقافة والحجا يشاد وركن للصلاة يقام^(٤)
ودار يواسى البؤس فيها ومنزل تداوى جراحات به وسقام
ونرفق بالعجماء نأسو جراحها تقات على ساحاتنا وتنام
وفى الفصل الأول من المسرحية يصور لنا المؤلف العفة والوفاء للزوج الغائب فى
شخصية (آمال) زوج (على بك) الذى لم يلبث عقب الزواج أن غاب عنها فى مهمته
الخطيرة ، ويدخل (مراد بك) عندها محاولا التقرب منها باسم الحب ، فترده بعنف
وتلقنه درس الفضيلة :

مراد بك : بحق الحب مولاتى^(٥)

آمال : ظلمت الحب يا غادر

فما	الحب	فضولى	ولا لص	ولا	فاجر
ولكن	معدن	النبلى	وكنز	الخلق	الطاهر

(١) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٣٠ .

(٢) قرآن كريم - سورة الفجر (آية ١٨ ، ١٩) .

(٣) قرآن كريم - سورة الروم (آية ٣٠) .

(٤) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٣٠ : ٣١ .

(٥) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٤٧ .

ويكمل شوقي هذه الصورة الطيبة الكريمة لتلك السيدة الفاضلة فى الفصل
الثانى على لسان الجارية (شمس) تقص على (على بك) ما كان من أمر
(آمال) بعد رحيله الى الشام :
على بك : فوجدتها يا شمس^(١)
شمس :

خير عقيلة وأجل ربة منزل وحجاب
ملأت مكانك غزوة ومهابة وكست حماك جلالة المحراب
سهرت على ذكرى الأمير وعهده سهر اللبابة على حريم الغاب
وفى الفصل الثانى و (على بك) فى محنته حيث يقيم ضيفاً على صديقه (ضاهر
العمر) صاحب عكا ، يتقدم قائد الأسطول الروسى ويعرض على (على بك) النزول فى
سفن الأسطول ضيفاً على القيصر فيأبى ويعتز بجيرة أخيه المسلم وضيافته :
على بك :

أنا فى دار ضاهر وهى دارى مع أعوانه وهم أعوانى^(٢)
أنا فى دار مسلم عربى مانع الجار مكرم الضيفان
ويعرض عليه القائد الروسى أن يسير معه بالأسطول ليسترد عرش مصر من الخبائن
(محمد بك أبو الذهب) وأعوانه ، فيرفض (على بك) مع أن الاغراء كان شديداً
وحاجته كانت ماسة الى هذه القوة الضخمة لتأديب خصومه واسترجاع ملكه ، فيتردد
قليلاً ثم يرفض هذا العرض فيما بينه وبين نفسه قائلاً :
على بك لنفسه :

رباه ماذا يقول المسلمون غداً إن خنت قومى وأعمامى وأخوالى^(٣)
يقال فى مشرق الدنيا ومغربها فعلت فعلة نذل وابن أنذال
فهو يعتبر قبوله لهذا العرض عازاً وخيانة وخروجاً على الاسلام ، وعلى المبدأ

(١) نفس المصدر السابق - ص ٣٠ .

(٢) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقي - ص ٧٠ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٧٣ .

الاسلامى (ألا يستعان بكافر على مسلم) ويعلن للقائد رأيه بصراحة حتى ولو أدى ذلك الى فقد أمله :

على بك للقائد :

لا أستعين على الأهل الغريب ولا أرمى الذئاب على غابى وأشبالي^(١)
ويصور أخطار الاستعانة بالأجنبي وما يكمن وراءها من أخطار :

على بك :

الموت فى ثمر ترقى لتجنيه فى سلم من ثعابين وأصلا
ويزكى شوقى هذا الموقف الاسلامى العظيم من (على بك) يقول شمس فى تأييده :

شمس :

دع الروس لا تنتصر بالغريب وبالله بالأقربين انتصر^(٢)
ويعلر (على بك) أواخر الفصل الثانى لحركته الاستقلالية عن تركيا بأنها كانت حركة إصلاحية من أجل إنقاذ مصر ونهضتها ، بعد أن تبين فساد الحكم التركى للعالم الاسلامى :

على بك :

وكنّا خططنا انتشال البلاد وانقاذها من عتو التتر^(٣)
وأن نستقل بسلطانها وننهضها فى النواحي الأخر
وفى خطابه لحليفه (ضاهر العمر) صاحب عكا ، يصور عزمه على السير لتأديب الخائن (أبى الذهب) بأنه سعى لتحقيق هذه الأهداف الإصلاحية :

على بك :

ان جمعنا اليه جيشك سرنا وأخذنا محمداً أخذ قادر^(٤)

(١) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٧٣ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٧٦ .

(٣) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٧٧ .

(٤) نفس المصدر السابق - ص ٧٨ .

وانتزعنا البلاد من قبضة الترك ومن كل فاسق الحكم سادر
أن أن ننقذ البلاد فماداً أنت راء هلم والجيش حاضراً
ضاهر :

ثم يصور التعاون الذى تم بين (على بك) و (ضاهر العمر) على أنه صورة من
التعاون الدائم بين (مصر والشام) الذى كان على مر التاريخ مناط النصر ولمصلحة
العروبة والاسلام على لسان (ضاهر) :
ضاهر : عرب الشام تلك مصر دعتكم^(١)
جماعة من عرب الشام (الجنود) :

ألف ليك مصر ليك ضاهر

تلك هى المواقف والمضامين الاسلامية فى مسرحيتى شوقى (مجنون ليلى)
و (على بك الكبير) ، وكان فى استطاعة الشاعر أن يعنى هذه المواقف وتلك المعانى
أكثر مما فعل ، ولكن هذا القدر أشاع فى المسرحيتين جواً اسلامياً محبباً .
ومن أجل أنهما أول مسرحيتين شعريتين فى مصر تجلت فيهما الروح الاسلامية
اعتبرت (شوقى) رائد المسرحية الاسلامية الشعرية .

أميرة الأندلس :

ثم أخرج شوقى مسرحيته (أميرة الأندلس) وهى من أنضج مسرحياته وأجدرها
بوصف المسرحية الاسلامية ، وهى تعالج الموضوع الذى عالجه من قبل (ابراهيم
رمزى) فى مسرحيته (المعتمد بن عباد)^(٢) . ولكن بفن أنضج وأسلوب أدق ، ونظرة
أعمق ، ومن العجيب أن يختار شوقى لمسرحيته هذه أسلوب النثر وهو الذى اختار أسلوب
الشعر لسائر مسرحياته ، فهى المسرحية النثرية الوحيدة بين مسرحياته مع أن موضوعها
يدور حول الشاعر (المعتمد بن عباد) . فلعل شوقى أراد أن يثبت قدرته لا فى مجال

(١) مسرحية على بك الكبير - أحمد شوقى - ص ٧٩ .

(٢) مسرحية المعتمد بن عباد - ابراهيم رمزى - المقتطف - ١٨٩٢ .

الشعر وحده وانما فى مجال النثر أيضاً ، ولعله أيضاً تأثر أخيراً بمذهب الذين يرون أن النثر أنسب للمسرحية من الشعر ^(١) .

يصور شوقى فى هذه المسرحية مأساة بلد ومأساة عصر ومأساة رجل . أما البلد فهى (الأندلس) درة أقطار الاسلام وفردوس المسلمين المفقود . وأما العصر فعصر (ملوك الطوائف) بالأندلس الذى شمل معظم القرن الخامس الهجرى وما ساه — بعد العزة والقوة والوحدة فى العصر السابق — من فرقة وانقسام وفتن أسلمت أهله الى الذل وللانهيار ، مما كان بداية النهاية لغروب شمس الاسلام فى الأندلس . وأما الرجل فهو (المعتمد بن عباد) أعلى ملوك الطوائف شأنًا وأوفرهم أدبًا وأكرمهم خلقًا وأقربهم الى خصال العروبة والاسلام ، والذى حاول انقاذ الأندلس تحت زعامته ، وكان ضمينًا بأن ينجح لولا حظ غير مساعد ، وظروف أحاطت به كانت أقوى من همته .

وقد جعل شوقى مسرحيته فى خمسة فصول ، وفى الفصل الأول نرى مشهداً فى قصر (ابن عباد) بأشبيلية ، يتجاور فيه بعض رجال القصر بما يفيد تأزم أمور السياسة وتهدد البلاد بالخطر ، كما نعلم من أبناء قرطبة عن طريق حديث الأميرة الى رجال القصر ، أنها فى قلق وأنها تتوقع عدواناً من بعض ملوك الطوائف المناوئين لأبن عباد ، وأن الفتن تهددها وتحرج موقف الأمير الظافر بن المعتمد بها ... ثم فى مشهد آخر يضم المعتمد وأحد كبار فقهاء الأندلس العائدين من المغرب . نعلم أن أميراً مرابطياً يخطب بثينة ابنة المعتمد ، وحين تقبل بثينة يسألها والدها بحضرة الفقيه فترفض الخطبة . ويبارك والدها هذا الرفض .. ونعلم فى هذا الفصل من أبناء الأميرة أنها أعجبت — أثناء وجودها — بفتى يمتاز بالثقافة والأدب والفروسية ، وكانت قد التقت به فى سوق الكتب ، حيث كانت تشتري كتاباً ، فزايد على هذا الكتاب حتى ظفر به . وأخيراً نشهد فى الفصل مجلساً لأبن عباد يضم بعض نبلاء الأسبان ، وفى هذا المجلس يعاقب المعتمد (ابن شاليب) رسول ملك الأسبان ، لتجرئه على اهانة (ابن عباد) اهانة لا يقبلها ملك عربى كريم ، ويقره النبلاء على هذه العقوبة التى كانت القتل ، والتى يخفف من وقعها أنها لاتحدث بمرأى من المشاهدين . وهكذا يشيع فى هذا الفصل الاحساس بالخلافات

(١) راجع سير المسرحية نحو النشر فصل الرواية المسرحية — من كتاب فنون الأدب — تأليف هـ . ب تشارلتن — تعريب زكى نجيب محمود — ص ١٨١ .

ولقد وفق شاعرنا شوقى فى عرض بعض جوانب مأساة الأندلس وما تأمر عليها من تناحر الأمراء وأنانيتهم ، واستسلامهم للاسترخاء وعدم اعتمادهم على قوتهم الذاتية فى حماية بلادهم والحفاظ عليها وعلى تراثهم .

« وربما يكون قد أراد من وراء ذلك أن ينبه الى وجوب تضامن الرؤساء العرب ، وأطراحيهم للأناية ، وأخذهم الأمور مأخذ الجد »^(١) .

وكذلك وفق شوقى فى الاشادة بالخلال العربية الكريمة الأصيلة ، التى تتجلى أعظم ما تتجلى فى الشدائد ، كما رأينا من أباء ابن عباد وبطولته ومن شهامة حسون وفروسيته ، ومن نبل أبى الحسن ، وكرم (ابن الحيون) ، وما الى ذلك مما خلعه المؤلف على بعض الشخصيات الخيرة فى روايته .

وبلجوء شوقى للنثر فى هذه المسرحية فوت على مسرحيته بعداً فنياً ممتازاً ، ولكن هذا لم يمنعه من تصوير المأساة بأبعادها الأليمة الثلاثة ، ليجعل منها عبرة باقية للمسلمين فى شتى ديارهم وعلى مر الزمان تحذروهم من اللهو والشقاق ، وتحضهم على الجد والاعتصام بحبل الوحدة المتين .

أتقن شوقى تصوير عصر الطوائف من الزوايا التى أرادها ، فأبرز الفرقة والخلاف والشتات وبين عواقبها ، وأبرز ما تحتاجه المجتمعات من أخلاق فى مثل هذه الحالات ، وفى عبارات موجزة وجمل قصيرة صور فقال :

« الأندلس فى هذه الأثناء كالأسد الواقع فى الحفرة ، ان سكن لم ينفعه وان تحرك لم يرفعه ، وحدة ممزقة ، وكلمة متفرقة ، وآمال بالعدو معلقة »^(٢) .

« وكانت الأندلس مفككة الأوصال ، لاثبات فيها ولا استقرار ، تكاد كل مدينة فيها تشكل دولة ، ولا تكاد تستقر تلك الدولة فى يد أمير حتى يستولى عليها غيره ، تقول بثينة : (آه من قرطبة وفجاءاتها يا جوهر وويلي على أخى الظافر من هذه الولاية الحمراء التى لم يقلدها أمير الا قتل أو عزل ... عرش يضطرب تحت كل جالس ، وتاج لا يستقر على رأس كل لابس) »^(٣) .

(١) الأدب القصصى والمسرحى فى مصر - د . أحمد هيكى - ط . ثالثة سنة ١٩٧٩ م - دار المعارف بمصر .

(٢) مسرحية أميرة الأندلس - أحمد شوقى - ص ٦٠ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص ١١ .

والانقسامات والأخطار التي تهدد الأندلس من الأسبان تارة ، ومن بعض ملوك الطوائف تارة أخرى ، ثم من المرابطين في شمال افريقية آخر الأمر ، ومن هنا تبدو بوادر الأزمة .

وفي الفصل الثاني يعمق الاحساس بالخطر ، ويزداد الشعور بالأزمة ، حيث نرى بعض صور الصراع بين الأندلسيين والأسبان ، ونشاهد بعض الأحداث الدالة على عدم ضبط شئون البلاد ، فنرى مشهداً في خان ، يتحدث فيه بعض المغامرين الأندلسيين عن مغامرة أسر فيها أميراً أسبانيا ، واستخلص بعض الجواهر الثمينة من الأسبان ، وعاد الى أشبيلية بالأمير والجواهر في زهو المنتصر . ثم نشهد بعض اللصوص يهاجمون المغامرين الجالسين في هذا الخان ليستصنفوا الجواهر ، وقد تحايّلوا أولاً على ذلك بتخديرهم وذلك بأن تقدم أحد اللصوص متنكراً في زي بائع حلوى ، وحين اشترى منه الجلوس حلواه وأكلوها أصابهم خدر . وهنا هجم بقية اللصوص وراحوا يبحثون عن بغيتهم . غير أنهم خابوا في العثور على الجواهر ، لأن المغامر الذي كان قد استخلصها من الأسبان ، قد خبأها في سرج قديم ملقى بالخان لا يلتفت النظر . وقد شاء الحظ أن يستتر أديب بهذا السرج ، وكان هذا الأديب (ابن حيون) ممن يجلسون مصادفة في هذا الخان ، ولكنه لم يشارك في أكل الحلوى المخدرة ، فكان واعياً حين هجم اللصوص ، فتناوم واختفى بالسرج ، وأحس ما فيه فاستصفاه لنفسه ، لأنه رأى أنه أولى به من المغامرين واللصوص جميعاً .

وفي الفصل الثالث ، يتأكد الاحساس بمضمون القصة الثانوية الخيالية وهي قصة حب بشينة وحسون ، ففي منزل أبي الحسن التاجر الأشبيلي الكبير — والد حسون — نعلم أن هذا التاجر قد أصيب بكوارث مالية ، حيث أصيبت سفنه وضاع الكثير من ماله ، وأصبحت داره مهددة باستيلاء الدائنين عليها أو بشراء بعض الأثرياء لها .

وفي الفصل الرابع تتحقق ذروة الأزمة في القصة التاريخية ، حيث يفد ابن تاشفين على الأندلس غازياً ، ويقبل جنده على أشبيلية ، ويستشير ابن عباد آله وأعوانه فيما يفعل — وقد علم أن ملوك الأندلس يخضعون تبعاً لابن تاشفين — ويستقر عزمه على الدفاع وعدم الاستسلام ، ويخرج للقاء المعتدين في شجاعة وهو ينشد أبياتاً من شعره الحماسي الحار .

وفي الفصل الخامس نعرف أن ابن عباد قد هزم وأسر هو وآله في (أغمات) بالمغرب ، وأنه يحيا في مرارة الأسير وذل العزيز .

اكتشف حسون مؤامرة لاغتيال الأمير الظافر وازالة امارته عن قرطبة ، وكان شيطان الفتنة ورأس أفعالها هو الأمير حريز بطل الأندلس المشهور ، وقتل الظافر واستولى القادر وحريز على قرطبة ، ولكن طليطلة بلد القادر سقطت في يد الفرنجة ، فاستضعفهم الفرنجة لتفرقهم ، فأخذوا منهم الإتاوات كما اتضح من قصة المعتمد مع ابن شاليب رسول الفونس ملك الفرنجة . أما الشعب فهو الضحى والضحية دائماً يدق النفير فيهرع للقتال ، ففي معركة الزلاقة ، وقف ابن حريز قاتل الظافر مع والده المعتمد وقاتل حتى قتل ، وكذلك فعل لص الأندلس الباز بن الأشهب ^(١) .

وترد بعض التشبيهات في المسرحية ولكنها قليلة ولا تجديد فيها ، فمعظمها معروف كقوله في تشبيه الأميرة :

« كأنها البدر في الليلة الظلماء » أو « كأنها الظبي يتخطر على الحصباء » ^(٢) .
وكقوله عن القلنوسه وقد انزاحت عن رأس الأميرة فبانت ضفائرها : « هذه ضفائر فتاة قد هوت عنها القلنوسه فانسدت كجنح الليل على جبين كغرة الصباح » ^(٣) .
أما الاستعارات فقد جاءت طبيعية لا تكلف فيها ، وقد برز تجسيم المعنويات وتشخيص الطبيعة كقوله :

« الولد سفير المودة والرحمة بين الوالدين » ^(٤) .
« الحرب لا تسأل عما تفعل » ^(٥) .
« الرحمة قد بسطت جناحيها » ^(٦) .

ولم تكثر المحسنات البديعية في هذه الرواية ، فالسجع فيها قليل ولا يظهر إلا حين يطول الحوار ، ومن أمثلة ذلك ما ورد على لسان ابن عباد يحدث نفسه وكأنما أراد ألا ننسى أنه شاعر .

وجاءت العاطفة حزينة جريحة في مواطن الحزن هادئة رزينة في مواقف الوفاء صاخبة مدوية في مواطن الطعان والنزال ، فاترة في بعض الأحيان ، ومما نلاحظه أن أبا

(١) مسرحية أميرة الأندلس — أحمد شوقي — ص ١١٤ : ١١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق — ص ١٠ .

(٣) نفس المصدر السابق — ص ٥٧ .

(٤) نفس المصدر السابق — ص ٣٣٤ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ٥١ .

(٦) نفس المصدر السابق — ص ٥٨ .

الحسن عرض على بثينة الزواج من ابنه حسون وهو حبيبها ، فقد كانت عواطف الحزن أقوى من الحب فى الموقف فقالت : « ان حسونا كفاء ويشهد الله أنى أحبه وأجله ، وكأنى بأبى فى غيابه سخية ينظر اليه كما أنظره ويشعر نحوه بمثل ما أشعر ، ولكنى كما علمت ، مفجوعة بأب منكوب ، ملك معزول ، أخذ فعل ، ثم سربل الذل ، وبأم ثكلى وأخوة قتلى ، وأخوات أميرات يتعذبن من الخلع ، ويتكسبن من غزل أيديهن ^(١) .

ولم يأت شوقى فى هذه الرواية بصور خيالية كثيرة ، ولكنه جاء بحوادث صورها له خياله تمشياً مع موقف أو اتماً لحادث . ومن ذلك تصوير خياله وابتكاره حادثة ارتطام قارب الأمير بقارب والدها الملك وهى متخفية فى لباس ملاح ^(٢) .

وحادثة تخفيها فى ثياب شاب لتلتقى بحسون على أنها ابن غصين ^(٣) . وحادثة لباس (ابن حيون) ثياب المغاربة ليقدم عقد الجواهر الى صديقه التاجر ابى الحسن ، وقد أوشك على الافلاس وبيع داره ^(٤) . وتكرر خياله فى حيلة حسون عندما لبس هو وأبوه وبثينه ثياباً مغربية لتفادى هجوم المغاربة على بيتهم أثناء البحث عن بثينة ^(٥) .

كذلك لم تخل هذه الرواية من الحكمة التى عودنا عليها شوقى ومن ذلك قوله « ما كل جرى فطن » ^(٦) ، وقوله « ما خرج الحقد من قلب الا دخلته الرحمة » ^(٧) ، وقوله « الحرب لا تسأل عما تفعل » ^(٨) .



-
- (١) مسرحية أميرة الأندلس — أحمد شوقى — ص ٧٥ .
(٢) نفس المصدر السابق — ص ٥١ .
(٣) نفس المصدر السابق — ص ٨٤ .
(٤) نفس المصدر السابق — ص ٨٠ .
(٥) نفس المصدر السابق — ص ١٣٥ .
(٦) نفس المصدر السابق — ص ٥٢ .
(٧) نفس المصدر السابق — ص ٦١ .
(٨) نفس المصدر السابق — ص ٦٣ .

الفصل الثالث

المحاور الأساسية لشعر الاسلامى عند شوقى

* العبادات والشعائر الدينية

* إمدائح النبوة .

* شعر المناسبات الدينية .

العبادات والشعائر الدينية :

امتد تأثير التيار الإسلامى ليغمر شعر شوقى من كل جانب ، وطرح كثيراً من معالمه واتجاهاته بشكل مباشر حيناً ، وفى كثير من الأحيان بشكل غير مباشر ، وكما كانت آيات القرآن الكريم مصدراً خصباً أفاد منه شوقى لفظاً وتصويراً ، وكما كان القصص القرآنى مصدراً آخر فى دائرة العظة والتماس العبرة ، كانت الشعائر الدينية والعبادات عنصراً آخر يقف بجانبهما ، ويسهم بدور فعال فى تكوين وجدان الشاعر وينعكس انعكاساً أميناً على لوحاته الفنية فى كثير من صورها ومادتها التصويرية والتعبيرية ، وهو أمر طبيعى فى مجتمع يرى أن الخلافة الإسلامية هى محط أنظار المسلمين، ويرى أن يتخذ من هذه العبادات وأفكار العقيدة محوراً للحوار والجدل للدخول الى أمور أخرى فلسفية . ويبدو تأثير العبادات عند شوقى من خلال ذكرها على مستوى البيت المفرد فى كثير من الأحيان إذ يقول من قصيدة (نجاة) :

وسرت وملء^(١) الأرض حولك أدرع^(٢) ودرعك ثلب خاشع وصلاة^(٣)
ويقول :

خفافاً الى الداعى ، سراعاً كأنما من الحرب داع للصلاة مشوب^(٤)
وترد عند شوقى صورة السجود ، والقبلة ، والمحراب ، والمنبر والندور ، كلها من باب العبادات ومقترنة بها ، يقول :

زين المقاصر^(٥) والحجا^(٦) ل ، وزين محراب الصلاة^(٧)
وهذا البيت لا تخلو مقاطعه من غموض الدلالة إذ ليس هناك أى علاقة بكون النساء

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٤ - ألفت على جلاله الخليفة قذيفة فى سبتمبر ١٩٠٥ م ، ثم شاء الله أن يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه .

(٥) ملء الشيء : ما يملؤه .

(٥) أدرع : جمع درع : وهو ثوب ينسج من زرد الحديد ويلبس فى الحرب للوقاية من سلاح العدو .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٨ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٠٢ - ألفت هذه القصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية .

(٥) المقاصر : جمع مقصورة وهى اما الدار الواسعة المحصنة ، أو الحجرة من حجر الدار . .

(٥) الحجال : جمع حجلة وهو بيت كالقبة يستر بالثياب .

المصريات يزن (محراب الصلاة) فقد يكون على سبيل التأويل المنكر عنده وقلق في اللفظ وضرورة تفرضها وضعية الوزن والقافية .

ويقول :

واذا خطبت فللمنابر هزة تعدو الندى^(١) ، وللقلوب بكاء^(٢)
(يشير شوقي الى خطاب الرسول محمد (ص) فوق المنبر)

ويقول :

لما حلت (بآدم) حل الحبا ومشى على الملاء السجود الركع^(٣)
وشوقى يشبه مصر بلاده بالقبلة عند المصلين ، فحبه لبلاده فيه خشوع المتعبد ، فهي قبلة المصلين من مسلمين ومسيحيين .

واسمع بمصر الهاتفين بمجدها ، والهاتفات^(٤)
والجاءعليها قبله عند الترنم^(٥) والصلاة

ونلتقى عنده أيضاً من العبادات بالصوم والحج والنذر حيث يقول :

وصل صلاة من يرجو ويخشى وقبل الصوم صم عن كل فحشا^(٦)
ويقول :

ما ينتهين من الصلاة ضراعة ومن النذور^(٧)

ويقول :

لك الدين يارب الحجيج ، جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات^(٨)
وشوقى يستكمل الصورة الدينية للعبادات الاسلامية من خلال ما يؤديها المسلمين من ركوع وسجود وابتهاال وقيام بالليل وقراءة القرآن ونراها أحياناً تأتى بطريقة مفصلة

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٦ .

(٥) الندى : الجمع الحضور - النادى - يقصد به غدر .

(٢) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٦٢ .

(٣) ديوان شوقي - ج ٣ - ص ٥٠ .

(٥) الترنم : أحد ضروب العبادة عند المسيحية .

(٤) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ٣٥ .

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٢١ .

(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٩ .

وأحياناً أخرى تأتي بشكل اشارات عابرة على نحو مانرى فى ذكره لكلمة الفرقان :
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان ، شذية ، غناء^(١)
ويربط شوقى بين أى الفرقان والضياء إذ كلاهما (نور) وهو من
باب اتخاذ المصادر الضوئية صورا لموصوفاته وهذا من مميزات أسلوب
شوقى ، يقول :

تلك أى الفرقان ، أرسلها الله ضياء يهدى به من يشاء^(٢)
ويقول :

أما حديثك فى العقول فمشرع^(٣) والعلم والحكم الغوالى الماء^(٤)
هو صبغة^(٥) الفرقان ، نفحة قدسه والسين من سوراته والراء
ويقول من رثاء اسماعيل أباطة باشا^(٦) :

وكننت تصلى بالملوك جماعة وكننت تقوم الليل بالنفس خاليا^(٧)
ومن صور الشاعر ارسلامية التى أشار إليها الشاعر أيضاً (نحر الهدى
فى موسم الحج) يقول :

يأتون (طيبة) بالهدى أمامهم يغمشى المدائن والقرى ويطبّق^(٨)
وما تنتهى إليه هذه العبادات من تقوى أو ورع ينعكس على القائمين بها ، يعكسه
شوقى فى صوره دائماً .

ولكن لا يخلو الأمر عنده من انتقاد لاذع لهذه العبادات حينما يقصد بها غير وجه
الله ، فهو يعدّها نوعاً من النفاق والتأليه للأشخاص الذى يتنافى مع جوهر العقيدة
الاسلامية . نرى مظهراً لذلك فى حديثه عن سقوط السلطان عبدالحميد بعد أن أحاطه

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٤

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٠

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٧

(٤) مشروع : مورد .

(٥) صبغة : نوع .

(٦) اسماعيل باشا : أحد مرارة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ،
وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخاً حافلاً بالمواقف المحمودة .

(٧) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٨٢

(٨) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٧١

رجاله بمظاهر التقديس ملقاً ونفاقاً ، فقد كانوا يسبحون له مساء ويؤلهزونه فى الصباح ويسجدون له كما سجد موسى حينما تجلى وجه ربه له ، وينحنون أمامه حتى يبدو كأنهم أقواس ... كل ذلك يصوره شوقى لا تعبيراً عن عاطفة دينية خالصة وإنما يذكره مندداً بما يحمله من مظاهر التذلل والخضوع المنافى لجوهر التوحيد الذي ينبغى أن تكون العبادة فيه خالصة لله وحده ، يقول :

كم سبّحوا لك فى الروا ح ، وألهوك لدى البكور^(١)
ورأيتهم لك سجدا كسجود موسى فى الحضور^(٢)
خفضوا الرؤوس ووتروا بالذل أقواس الظهور

ولا تخلو هذه القافية التى فى الأبيات من قلق واضح عند شوقى . ونلاحظ أيضاً جودة الاستعارة والعبارة فى البيت الأخير (خفضوا الرؤوس) ، والنفس القرآنى فى (ورأيتهم لك سجدا) . أما التعبير الصحفى الواضح فنراه فى (كم سبّحوا لك فى الرواح) .

ولم تقف الصورة عند وحدة البيت دائماً ، إذ تجاوزتها فى بعض الأحيان الى رسم لوحات فنية كاملة تتعدد فيها الجزئيات على نحو ما ورد عنده فى قصيدة (الى عرفات) التى قالها بمناسبة حج الخديوى (عباس بن محمد توفيق) ، وكان الخديوى قد دعا شوقى الى الحج معه ولكن شوقى تخلف عن ذلك معتذراً بضعفه الجسدى ، يقول :

الى عرفات الله يا خير زائر
ويوم تولى وجهة البيت ناضرا
على كل أفق بالحجاز ملائك
إذا حديث عيس^(٣) الملوك ، فانهم
لدى (الباب) جبريل الأمين براحة^(٤)
عليك سلام الله فى عرفات^(٥)
وسيم مجالى البشر والقسمات
تزف تحايا الله والبركات
لعيسك فى البيداء خير حداة
رسائل رحمانية النفحات

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٢

(٢) كسجود موسى فى الحضور : أى حضوره حين تجلى له الله فكلمه .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٨

(٤) عرفات : اسم موضع وقوف الحجاج على مقربة من مكة وهو اسم واحد فى صورة الجمع .

(٥) العيس : الابل الأبيض التى يخالط بياضها شئ من الشقرة .

(٥) الراح : جمع راحة وهو الكف .

وفى الكعبة الغراء ركن مرحب بكعبة قصاد ، وركن عفاة ^(٥)
وما سكب الميزاب ^(٦) ماء ، وانما أفاض عليك الأجر والرحمات
(زمزم) ^(٧) تجرى بين عينيك أعينا من الكوثر ^(٨) المعسول منفجرات
ويرمون إبليس الرجيم ، فيصطلى وشانيك نيرانا من الجمرات

فهو لم يتجاوز الجانب الفعلى فى تلك العبادات والتضرع الى الله تعالى ، ليجعل منها جميعاً قوام شخصية ممدوحة وطابع سلوكه الدينى فى النهوض بها وأدائها مثل بيت الله الحرام والصلاة هناك الى أداء جميع مناسك الحج وجميع هذه المناسك تشكل قمة الفضائل الدينية فى شخص الممدوح .

وهكذا تصبح العبادات معياراً من معايير الفخر وتأكيد السيادة وتصبح فيصلاً فى تفضيل بعض الناس على بعض ، كما قال شوقى فى تصويره تعبد الخديوى لله تعالى ، فهى عبادة خاصة لا تشبه عبادة بقية الناس ، إذ أنها لقاء بين ملك السماء وملك الأرض فى نظره :

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرضات ^(٩) ^(١٠)

...

عنت ^(١١) لك فى التراب ^(١٢) المقدس جبهة يدين لها العاتى من الجبهات ^(١٣)

فسجود العباس لله يشبه سجود الناس للعباس ، أما حج العباس فيتم عند شوقى فى اطار قوانين التشريفات فى الزيارات الرسمية ، كما صور شوقى مواكب الملائكة نزلاً من لدن العرش الالهى تستقبل العباس بتحايا الله (على كل أفق بالحجاز ملائكة) وجبريل

(٥) عفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(٦) الميزاب : يقال مثراب ومرزاب : ما يسيل منه الماء من مكان عال . قالوا ومنه ميزاب الكعبة : أى مصب المطر من قوتها

(٧) زمزم : بئر عند الكعبة .

(٨) الكوثر : نهر فى الجنة ، والكثير من الماء .

(٩) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٩

(١٠) العرضات : جمع عرصة وهى البقعة من بين الدور وليس فيها بناء .

(١١) عنت لك : خضعت لك .

(١٢) التراب : التراب .

(١٣) العاتى من الجبهات : أى الجهة العاتية التى تجاوزت الحد فى الاستكبار والجبروت والخطاب لله تعالى يريد أن جبهة الممدوح عنت لله وهى التى أطاعها العتاة المتكبرون .

الأمين هو الموفد الالهى برسائل خاصة الى الخديوى (لدى الباب جبريل الأمين براحة رسائل) .

ويقول فى مدح الخديوى فى رحلته للحج :

يحييك (طه) ^(١) فى مضاجع طهره ويعلم ما عالجت من عقبات ^(٢)
ويثنى عليك (الراشدون) بصالح ورب ثناء من لسان رفات ^(٣)
وتصبح العبادات بهذا الشكل مصدراً للتنافس ومجالاً للتفاخر على أساس القاعدة
الاسلامية التى أرساها سبحانه وتعالى فى قوله : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ،
وأكدتها الرسول (ص) فى خطبة الوداع : « لا فضل لعربى على أعجمى الا
بالتقوى » .

وحتى الدنيا تبتهج يوم حج الخديوى ممدوح شوقى فكأنه أفضل من حج بيت الله ،
إذ يقول فى أبيات بعثها شريف مكة سنة حج الخديوى عباس :

دامت معاليك فينا يا ابن فاطمة ودام منك لأفق البيت نبراس ^(٢)
قل للخديوى إذا وقيت سده تمشى اليه ويمشى خلفك الناس
حج الأمير له الدنيا قد ابتهجت والعود والعيد أفراح وأعراس
فلتحى ملتنا ! فلتحى أمتنا فليحى سلطاننا ! فليحى عباس !

قافية (السين) فى الأبيات السابقة أضفت عليها نوعاً من الحركة فكأنها تصور
حركة موكب الخديوى فى ذهابه للحج، وكأنه موكب (أفراح وأعراس) . وهذه من
المميزات العامة لأسلوب شوقى وهو اصفاء (الحركية) باستخدام بعض الحروف ذات
الصغير مثل (السين) فمن هذه البنية الصوتية والتصويرية تنبع هذه الاستمرارية عنده
لتكون قادرة على تكرار الصيغة بهذه الموسيقى كما فى قصيدته السينية :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى ^(٣)
ومن أساليب التعبير عن الحركة عند شوقى ما يسمى (بالتدرج) وهو ترتيب الدوال

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٩

(•) طه : اسم النبى (ص) .

(•) رفات : ما بلى من جسم الانسان بعد موته .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٣

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٥٢

بأشكال تجعلها خاضعة لحقول دلالية بينها صلات تضيق وتتسع حسب قراءة القارئ لها وتوقعه ، فاذا وقع على آخر الدوال اكتملت الصورة بمجموعها موجزة عن نظام كامل مقصود هو الصورة المثالية التي يريد الشاعر ابرازها ولفت النظر اليها ^(١) كما يقول فى هذا البيت :

فلتحى ملتنا ! فلتحى أمتنا ! فليحى سلطاننا ! فليحى عباس !

انطلق فيه شوقى من الاسلام (ملتنا) ووصل الى الحاكم المحلى (الخديوى) عباس مروراً بالوطن (أمتنا) فالخليفة العثمانى (السلطان) ، فكان قد انتقل من العام الى الخاص ومن الروحى الى المادى ومن الدين الى الدنيا ، وان كان تعبير شوقى فى هذه الأبيات التى تعرض فيها للشعائر الدينية بعيداً عن الروح الشعرية الخالصة، فهذه الأبيات ولا سيما البيت الأخير يبدو كما لو كان ترديد شعارات سياسية رخيصة لا تتفق مع الجلال الذى كان يفترض فى الحديث عن شعيرة دينية جليلة مثل مناسك (الحج) .

ويشير شوقى فى بعض قصائده الى الصلاة فى المسجد كأنه يشير الى فضلها أو بكانه يحدد للمسلم ما يجب أن يحرص عليه عامة مثل صلاة الجمعة وفضلها فى المسجد الى جانب الصلاة الأيام الأخرى . ونرى شوقى يبدي حزنه عندما سقطت الخلافة عن مدينة (أدرنة) وهى من أمهات المدن العثمانية ، بها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، سقطت عنها الخلافة وزال الملك ولم يبق الا ملك الله هو العلم ، وقد خفت صوت الأذان وخبت أنوار المساجد ولم تعد هناك صلوات الجمعة ، إذ يقول :

خفت ^(٢) الأذان ، فما عليك موحد ^(٣) يسعى ، ولا الجمع ^(٤) الحسان تقام ^(٥)
 وخبت مساجد كن نورا جامعا تمشى اليه الأسد ^(٦) والآرام ^(٧)
 يدرجن فى حرم الصلاة قوائنا ^(٨) بيض الازار ، كأنهن حمام

(١) خصائص الأسلوب فى الشوقيات - محمد الهادى الطرابلسى - ص ١٣٣ : ١٣٤ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٣٨

(٣) خفت : سكن وانقطع .

(٤) الموحد : من يعتقد أن الله واحد لا شريك له ولا ولد .

(٥) الجمع : صلوات الجمع الأسبوعية .

(٦) الأسد : الرجال الذاهبون الى المساجد .

(٧) الآرام : النساء الذاهبات إلى المساجد .

(٨) القوائن : جمع قانتة : من القنوت وهو الطاعة والدعاء .

ويذكر شوقي فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وما
لهما من مكانة في نفوس المسلمين وإلى جانب هذه المكانة نرى مكانة الأزهر الشريف
إلى جانبهما ، فكان الأزهر كعبة لقداسته ، وكأنه أمن ومثابة للناس كالبیت العتيق ،
إذ يقول :

واذكره بعد المسجدين ^(١) معظما لمساجد الله الثلاثه مكبرا ^(٢)
ويقول :

ان الذى جعل العتيق ^(٣) مثابة ^(٤) جعل الكناني المبارك كوثر ^(٥) ^(٦)
فى هذا البيت نفس قرأنى يقول تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس
وأمنا » .

وتوشك الشعائر الاسلامية أن تصبح معياراً مطلقاً فى تفضيل الممدوح ، ما تعلق
منها بالحج كما فى الأبيات السابقة ، أو ما ارتبط منها بالفرائض الأخرى مثل اعتلاء
ال خليفة المنبر وقيامه بالخطابة بين الصفوف واعظا ، فهذا من المظاهر الاسلامية، وترفع
من مكانة الخليفة وتؤكد مكانته وامامته للأمة ، وخير مثل يحتذى لهذه الرسول (ص)
فى اعتلائه المنبر ، يقول :

واذا خطبت فللمنابر هزة تعرو الندى وللقلوب بكاء ^(٧)
فالبيت السابق بيت ظرفى فيه تناظر بين (للمنابر هزة) و (للقلوب بكاء) ،
وهناك فاصل بينهما وهى الجملة الفعلية (تعرو الندى) وهذا مما يشد الحس الفنى الى
هذه الظاهرة وهى صورة البناء فى الجمل عند شوقي فهى ما تواجهه الألفاظ من تعاكس
المراتب من حيث التقديم والتأخير فى المبتدأ والخبر أو العكس . ويظل المنبر عند شوقي
رمزاً للمكانة الرفيعة ومظهراً اسلامياً ، فهذا المنبر لا يعتليه إلا أصحاب المكانة من أنبياء

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٥١

(٢) المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٥٢

(٤) العتيق : المسجد الحرام .

(٥) المثابة : مجمع الزمر .

(٦) الكوثر : نهر فى الجنة .

(٧) قرآن كريم - سورة البقرة - آية ١٢٥ .

(٨) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٦

وخلفاء ثم خطباء الأمة ويشير إليه في سينيته التي يعارض بها سينية البحتري إذ يقول :
منبر تحت منذر^(١) من جلال لم يزل يكتسيه أو تحت قس^(٢) (١)
فالمنذر هو بن سعيد قاضي الجماعة في قرطبة على أيام الناصر وكان من أفصح
الخطباء في عصره وكان معروفاً بالزهد والعدل .

ولا تأتي غلبة الأمم والحصول على حقها الا بالسيف أحياناً ، وشوقي هنا يرى أن
يجدد (خالد الترك) (مصطفى كمال) ، (خالد العرب) الذي هو البطل (خالد بن
الوليد) ويريد للمنابر أن تقام على الرماح والسيوف حتى يكتمل انتصار الترك في الحرب
والسياسة يقول :

لا خير في منبر حتى يكون له عود من السمر^(٣) أو عود من القضب^(٤) (٢)

في هذا البيت عطف ألفاظ جاهزة ، كأن تكون العبارة قائمة على لفظين
متعاطفين (عود من السمر) أو (عود من القضب) والألفاظ هنا متكاملة في الدلالة
ومتقاربة فيكون العطف فيها كالاتباع لا يضيف جديداً ، وإنما يأتي لتأكيد المعنى ،
وليس في طاقته الايحائية روح جديدة ، وهذا مما اقتفاه من أثر الشعراء القدامى مثل أبي
تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء ليستقى من رصيدهم اللغوي مواد تمكنه من اطالة
النفس في حظه الدلالي الشخصي^(٥) . يقول أبو تمام :

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له العواقب بين السمر والقضب^(٦)

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٥٠

(٥) منذر : بن سعيد بن عبد الرحمن قاضي الأندلس ، قاضي الجماعة بالأندلس في عصره ، كان فقيهاً
خطيباً شاعراً فصيحاً ، رحل حاجاً ، وأقام في رحلته أربعين شهراً أخذ بها عن بعض علماء مكة ومصر وكان
بصيراً بالجدل له كتب في القرآن والسنة والرد على أهل الأهواء ، وكانت وفاته سنة ٣٥٥ هجرية - راجع ترجمته
في تاريخ علماء الأندلس لابن الفوضى رقم ١٤٥٤ - المجلد الثاني - ص ١٤٢ .

(٥) قس بن ساعدة اليايادي : أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان أسقف نجران ويقال أنه أول
عربي خطب متوكفاً على سيف أو عصا ، وأول من قال كلمة « أما بعد » وكان يفد على قيصر الروم زائراً
فيكرمه ويعظمه وهو معدود في المعمرين طالت حياته وأدركه النبي (ص) من قبل النبوة ورآه يفد في عكاظ
وسئل عنه بعد ذلك فقال (يحشر أمة وحده)

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٦٠

(٥) السمر : الرماح .

(٥) القضب : السيوف .

(٣) خصائص الأسلوب في الشوقيات - محمد الهادي الطرابلسي - ص ٢٥٣ .

(٤) ديوان أبو تمام .

وشوقى فى ملحمة البائية (كبار الحوادث فى وادى النيل) يردد أن النعم الدينى مهلاً لانتصار الترك على اليونان فى الحرب ويصف الخليفة عبد الحميد وهو خير ممدوح ،
يوجه النصيح لأمتة من على منابر الخلافة إذ يقول فى هذه الصورة :
وشدت منارا للخلافة فى الوردى
تشرق فيهم شمسه ، وتغرب^(١)

.....

.....

حسامك من سقراط^(٢) فى الخطب أخطب وعودك من عود المنابر أصلب
وعزمك من (هومير)^(٣) أمضى بديهة وأجلى بيانا فى القلوب ، وأعذب
وملكك أرقى بالدليل حكومة وتنفذ سهما فى الأمور ، وأصوب
ظهرت أمير المؤمنين على العدا ظهور بسوء الحاسدين ويتعب
سل العصر ، والأيام ، والناس : هل نلبأيك فهم ، أو لسيفك مضرب^(٤)

...

...

...

.....

فلما استللت السيف أخلب برقههم وما كنت - يا برق المنية - تخلب^(٥)
ولم يتكلف قومك الأسد أهبة ولكن خلقا فى السباع التأهب
كذا الناس : بالأخلاص يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها حسام معز ، أو يراع مهذب

فالشاعر هنا يجمع عناصر ضويرة الممدوح وجزئياتها فمن اشادته منارا للخلافة الى صلابة عوده التى تضاهى صلابة عود المنابر الى قوة عزمه وقيادة الأمة وخلافة المسلمين لما يتمتع به من هيبة وعقل وحكمة ليرفع بها بناء الاسلام حيث تلتقى الحكمة مع الشجاعة . وهنا تصبح الشعائر الدينية رمزا من رموز الأصالة والوجه المباشر لها ، وهى التى تترجم موقف الخليفة (الممدوح) الى سلوك عملى يتبنى فيه الدفاع عن قضايا العقيدة الاسلامية سواء بالسلم أو (بالسيف) كما فعل السلطان عبد الحميد ، فالشاعر يصدر عما يرضى الخليفة من ناحية ، وعما هو مؤمن به من ناحية أخرى ، وهذا ينتهى بنا

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٣ .

(٢) سقراط : خطيب اليونان وحكيمها المشهور .

(٣) هومير : أكبر شعراء اليونان الأقدمين .

(٤) نبا السيف عن الضريبة : كل ، وارتد .

(٥) أخلب برقههم : بطل وعيدهم .

(٥) تخلب : تخدع . .

الى أن العقيدة الإسلامية كانت مقوماً رئيسياً لشوقي وممدوحيه . الى جانب ذلك نلاحظ أن (ممدوح) شوقي ينتظر منه سبيل الدعاية له ، وتفخيم مكانته من هذا المنظور وأهمها الدينى؛ ليصبح ستاراً يدارى تحته كل سلياته ، ولذا نلاحظ دور وأهمية الشعائر الدينية التي وردت فى شعر شوقي بهذا الكم لتكمل دائرة الفضيلة الدينية بمدلولاتها الجديدة ونلاحظ تداخل العناصر الإسلامية مع العناصر غير الإسلامية فى بعض المواضع من صورته هذه ، ففى قوله المجازى :

(حسامك من سقراط فى الخطب أخطب) (وعزمك من هوميرو أمضى بديهة)

التكلف واضح فى الصورة ولكن مهارة شوقي فى ايجاد الروابط بين الصور المتنافرة واضحة ، ولعبه بالألفاظ يدل على صنعه إذ أن استخدام شخصيات مثل (سقراط) و (هوميرو) بعيدة كل البعد عن المجال الذى يتحدث فيه وهو الحرب بين اليونان والأترار ولا دخل (لهوميرو) وهو الشاعر ، و (سقراط) وهو الخطيب فى مجال الحرب ، ولكن استخدام شوقي لكلمة (أخطب) و (بديهة) كانت ركيذة ورابطة لربط الصور المتنافرة لديه ، حيث أوجد العلاقة بينهما ، وهذا من مميزات الأسلوبية حيث لا يتسنى لأى شاعر اللعب بالألفاظ بهذه السهولة .

وعند شوقي يبدو الموقف متركزاً فى شخص الخليفة العثمانى إذ يبدو رجل دين ودولة فى آن واحد ، قادراً على اجادة التدبير السياسى للحكم ومحققاً المثل الأعلى والقُدوة الطيبة لشعبه من خلال العبادات وأداء الفرائض واقامة الشعائر ، ولذا نلاحظ أن شعر شوقي المدحى عبارة عن لوحات تصويرية تجمع بين القيادة والعبادة ، وكأن نجاح الخليفة فى قيادته لم يكن الا نتيجة طبيعية لتمسكه بالشعائر ، بل أن تبنى قضايا الدين والدفاع عنه تتمثل فى قدرة الخليفة على أداء هذه الشعائر والدفاع عن الاسلام والخلافة والجهاد فى سبيله .

وفى بعض الأحيان يأخذ شوقي صورا ليست فى حقيقة الأمر اسلامية ولكنه يضيف عليها الطابع الاسلامى مثل (قس^(٥) بن ساعدة) واعتلائه المنابر ، فهو لم يخطب من على منبر وإنما كان يخطب على بغير ، كما سجل ذلك من كتبوا عنه من القدماء ، ولكنه باعتبار انه يتحدث عن اجادة المروثى للخطابة فانه سحب على هذا الخطيب الجاهلى

(٥) قس : هو قس بن ساعدة الأيادى ، ويضرب به المثل فى بلاغة الخطابة ، ويروى عنه أنه كان يخطب فى الناس فى عكاظ وهو على ظهر بعير .

مفهوماً اسلامياً كما فعل في كثير من صوره الأخرى التي استخدم فيها عناصر اسلامية أجراها على حضارات وثنية قديمة كما مر بنا .

وشوقي عندما قال قصيدته بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، فوصف ما أصاب البلاد سنة ١٩٢٤ م من انقسام وتشاحن وتناحر ، وانتقل الى ذكرى الفقيه فوفاه حقه وشبهه بالخطيب (قس بن ساعده) إذ قال :

إذا جئت المنابر كنت قسا إذا هوفى عكاظ على السناما ^(١)

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٢٣

المدائح النبوية :

كان النبي (ص) — وما يزال — النموذج المثالي الذي تهفو إليه القلوب المؤمنة ، وتتعطر بسيرته الألسنة الذاكرة ، فهو المثل الأعلى والقدوة الحسنة والرجاء المنشود ، كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه وأشادوا بمناقبه ، ورددوا سيرته تعبداً وتشفعاً وتبركاً ، يستوى في ذلك شعراء الصوفية وغير الصوفية على مر العصور .

ولقد وجد شعراؤنا أمامهم تراثاً ضخماً من المدائح النبوية بدأت من حسان بن ثابت شاعر الرسول (ص) ومن عاصره من الشعراء الاسلاميين ثم من تلاهم من الشعراء على مر الأيام والدهود ، وقد تلونت تلك المدائح بأذواق العصور الاسلامية المتوالية وقبست من كل عصر خصائص الحياة المعاصرة وظروف الدول والأوطان السياسية والاجتماعية ، وحملت قصيدة المدح الى جانب المعاني الدينية أشواق العصر وتطلعات أهله الى المستقبل ورجاء المؤمنين في حياة أفضل الخ ...

وشاعرنا أحمد شوقي يتجاوب مع هذه المعاني الاسلامية السامية التي تجيش بها قلوب المسلمين نحو خاتم المرسلين فلا تقوته مناسبة إلا يذكر فيها سيرته (ص) مشيداً بفضائله الكريمة وشماله الرفيعة ، متضرعاً ملتمساً شفاعته (ص) مستغيثاً به لتفريج كرب الأمة الاسلامية ، وموجهاً لها لتتخذ منه القدوة والأسوة حتى تستعيد مجدها التليد ، وتسترجع ماضيها المجيد .

وكثيراً ما كانت تهزه مدائح السابقين فينهض لمعارضتها ، كما تدل معارضات شوقي على جانب روافد شاعريته وخاصة في المجال الديني ، ومدى صلته بالتراث الشعري أو لون من هذا التراث المأثور عن أمته ، فان اتجاهه الاسلامي الواضح في مدائحه النبوية ينم عن متجهه السياسي المتمثل في موالاة الخلافة ، تلك الخلافة التي اعتبرت استمراراً لنهج العهد النبوي من جهة المتحمسين لها ، كما يدل حجم الظاهرة على جانب من التفاعل الفكري الذي عاشه عصر بداية النهضة العربية منذ منتصف القرن الماضي ، وحتى مرحلتنا الراهنة وانقسام المفكرين وقادة الإصلاح الاجتماعي حول طبيعة النهضة وصوره المستقبل . فمن ساع الى بعث اسلامي ، أو متجه الى النظريات السياسية الحديثة ، وبخاصة الأممية الاشتراكية ، ومن قائل بالأخذ بأسباب الحضارة الغربية كاملة ، في شطريها المادي والأدبي ، ومن داع الى التوفيق أو التلفيق على اختلاف في الدرجات والنوع .

ولعل قراءة متأنية للشوقيات (المعلوم منها والمجهول) والمسرحيات واستنطاق هذه المسرحيات فيما تدل عليه من الفكر والسياسة سيؤدي بنا إلى أن نجد انعكاسات هذه الاتجاهات كافة عند شوقي ، بما يؤكد المقولة المأثورة في الدراسات النقدية : ان الفن مرآة المجتمع وان رسالة الشعر لا تستطيع أن تنفك عن تلبية حاجات الناس وتطلعاتهم . وليس يعفينا أن نفيض في هذه الجوانب جميعا ، ونكتفى بأن نشير إلى أن الجانب الاسلامي ، والمدائح النبوية بخاصة لتكشف عن جانب من نظرة شوقي إلى مفهوم التجديد الحضاري والبعث الجديد لدى أمة تعمل للنهوض والتقدم .

وينبغي أن نتأمل السياقات التي جاء فيها ذكر الرسول عليه السلام، لا من حيث الارتباط بمناسبة دينية أو اجتماعية فحسب ، ولكن من حيث استقلال الغرض الشعري بقصيدة كاملة ، أو التعرض لمدح النبي أثناء أغراض أخرى . ان هذا الجانب الفني والتفرقة بين التجربة الكاملة ، وجزء من تجربة شاملة عبر المطولات الشعرية يكشف بدوره عن حجم الاهتمام ونوعه ودلالته وقفته عند سيرة الرسول في مرحلة من قصيدته المطولة « كبار الحوادث في وادي النيل » ففي هذه القصيدة الطويلة التي ألقاها في المؤتمر الشرقي الدولي الذي عقد بجنيف عام ١٨٩٤ (وكان مندوب مصر فيه) ، تناول الشاعر عدة مواضيع ومن أهمها طائفة من الخواطر الدينية .

يبدأ شوقي هذه الخواطر بمناجاة رحيمة خاشعة ، تفيض برا وسماحة وتمجيذا . توجه فيها إلى الله بالاعتذار عن الانسانية في طفولتها وتأول ظواهر الوثنية التي كانت تعاطاها من قبل أن يتداركها المرسلون تأويلا حكيما مسدداً يستوجب الرحمة والعطف ، فهو يتمثلها إذ ذاك بريئة طاهرة بل رشيدة مقدرة ، فلم تكذب تنظر في آيات الله وتفقه من أسرار ملكوته على مقدار ما تهيا لها حتى قدرته ، وهامت به ، وسعت إليه ، غير أن التعبير لم يسعفها ، والطريق لم يستقم لها ، فاذا هي تريد الله في الواقع ، وتعبد غيره في ظاهر الأمر فما من اله عبده ، ولا عظيم نزهته ، الا فيه صفة من الله أو رمز إليه ، أو دلالة على كمال قدرته وشمول سلطانه :

رب شقت العباد أزمان لا كتب بها يهتدى ولا أنبياء^(١)
ذهبوا في الهدى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٠

فاذا لقبوا قويا لها فله بالقوى إليك انتهاء
 وإذا أثروا جميلا بتنزيهه فان الجمال منك حباء
 ثم يشير الى تمجيد الرسول (ص) والى أن مبعثه كان نورا أضاء العالم ، وان
 (الله) قد اختص برسالته يتيماً أُمياً أوجى اليه بالفرقان فجعل من ضعفه قوة ، ومن
 نطقه ، معجزة ، فلم يفه بنوايح كلمة حتى انقاد له البلغاء ، ثم يبين فوضى الناس
 ومسيس حاجاتهم الى وجوده ورحلة جبريل بنور الوحي بين السماء والأرض ، فتألفت
 بالشرعة قلوبهم وطهرت نفوسهم ، واستحالت — بالقرآن — وثنتهم الى وحدانية تدين
 (لله) وحده بالعبادة وكانت شريعته ضياء وهاجا ، نسج الله به ضياء الشرائع السابقة
 حيث قامت على سنن الحق وجلال اليقين إذ يقول :

أشرق النور في العوالم لما بشرتها بأحمد الأنبياء ^(١)
 باليتيم الأُمى والبشر المر حى إليه العلوم والأسماء
 قوة الله ان تولت ضعيفا تعبت في مراسه الأقوياء
 أشرف المرسلين ، آيته النط ق مبيناً وقومه الفصحاء

ونجد هنا اشارته الى ميلاد (أحمد) (ص) ، ذلك أن ميلاد الأنبياء في كل
 التفاسير الشعبية الدينية دائماً كان مصحوباً بظواهرات طبيعية خارقة ، فلقد بزغ نجم
 (أحمد) وأشرق بنوره (الرسول) (ص) كما استرشد الحكماء الثلاثة الى مكان الطفل
 المسيح بنجم السماء ... ونلاحظ أن الشاعر شوقي كرد أثر الميلاد في الكون ومسرى آياته
 في الأرجاء مصحوباً بالظواهرات التي ذكرناها .

ويقبل على العرب يمدحها ويحمد بلاءها في حماية الدين ، ويشيد بمكانتها من
 البيان وبمآثرها على العالمين ، فيذكر كيف أشاعت الرشد ، وبسطت العدل وردت
 الحقوق ، ونشرت النظام وشرعت الشرائع وسنت السنن ، وكيف طبعت الحضارة
 بطابعها ، ووجهت الدنيا وجهتها ، وكيف صارت سيرتها مثلاً عالياً :

وحماها غر كرام أشداء على الخصم بينهم رحماء ^(٢)
 أمة ينتهي البيان اليها وتؤول العلوم والعلماء
 تحمل النجم والوسيلة والميزان من ديتهالى من تشاء

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٤ : ١٥

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٥

وتنيل الوجود منه نظاما هو طيب الوجود وهو الدواء
ويسأل الشاعر بني الظل والماء من الأعاجم : أكان لهم عجباً أن يخرج الله من
الفقر هداية للبشر ، وأساتذة للدنيا ، وأن يثير من خيام الصحراء أساد هيجاء ، ومساعر
حروب يقضون على الفوضى ، ويقطعون دابر الطفيان ويحلون السلام محل الخصام والحرية
محل الاستبداد ، والرحمة محل القسوة ، والأخاء والمساواة محل الأثرة والاستبداد ؟
وأيا ما يكن جوابهم فقد أمضى الله ارادته ، وأتم كلمته ، وأدت العرب الأمانة فأحسن
الأداء وأبلغت الرسالة ، فأحسن البلاغ ، بشهادة البر والبحر من أقصى الشرق الى أقصى
الغرب فى العالم القديم :

أيرى العجم من بنى الظل والماء عجباً أن تنجب البيداء ؟^(١)
وتثير الخيام أساد هيجاء تراهها أسادها الهيجاء ؟
تشهد (الصين) والبحار وبغدا د و (مصر) والغرب و (الحمراء)

ويتناول الشاعر (عمرو بن العاص) مثلاً لحكام العرب الأولين ، فيذكر كيف
استطاع ببراعته فى الإدارة والسياسة والحكم أن يوسع عمران مصر ، ويجعل منها قطراً
عربى اللغة والدين ، بل يجعل منها ركناً قوياً طالما لجأت اليه الخلافة ، وعول عليه
الدين فى عهود الضعف والانحلال ، فكان لهما حمى ونصيرا ، وللقائمين عليهما مثوى
كريما وظلا ظليلا !

من كعمرو البلاد والضاد مما شاد فيها والملة الفراء^(٢)
شاد للمسلمين ركناً جساما ضافنى الظل دأبه الايواء
طالما قامت الخلافة فيه فأطبأنت وقامت الخلفاء
وانتهى الدين والزجاء اليه وبينو الدين أذاهم ضعفاء

وما أظن أنه أثر عمرا باختيار لأنه كان يراه فى العرب فرداً وحيداً لا ثانى له ولا
ضريب ، ولكن لأنه الوالى الأول على مصر لعهد العرب الأولين .

وينتقل الى بنى أيوب فيمتدح دولتهم ، ويذكر بالخير فضلهم فى حماية الدين
وتشجيع العلم ، واكرام مثوى الضيف :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣١

(٢) نفس المصدر السابق

واذكر الغر آل أيوب وأمدح
ثم حماة الاسلام والنفر البيض
كل يوم بالصالحية حصن
وبمصر للعلم دار وللضيفا
فمن الممدح للرجال جزاء^(١)
الملوك الأعزاء الصلحاء
ويلبيس قلعة شماء
ن نبار عظيمة حمراء

والملاحظ أن الشعراء أخذوا — بوحى الظروف — فى قصائد المديح النبوى (ص) ولم يعودوا يقتصرون على تصوير الخوارق التى كانت تظهر أحياناً فى العهد الأول للرسالة المحمدية ، كما أخذوا يهتمون بإبراز محاسن الاسلام والدفاع عنه والدعوة الى الأخذ بتشريعاته والاهتداء بهديه ، وقد أتيح للمداح المتأخرين بأطلاعهم على سير الرسول (ص) وعلى رأسها (سيرة ابن هشام) أن يشاهدوا الصورة الكاملة لحياته ، وأن يشيدوا به على أساس ما ورد فيها من المواقف الباعثة على التقدير عند المسلمين مما لم يتح لأسلافهم من مداحه الأوائل الذين كانوا هم أنفسهم بعض تفاصيل هذه الصورة .

ومن شعراء المديح النبوى المتأخر الشاعر البوصيرى^(٢) صاحب (البردة) — توفى عام ٦٩٥ م — الذى عارضه شاعرنا أحمد شوقى فى قصيدة (نهج البردة) إذ كان البوصيرى يشيد بالرسول (ص) على أساس سيرته ، ولم يعتمد الشاعر على عملية النظم المجرد وإنما أضاف شيئاً من التلوين الفنى جعلت لأبياته تأثيراً أقوى ، وقد تأثر بها شاعرنا (شوقى) .

✽ ونستعرض هنا كلا البردتين لنرى مدى العلاقة بينهما مثلاً لقصائد المديح النبوى .
أطلق البوصيرى على قصيدته اسم (البردة) تشبيهاً لها بالقصيدة التى نظمها كعب بن زهير ، وأتى بها الى الرسول (ص) مستشفعاً بها عنده ، ولأن الرسول (ص) خلع على كعب البردة الشريفة حين قال قصيدته ووصل الى قوله :

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول^(٣)
والبوصيرى استشفع ببردته عند النبى (ص) وعند الله أن يعافيه عندما أصيب

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٣١

(٢) صاحب البردة (محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله بن صنهاج بن هلال) الصنهاجى كان أحد أبويه من أبو صير واشتهر بالبوصيرى وهى إحدى قرى محافظة بنى سويف — توفى بالأسكندرية عام ٦٩٥ هجرية .

(٣) ديوان كعب بن زهير — ص ٢٩

بمرض (الفالج) وكرر انشادها ثم نام فرأى النبي (ص) يمسح على وجهه بيده المباركة وألقى عليه البردة فانتبه معافى لذلك ^(١) .

وتعتبر البردة تطويراً للمدائح النبوية بما امتازت به من عد شمائل النبي (ص) ،
فاذا نظرنا الى مطلعها وجدناه يبدأ بالغزل على عادة العرب ، يقول :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم ^(٢)

...

أيحسب الصب ان الحب منكم ما بين منسجم منه ومضطرم

وعلى طريقة البوصيري افتتح شوقي قصيدته (نهج البردة)
بالنسيب وأحاديث الهوى وذكريات الصبا ، يقول شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سنك دمي في الأشهر الحرم ^(٣)

دمى القضاء بعيني جوذر أسدا يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم ^(٤)

ولا يخفى على أحد المقابلة التي يعتمد عليها شوقي وبراعة الاستهلال في البيتين
السابقين ، وشوقي سار على طريقة البوصيري في برده. أخذ من طريقها ومعانيها وأساليبها
وعباراتها وقوافيها حتى موقف زهير من هرم ^(٥) الذي قال عنه البوصيري :

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرم ^(٦)

وقد جاء شوقي بنفس الموقف بقوله :

يزرى قريضي زهيرا حين أمدحه ولا يقاس الى جودي ندى هرم ^(٧)

ويخلص الامام البوصيري من مقدمته الغزالية الى الحديث عن النفس وهواها ويطلب
معينا على نفسه يساعده على رد جماحها وكبح غوايتها، ثم يخلص ذلك كله في حكمة
خالدة ليقول :

(١) التوفى بالوفيات - ج ١ - صلاح الدين خليل بن ابيك الصلبي - ص ٢٨ .

(٢) ديوان البوصيري - ص ١٤ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٩٠ .

(٤) الاجم : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(٥) ديوان البوصيري - ص ٢٨ .

(٦) زهير ابن ابي سلمى المزني كان سيداً غنياً في الجاهلية معروفاً بالحلم والحكمة ، وشاعراً فحلاً .

(٧) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، مدح زهير هرمياً فأحسن ووصله هرم فأجز له العلة وبألف في العطاء .

(د) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٩٥

فلا ترم بالمعاص كسر شهوتها ان الطعام يقوى شهوة النهم^(١)
ويأتى شوقى ليقف من النفس موقفاً مماثلاً فيخاطب نفسه مترفاً بها وينصحها فى
هواده ولطف ، فالنفس هى التى تغوى الانسان وتزين له الباطل فيهييم به ويلح فى طلبه ،
ويبين أن الأمم لا بقاء لها الا بالأخلاق ، والعاقل من يعود نفسه على الأخلاق الحميدة ،
إذ يقول :

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية وان بدا لك منها حسن مبتسم^(٢)
ويخاطب شوقى الدنيا خطاب انسان مجرب لها ، إذ يقول :

هامت على أثر اللذات تطلبها والنفس ان يدعها داعى الصبا تهم^(٣)
ويأتى بالحكمة على طريقة البوصيرى ، يقول :

والنفس من خيرها فى خير عافية والنفس من شرها فى مرتع وخم^(٤)
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغى الجياد إذا عضت على الشكم
ويأتى العنصر المهم بعد الغزل والحكمة وهو مدح الرسول (ص) فالبوصيرى يبدأ
مدحه فى خط متتابع يمهد لهذا المدح باظهار تقصير الشاعر بترك النوافل ، معتبراً ذلك
منه ظلماً لسنة ذلك النبى (ص) الذى طالما قام الليل الى أن تألمت وتورمت قدماه ،
ومن ثم تناول بعض الجوانب من حياة الرسول وخصائصه وصفاته ، فهو الذى تحمل الجوع
فى سبيل دعوته ، وصمد عن الذهب حين عرض عليه ، ثم هو سيد الكونين وسيد الناس
عامة ، وهو شفيع الناس أمام الأهوال ، وهو حبل الله الذى لا ينفصم فاق النبيين فى
الخلق والخلق والعلم والكرم ، بل انهم جميعاً يلتمسون منه العلم والحكمة ، لأن الله
اصطفاه ، ويقارن بين المسيحية والاسلام إذ يقول :

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم^(٥)
وشد من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

(١) ديوان البوصيرى — ص ١٥ .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٩٣

(٣) نفس المصدر السابق — ص ١٩٤

(٤) نفس المصدر السابق

(٥) ديوان البوصيرى — ص ١٨

ولم يدانوه فى علم ولا كرم	فاق النبيين فى خلق وفى خلق
غرفا من البحر أو رشفاً من الديم	وكلهم من رسول الله ملتمس
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم	وواقفون لديه عند حدهم
ثم اصطفاه حبيباً بارى النسم	فهو الذى تم معناه وصورته
فجواهر الحسن فيه غير منقسم	منزه عن شريك فى محاسنه
وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم	دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
وانسب الى قدره ما شئت من عظم	وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
حد فيعرب عنه ناطق بفم	فان فضل رسول الله ليس له
أحى اسمه حين يدعى دارس الرمم	لوانسبت قدره آياته عظما
حرص علينا فلم نرتب ولم نهم	لم يمتحنا بما تعيا العقول به
...	...
فانما اتصلت من نوره بهم	وكل آى أتى الرسل الكرام بها
يظهرن أنوارها للناس فى الظلم	فانه شمس فضل هم كواكبها

والبوصيرى يرد بتفصيل مدحه للرسول محمد (ص) ويتوسع دون أن تظهر فى نفسه حاجة للتعليل والتبرير ، فلو تأملنا ألفاظ المديح الدينى لديه لرأيناها تحوى معان كثيرة كلها تمجد للرسول (ص) يقول : (فاق النبيين — اصطفاه — منزه عن شريك — خير الخلق كلهم — فضل رسول الله ليس له حد — هو شمس فضل — وهو نور آية الرسل) وما دامت هذه الألفاظ تتكرر فى سياق مدح الرسول فهى تكتسب طاقة ايجابية خاصة وتؤكد حديث البوصيرى عن تفوق محمد (ص) على سائر الأنبياء وتفرد به بكمال المحاسن ، وعظيم فضله على البشرية وأنه خير هذه البشرية ، وأكد البوصيرى قوله بأن الرسول أفضل الخلق باستخدام صيغة التفضيل المطلق (هو خير خلق الله كلهم) وهو خاتم الأنبياء إذ شبهه بالشمس المشرقة ، وقد ردد صيغ التأكيد المطلق بأن الرسول لا يدانيه بشر فى منزلته ، واعتمد على أسلوب مطابقة الصفات التى أعطاها للرسول (ص) ليؤكد هذا التمجيد الدينى ، كقوله :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم^(١)

(١) ديوان البوصيرى — ص ١٨

فانه شمس فضل هو كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم
وكل ما قيل فى الرسول (ص) من مدح لا يستطيع أن يوفيه حقه ، ثم يقف
البوصيرى وقفة الواعى خشية أن تجرفه المذائح ويستبد به الهوى كما استبد بالنصارى فى
تعظيم عيسى (عليه السلام) فيقول :

دع ما ادعته النصارى فى نبينهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم^(١)
وقد عمد البوصيرى الى هذا الايقاع الموسيقى العالى فى المقاطع وعمد الى تجانس
الكلمات ليخاطب العاطفة والاحساس وليجعل تأثيرها فى النفس عالياً ومؤثراً .

أما شوقى فيقول

محمد صفوة البارى ، ورحمته	وبغية الله من خلق ومن نسّم ^(٢)
...	...
سناؤه وسناه الشمس طالعة	فالجرم فى فلك ، والضوء فى علم
...	...
فاق البدور ، وفاق الأنبياء	بالخلق والخلق من حسن ومن عظم
...	...
أخوك عيسى دعا ميتا ، فقام له	وأنت أحييت أجيالا من الرمم
والجهل موت ، فان أوتيت معجزة	فابعث من الجهل ، أو فابعث من الرجم
قالوا غزوت ورسّل الله ما بعثوا	لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة	فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذى حسب	تكفل السيف بالجهال والعمم
والشران تلقه بالخير ضقت به	ذرعا ، وان تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء : كم شربت	بالصاب من شهوات الظالم الغلم ^(٣)
طريدة الشرك ، يؤذيها ، ويوسعها	فى كل حين قتالا ساطع الحدم ^(٤)
لولا حماة لها هبوا لنصرتها	بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم

(١) نفس المصدر السابق — ص ١٧ . .

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٩٥ : ٢٠١ .

(٥) العلم : الثائر .. الهائج .

(٥) الحدم : شدة اختراق النار .

لولا مكان لعيسى عند مرسله
 لسمر البدن الطهر الشريف على
 جل المسيح ، وذاق الصلب شائته
 أخو النبى ، وروح الله فى نزل
 علمتهم كل شىء يجهلون به
 دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم
 لولاه لم نر للدولت فى زمن
 تلك الشواهد تترى كل أونة
 بالأمس مالت عروش ، واعتلت سرد
 أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة
 وحرمة وجهت للسروح فى القدم
 لوخين ، لم يخش مؤذيه ، ولم يجم
 ان العقاب بقدر الذنب والجرم
 فوق السماء ودون العرش محترم
 حتى القتال وما فيه من الذم
 والحرب أس نظام الكون والأمم
 ما طال من عمد ، أوقر من دعم
 فى الأعصر الفر ، لا فى الأعصر الدهم
 لولا القذائف لم تثلم ، ولم تصم
 ولم نعد سوى حالات منقصم

• • •

ذكر شوقى الرسول (ص) كما ذكره البوصيرى بالخلق والخلق الكريم وأنه نبى
 فاق جميع من تقدمه من سائر الأنبياء ، وأثبت أن معجزة محمد (ص) مستمرة لكل
 الأجيال فهى معجزة معنوية انسانية (أنت أحييت أجيالا) ، ويؤكد سمو هذه المعجزة
 للرسول (ص) بأسلوبه الحكيم الذى جاء به (والجهل موت) ، وشوقى حينما
 يتحدث عن قضية الفتح الاسلامى يثبت أنه دين تسامح وليس دين قوة ، فالرسل لم
 يبعثوا لقتل الناس والاسلام دين حق وليس دين سيف ، ودين منطق واقتناع. فهو يأخذ
 طابع التوعية الذهنية ، وهذا رد من شوقى على من اتهم الاسلام بأنه دين سيف وحرب.
 (قالوا غزوت ..) هذه هى التهمة الموجهة للدين الاسلامى من قبل أعدائه ، وقد بين
 شوقى ان أصل الفتح بالقلم، وأن استعمال السيف فى الاسلام لم يكن إلا مع الجهاد فهو
 واجب ، وجعل شوقى السيف رمزا للقوة المادية أما القلم فهو رمز للقوة المعنوية ، وهذه
 المقابلة أبرزت تكامل هذين العنصرين . أما ضرورة لجوء الاسلام للسيف فقد برره شوقى
 بالحكمة التالية :

والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم^(١)

قابل شوقى بين الخير والشر وبين الشر والشر. ويبين لنا أن الشر فى بعض الأحيان

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٠١

سلاح ذو حدين قد يأتى بنتيجة ايجابية إذا ما اقتضت الضرورة ، وكذلك السيف يتمثل فى استخدامه حيث يتحقق نفعه .

وشوقى حين يتحدث عن الجهاد فقد تأثر بروح عصره ، وحينما نستعرض ألفاظه التى أوردها فى أبياته السابقة نجدها تخدم موضوع الحرب والسياسة وقد يتخذها شوقى كمقابلات موضوعية أحداث عصره مثل : (القتال — الفتح — الحرب — الجهاد — سفك دم — قتل نفس) . ومع ذلك فشوقى لا ينكر ناموس الحياة ، ولا ينتصر لخلقه فى المواعدة على مطالب الدول فى الحرب وانتظام الأمور (والحرب أس نظام الكون) . أما الدعوة للجهاد فهى جهاد شرعى إذا اقتضت الظروف (دعوتهم لجهاد ..) .

أما آداب الحرب والقتال فهى من لوازم هذه الفلسفة الاسلامية. ولو كانت الحرب غاية فى ذاتها — كما يزعم أعداء الاسلام — لما كانت لها آداب تشرع ، ولا حرمان ترعى ، لأن الأمر فيها يصبح أمر تخريب وتدمير يقول :

علمتهم كل شئ يجهلون به حتى القتال وما فيه من الذم^(١)
والاسلام أباح القتال فى حالة الاعتداء ، قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »^(٢) .

وشوقى حينما ذكر الرسول (ص) وقدمه على سائر الأنبياء ، أعطى معه عيسى المسيح حق الأخوة ودعاه بأخيه (أخوك عيسى) على العكس من البوصيرى الذى جعل تفضيل الرسول (ص) مطلقاً . إذ أن لهؤلاء كل معجزته وقد أرسلهم الله سبحانه لهداية البشرية ، وأشاد بالمسيحية (المسيحية الغراء) و (جل المسيح) و (روح الله) وقد بين شوقى هنا منزلة المسيح من الله من ناحية . ومنزلة من النبى محمد (ص) من ناحية أخرى ، وتاريخ المسيحية الغراء التى احتملت من الغذاب على أيدي الأباطرة الرومان ما هو فوق الطاقة والاحتمال ، وما صنيع (نيرون) ببعيد الذى أحرق مدينة روما ، ثم جاء الملك (قسطنطين) من بعد فأملى للمسيحية فى الدولة ومكن للصليب فى معابد الأوثان ثم غلب الصليب من بعد بقوة السيف يقول شوقى :

لولا حماة لها هبوا لنصرتها بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم^(٣)

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٠١ .

(٢) قرآن كريم — سورة البقرة (آية ١٩٤) .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٠١ .

وقد قابل شوقي بين المسيحية فى الماضى وبينها فى الحاضر ، أما (أشياع عيسى) ويعنى بهم المسيحيين الذين دأبوا على تحريف رسالة عيسى والنيل من الاسلام أيضاً ، فالمقارنة عند شوقي بين هؤلاء تحولت من مستوى العقيدة الى مستوى السلوك عبر الأجيال . ومما يلاحظ فى أبيات شوقي موسيقيتها العالية وكثرة حكمها المدعمة بالحقائق الخالدة ، والقيم المشتركة ، وقد أورد أبياته على شكل سرد ملحمى لهذه الحوادث بأسلوب كلاسيكى فيه تأثير بالقديم ، وهذا العمل يبرز لنا قدرة اللغة العربية على الاحتفاظ بديباجتها الكلاسيكية فى العصر الحديث ، ويبرز لنا مدى ثروة التراث العربى الأدبى . وإلى جانب ذلك فقد تأثر شوقي هنا بعبارات البوصيرى ونذكر منها ما ورد فى المقطوعة التى ذكرناها سابقاً .

يقول البوصيرى :

وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكى غرة^(١) فى الأعصر الدهم^(٢)

ويقول شوقي :

تلك الشواهد ترى كل آونة فى الأعصر الفرى لا فى الأعصر الدهم^(٣)

العبارة فى بيت البوصيرى قامت على تشبيه تمثيل (الدعوة فى السنة الشهباء : الغرة فى الأعصر الدهم) والمقابلة عنده غير متوازنة (غره — أعصر دهم) ، أما شوقي فالمقابلة عنده متوازنة ومتجردة من التشبيه (أعصر غر : أعصر دهم) .

أما الموضوع المشترك الآخر بين البوصيرى وشوقي فهو موضوع الإسراء الذى تناوله كل من الشاعرين :

قال البوصيرى :

يا خير من يمنم العافون ساحتهم سعيأ وفوق متون الأينق^(٤) الرسم^(٥)
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ومن هو النعمة العظمى لمفتنم

(١) ديوان البوصيرى — ص ٢١ .

(٢) غرة القوم : شريفهم ، وهى البياض .

(٣) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٣٠٢

(٤) ديوان البوصيرى — ص ٢٣

(٥) الأينق الرسم : النوق الشديدة الوطء لقوتها ، حتى أنها ترسم فى الأرض لقوتها .

سريت من حرم ليلا الى حرم
وبت ترقى الى أن نلت منزلة
وقدمتك جميع الأنبياء بها
وأنت تخترق السبع
حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق
خففت كل مقام بالاضافة اذ
كيما تفوز بوصل أى مستتر
فخرت كل فخار غير مشترك
وجل مقدار ماوليت من رتب

كما سرى البدر فى داج من الظلم
من قاب قوسين لم تدرك ولم يرم
والرسل تقديم مخدوم على خدم
فى موكب كنت فيه صاحب العلم
من الدنو ولا مرقى لمستنم
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
عن العيون وسرأى مكنتم
وحزت كل مقام غير مزدحم
وعز ادراك ما أوليت من نعم

تكملة لما أورده البوصيرى فى حديثه عن الرسول (ص) وتفضيله على سائر
المخلوقات من البشر توسع أكثر فى خصال الرسول ذاته وبين مكانته عند الله بكل فخر
وخير مقام، واستمر فى تتابع الأحداث بشكل متسلسل بضرب من الموسيقى العالية .
وتسلسل أحداث البوصيرى جاء بنفس غنائى صوفى، لأن البوصيرى أحد شيوخ الطرق
الصوفية إذ أن صاحبه هو الشيخ أبو العباس المرسى الأنصارى، وكان إمام الواصلين وأحد
شيوخ الطرق الصوفية. ، وقد جعل البوصيرى موضوع الاسراء بين موضوع اعجاز القرآن
وموضوع جهاد الرسول والمسلمين فى سبيل الله، وحاول ربط حلقات هذه المواضيع متوسعا
فى نداء الرسول (ص) لتكون موضوعاته متتابعة ومتسلسلة ، وقد أهمل البوصيرى
الحديث عن ركوبة الرسول (ص) (البراق) فهى عنده من دواب الناس ، بينما شوقى
ذكر (الأينق الرسم) لينزه دابة الرسول عن أن تكون منها وهو من باب اشتراك العبارة
بين البوصيرى وشوقى .

يقول شوقى :

ركوبة لك من عز ومن شرف لا فى الجياد ، ولا فى الأينق الرسم^(١)
وقد شبه البوصيرى الرسول (ص) بين بقية الرسل بالعلم فى معنى القائد بين
جنده ، أما شوقى فقد شبه الرسول (ص) بالعلم فى معنى المقتدى به عامة، وشبهه
بالبدر، وصورة شوقى أكثر وضوحاً وإيغالا إذ يقول شوقى :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٥١

أسرى بك الله ليلا ، إذ ملائكه والرسل فى المسجد الأقصى على قدم^(١)
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر ، أو كالجند بالعلم
صورة شوقى فى البيتين السابقين وصف فيها الرسول بين الملائكة والرسل بالعلم بين
الجند .

ويقول شوقى :

صلى وراءك منهم كل ذى خطر ومن يفز بحبيب الله يأتهم^(٢)
جبت السموات أو ما فوقهن بهم على منورة درية اللجم
ركوبة لك من عز ومن شرف لا فى الجياد ، ولا فى الأينق الرسم
مشيئة الخالق البارى ، وصنعتة وقدرة الله فرق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها على جناح ، ولا يسعى على قدم
وقيل : كل نبى عند رتبته ويا محمد ، هذا العرش فاستلم
... ..

وضاعف القرب ما قلدت من منن بلا عداد ، وما طوقت من نعم

موضوع الاسراء عند شوقى يتكون من مجموعة من الصور لها طاقة كافية لخلق جو
ملحمى ، فهو يتحدث عن الاسراء وعن أهم العناصر البارزة فى هذه الحادثة بسرعة ويتنقل
بينها دون حسن تخلص ، فهى عنده بمثابة الحلقات لكن دون تسلسل بعكس البوصيرى .

والى جانب اشتراك شوقى مع البوصيرى فى الموضوعات مع الاختلاف فى طريقة
الصياغة ، فإن شوقى يقتفى أثر البوصيرى وغيره من القدماء بعدة أمور منها المقاطع
والصور والموسيقى والوزن والقافية والعبارات والتراكيب والمقابلات . وذلك من باب
اطالة النفس فى القصيدة من ناحية ومن ناحية أخرى لتطعيم الشعر بهذا الموروث وأساليبه
لأن الموروث يكسب القصائد جلالة القدم خاصة إذا كان من الأسماء القديمة كالأعلام
مثل (هرم بن سنان) ممدوح زهير بن أبى سلمى . وغيره ولكن شوقى لا يخضع فى
اقتباساته للترتيب .

فمن أمثلة اشتراك الشاعرين البوصيرى وشوقى فى بعض المواضع يقول البوصيرى :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩٨ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩٨ : ١٩٩ .

وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكمت غرة فى الأعصر الدهم^(١)
ويقول شوقى :

تلك الشراهد تترى كل آونة فى الأعصر الغر ، لا فى الأعصر الدهم^(٢)
استخدم شوقى العبارة الجاهزة (الأعصر) التى وظفها لتدخل فى مقابلة متوازنة
ولتعطى طاقة دلالية وذلك بحسين استعماله لها . وقد مر بنا مثال (الأينق الرسم) وهو
من باب اشتراك العبارة بين البوصيرى وشوقى .
ومن أمثلة اشتراك البوصيرى وشوقى فى الألفاظ والتراكيب وترتيب عناصر الجملة
يقول البوصيرى :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة منى اليك ولو أنصفت لم تلم^(٣)
ويقول شوقى :

يا لائمى فى هواه — والهوى قدر — لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم^(٤)
وقد أخذ شوقى بعض معانى الشاعر البوصيرى وتصرف فيها
وجعلها توافق أبياته بحيث لا نشعر بأنها معارضة فتبدو كأنها من
مكونات أبياته الشعرية إذ يقول شوقى :

وضاعف القرب ما قلدت من منن بلا عداد ، وما طوقت من نعم^(٥)
ويقول البوصيرى :

وجل مقدار ما وليت من رتب وعز ادراك ما أوليت من نعم^(٦)
سلك البوصيرى سبيل تعظيم دور الاسراء فى تقوية المعجزة ، بينما سلك شوقى سبيل
الالاح .

ويقول شوقى من باب التصرف فى المعنى :

(١) ديوان البوصيرى — ص ٢١

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٠٢

(٣) ديوان البوصيرى — ص ١٤٠

(٤) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٩١

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) ديوان البوصيرى — ص ٢٤ .

ان قلت فى الأمر (لا) أو قلت فيه (نعم) فخير الله فى (لا) منك أو (نعم) ^(١)
ويقول البوصيرى :

نبينا الأمر الناهى فلا أحد أبر فى قول (لا) منه ولا (نعم) ^(٢)
فالبوصيرى أجمل دور الرسول فى الأمر والنهى وبعد ذلك فصله أما شوقى فقد عبر
عنه كناية وردد كلمتى (لا) و (نعم) للتوكيد ولتعزيز موسيقى البيت .
والى جانب تصرفه فى المعانى يتصرف شوقى ببعض الصور فيأخذ بعض عناصر
الصورة ويتصرف فيها مثل ذلك قوله :

الحاملات لواء الحسن مختلفا أشكاله ، وهو فرد غير منقسم ^(٣)
ويقول البوصيرى :

منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم ^(٤)
الصورة مشتركة بين الشاعرين مع اختلاف ان البوصيرى وصف بها الرسول ، وشوقى
وصف بها النساء .

وشوقى ينفى عن نفسه بعض المواضع بأنه عارض الامام البوصيرى شيخ المدائح
النبوية ، وجعل شوقى نفسه تابعاً لصاحب البردة واعترف بالضعف أما عبقرية
البوصيرى . يقول :

المادحون وأرباب الهوى تبع	لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم ^(٥)
مديحه فيك حب خالص وهوى	وصادق الحب يملئ صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه	من ذا يعارض صوب العارض العرم
وانما أنا بعض الغابطين ، ومن	ينغيط وليك ولا يذمم ، ولا يلم
هذا مقام من الرحمن مقتبس	ترمى مهابته سحبان ^(٦) بالبكم

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٠١

(٢) ديوان البوصيرى - ص ١٧

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩١

(٤) ديوان البوصيرى - ص ١٧

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١٩ : ٢٠٠ .

(٦) سحبان وائل من بنى باهله . كان يضرب بلمصاحته المثل .

والملاحظ على شوقي أنه حرص على تسمية قصيدته (نهج البردة) لتختلف بهذه التسمية عن (بردة البوصيري) ، كأنما رأى أن هذا القدر من الابانة لا يستقل بالكشف عن قصده ، فهو لذلك ينوعه ويضيف إليه ، أو كأنما رأى أنه لا يريد أن يكشف عن قصده منذ اللحظة الأولى ، فهو يجعله في اسم القصيدة ليكون أول ما يعلم الناس عنها من شيء . ومن حق شوقي أن ينفي عن نفسه ما يشاء ، وأن يتخذ لهذا النفي من أساليب البيان ما يشاء ، كما أن له أن يكثر من هذه الأساليب ، وأن ينوع فيها ، ويعدد مواضعها . والواقع أن نهج البردة الشوقية تتفق مع البردة البوصيرية في الموضوع وفي الوزن والقافية بل في طابع الأسلوب . نكتاهما في مدح الرسول ، وكلتاهما من وزن البسيط ، وكلتاهما تصطنع البديل ما وجدت إليه سبيلا . أما باقي الموضوعات الأخرى التي وردت في البردتين ولم تتناولها بالتفصيل مثل معجزة القرآن الكريم، والدعاء والتوسل الى الله، ومدح الصحابة وغار حراء وغيرها فكلها تقاس على ما تناولناه في شرح القصيدتين من موضوعات .

أما (الهمزية النبوية) فنلاحظ أنها قصيدة من قصائد المديح النبوى . فالبوصيري له همزية وشوقي كذلك والملاحظ أن البوصيري وشوقي يتفقان في الأغراض . والاتفاق هنا هو وحدة الموضوع كما لا يخفى ، ولكن شوقي يختلف عن البوصيري بمثل ما اختلف عنه في (نهج البردة) . إذ يختص دونه بحديث مستفيض عن الاشادة بخصائص الاسلام ونظم حكمه ومنهجه في سبيل الاصلاح . يقول شوقي وقد أطلق اسم الهدى على الرسول (ص) إذ لم يسبقه أحد من الشعراء لهذا الاسم :

بك يا (ابن عبد الله) قامت سمحة	بالحق من ملل الهدى غراء ^(١)
فرسمت بعدك للعباد حكومة	لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة	والأمر شورى والحقوق قضاء

بينما تقارب الشاعران في تناول دعوة الاسلام حين بدت غريبة واهية القوى ، ثم مضت عزيزة مرهوبة الجناح ، استبد خصومها بغطسة الكثرة ، وغرر العدة واستعصم دعائها بركن الحق ، وبأس العزم ، فسقط تحت أقدامهم جيروت الباطل ، ومضى جند

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٦ .

(الله) أعزة في موكب النصر، عن تلك المعاني أفصح الشاعران ، (فالبوصيري)
يعرض في أناة صوراً بديعة هادئة يقول فيها :

وتحدى فارتاب كل مريب أو يبقى مع السيول الغشاء^(١)
وهو يدعو إلى الله وإن شق عليه كفر به وإزدرا

ويدل الوري على الله بالتو حيد وهو المحجة البيضاء
وشوقى يسوق تصويره في حماسة قوية متلاحقة وعرض سريع
أخاذ :

الحق عوض الله كل أبيه بين النفوس حمى له ووقاء
هل كان حول محمد من وقومه إلا صبي واحد ونساء
فدعا قلبى فى القبائل عصابة مستضعفون قلائل أنضاء

كما يتقارب الشاعران فى استشفاع الرسول والتوسل إليه ، فالبوصيري مطيل جداً
(عدد أبياته أكثر من مائة) لكن الأقسام على الرسول يذهب منها بأربعة وخمسين ،
يقسم عليه بما آتاه من العلم وبعض ما أيده به من معجزات ، ثم نراه يفرغ من
ذنوبه ويقر بها ويلتمس التدارك بالعناية الإلهية فيقول :

يا أبا القاسم الذى ضمن أقسا مى عليه مدح له وثناء^(٢)
... ...
يا رحيماً بالمؤمنين إذا ما ذهلت عن أبنائها الرحماء
يا شفيعاً بالمذنبين إذا أشفق من خوف ذنبه البراء
جد لعاصي وما سواى هو العا صى ولكن تنكرى استحياء
وتداركه بالعناية مابدا م له بالذمام منك ذماء

(١) ديوان البوصيري - ص ٥٤ : ٥٥ - شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد - تحقيق محمد سيد الكيلانى -
ط ٢ - طبع ونشر مصطفى البابى الحلبي - ١٩٧٣ .
(٢) ديوان البوصيري - ص ١٠٢ .

أخبرته الأعمال والعمال عما قدم الصالحون والأغنياء
كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها أنفاسه صعداء

أما شوقي فانه ينسى نفسه ويتشفع بالدعاء لقومه ، فهم ضعاف متفرقون في ظل
اتهام المستشرقين للمسلمين بالتواكل والضعف، فظلموا الشريعة بتخلفهم عن حضارة مش
سلفاً في أضوائها :

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ما له شفعاء (١)

...

ما جئت بابك مادحاً بل داعياً ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة في مثلها يلقي عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم دكبت هواها والقلوب هواء
متفكرون فما تضم نفوسهم ثقة ، ولا جمع القلوب صفاء
قدوا وعرهم نعيم باطل ونعيم قوم في القيود بلاء

وواضح من هذا التقابل ان بين الشاعرين من البعد ما بين الايثار والاثرة من فارق ،
وحسبى في التعليق عليهما ما أبداه الاستاذ (علي النجدي ناصف) من أن شوقي :
« بحكم مواهبه ، ورسوخ ملكة الشعر عنده — يجعل من نفسه لساناً لقومه ، يصف
للرسول الكريم أدومهم ويسأل لهم الطب والشفاء ، فهو جماعي زعيم ، واسع النظرة ،
مشارك الفضل ، مؤمن بقوة الترابط في الأمة الواحدة ، وتأثر أحادها بما تتأثر به
جملتها ، وان اختلفوا في مبلغ هذا التأثير ومداه .

أما البوصيري فكما رأيت من الأثرة والفردية ، يبغى الخير لنفسه ، ويخصها به
وحدها كأنه لا يفكر الا فيها ، ولا يعمل الا لها ، ولا يريد أن يكون لها فيما تشتبه شريك
مع أن حال المسلمين لعهد كانت أكثر سوءاً ، وأشد فساداً منها لعهد شوقي ، فالفتن
قائمة ، والحروب متداركة ، والاضطراب شامل ، والفوضى تكاد تغشى كل مكان (٢) .

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٣٦ .

(٢) الدين والأخلاق في شعر شوقي — علي النجدي ناصف — ص ١٤٥ .

ويختتم الشاعران قصيدتهما بما ينتظر أن يكون ختاماً لأمثالهما من الصلاة والتسليم
على رسول الله ، فيقول البوصيري :

فسلام عليك يترى من الله وتبقى به لك البأواء^(٥) ^(١)
وسلام عليك منك فما غيرك منه لك السلام كفاء
وسلام من كل ما خلق الله لتحيا بذكرك الاملاء
ويقول شوقي :

صلى عليك الله ما صحب الدجى حاد وحننت فى الفلا وجناء^(١)
واستقبل الرضوان فى غرفاتهم بجنان عدن ألك السمحاء
خير الوسائل : من يقح منهم على سبب إليك فحسبى الزهراء

أما قصيدة (ذكرى المولد) التى قالها شوقي فى قصيدة من قصائد المديح النبوى
وتعتبر من أحسن ما نظم فى هذا المجال، إذ لم ينظمها معارضة أو محاكاة مثل (نهج
البردة) و (الهمزية) ولذلك نراها تفضلهما شأناً وفناً ، وبدت أدل منهما على شخصية
الشاعر ، وأشبه به ، وأحق بالانتساب إليه ، والقصيدة طويلة ، أبياتها واحد وسبعون ،
متعددة الأغراض ، وأغراضها هى : (١) النسيب ، (٢) وصف الدنيا ، (٣)
الحكمة ، (٤) مدح الرسول والتوسل به . والذى يهمننا فى مجال بحثنا هذا هو مدح
الرسول (ص) .

ومدار المدح فى القصيدة ثلاثة أمور : أولها البر ، وعمل النبى له ، ونجاحه فى
الدعوة إليه ، وجمع الناس عليه بعد أن تفرقوا فيه ، وضلوا عن سوائه بعد المسيح عليه
السلام ، والثانى لمحات سريعة عن بيان الرسول ، وأثره فى الهدى الى الله ، وعن
جهاده فى أداء الرسالة ، والتمكين لها ، واعلاء كلمتها ، ثم عن فضله على الأعقاب من
بعد ، إذ هداهم الطريق الأرشد الى المجد وعلمهم كيف تكون الأمرة على العالمين
يقول :

(١) ديوان البوصيري - ص ١٠٤ .

(٥) البأواء : الرجوع .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٦ .

وأرسل عائلا منكم يتيما دنا من ذى الحلال فكان قابا ^(١)
 نبى البربينه سبيلا وسن خلاله وهدى الشعابا
 تفرق بعد عيسى الناس فيه فلما جاء كان لهم متابا
 وشافى النفس من نزعات شر كشاف من طبائعها الذئابا
 وكان بيانه للهدى سبلا وكانت خلية للحق غابا
 وعلمنا بناء المجد حتى أخذنا امرة الأرض اغتصابا

وكما عودنا شوقى فى مدائحہ نراه يعتمد على المأثور القرأنى وفى البيت الأول
 (عائلا يتيما ، قابا) مصدقا لقول الله تعالى : « ألم يجدك يتيما فأوى » ^(٢) ، وقال
 الله تعالى : « فكان قاب قوسين أو أدنى » ^(٣) . ونرى الشاعر فى البيت الرابع متأثراً
 بمذهب المتشائمين ، ثم نلاحظ أن الحكم التى ينثرها شوقى هنا وهناك لا تكاد تخلو منها
 قصيدة إذ يقول :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ^(٤)
 وما استعصى على قوم منال إذا الأقدام كان لها ركابا

ومما يدور عليه مدح الرسول (ص) — اشارة عابرة الى مولده والبشائر التى
 لازمتة والفضل الذى أسدته أمه الى العالمين ، إذ أتت الدنيا به كما تأتى السماء بشهاب
 جديد فملأ الحجاز أول العهد به نوراً ، ومازال نوره يسطع ، يقول :

تجلى مولد الهادى وعمت بشائره البوادر والقصابا ^(٥)
 وأسدت للبرية بنت وهب يدا بيضاء طوقت الرقابا
 لقد وضعتة وهاجا منيرا كما تلد السموات الشهابا

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٦٤ .

(٢) قرآن كريم — سورة الضحى — آية ١٣ .

(٣) قرآن كريم — سورة النجم — آية ٩ .

(٤) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٦٤ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ٦٥ .

فقام على سماء البيت نورا يضيء جبال مكة والنقبا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القعاع أرجاء وطابا

والشاعر يقدم سؤاله بمدح الرسول والشفاعة به عند الله وقد جاوز الشاعر قدره بالجرأة على مدحه . ولكن ما منحه الشجاعة في هذا المدح هو انتسابه للرسول الكريم واتصاله به ، وأولى دلائل هذا الانتساب والاتصال هي أن الشاعر من أمة النبي محمد (ص) ثم أنه يدعى الانتساب الى البلاغة والفصاحة التي هي مشرع من نبع الرسول الفياض ، ولمكانة الرسول (ص) من الفصاحة والبلاغة ومن الكرامة والتفضل على غيره من الناس فان شوقى حين يمدحه فانما يرتفع بذلك الى عليا سماوات الفخر والاعتداد بالنفس ، يقول :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد أن لى انتسابا^(١)
فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لم يتخذك له كتابا
مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت السحابا

ثم يصير الى التوسل ، فنراه فيه كما رأيناه فى توسل الهمزية حدبا غيورا على قومه ، يألّم لحالهم ، ويسأل الله فيهم ويتوسل بالنبي اليه أن يبدلهم من النحاس سعدا وأن يهديهم سواء السبيل :

سألت الله فى أبناء دينى فان تكن الوسيلة لى أجابا^(٢)
وما للمسلمين سواك حصن إذا ما الضر منسهم ونابا
كأن النحاس حين جرى عليهم أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورا وكان من النحوس لهم حجابا

والشاعر فى توسله هنا أدق تعبيراً ، وأبعد فى خطابه من الإيهام والتشكيك ، فهو يتوجه الى الله بالسؤال والى النبي بالرغبة أن يكون وسيلته إليه ، ليستجيب الدعاء . ولا تخلو بعض قصائد الشاعر التى قالها بمناسبة الحج وغير ذلك من مدح الرسول (ص) وذكر لمعجزاته وتشريعات القرآن الكريم .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

شعر المناسبات الدينية :

— المناسبة تمثل قيمة تنبع من العقيدة . وتمتد الى الأخلاق أو السلوك ، هي احياء لتاريخ أو حدث مؤثر ، مستمر التأثير بصورة أو بأخرى . من هنا يأتى اهتمام الشاعر ويتحدد اطار عمله الشعري ، انه عادة يتجه الى احياء الأصل ، واعلاء القيمة ، وتأمل المغزى ، وما يشير ذلك كله من تنظير أو رجاء أو توجيه .

— ان الاتجاهات النقدية الحديثة ترفض شعر المناسبات جملة وتفصيلا ، وسنرى أن شاعرنا أحمد شوقي قد ناله الكثير من اللوم لاسرافه فى هذا النوع من القصائد . والرافضون لشعر المناسبات لا يفرقون بين مناسبة دينية وأخرى وطنية مثلا ، على اعتبار أن المناسبة فى ذاتها أمر مفروض من الخارج ، وليس نابعا من وجدان الشاعر ، وانه موقوت بيوم محدد ، وهذا يعنى — فى عرف الرافضين — أن التجربة لم تولد فى ظروف طبيعية ، وتعواف حرة ، وانما اصطنعت اصطناعا لكى تصادف وقتها وتتحرك فى الاطار المفترض فيها ، فشعر المناسبات محدود القيمة الفنية من جانب ، ومفتعل ذائف من جانب آخر .

ومع هذا فأبنا لابد أن نفرق بين مناسبة تلبس الوجدان العام ، وتعبّر عن روح الأمة ، وليس غريباً أن يتحمس لها الشاعر تحمساً حقيقياً وأن يبدع فيها ، ومناسبة مصطنعة كاحياء ذكرى عظيم مات ، ولا يرى الشاعر فيه شيئاً من العظمة يشير شاعريته ، ولكنه يجد نفسه متورطاً فى قصيدة بهذه المناسبة التى يتوقع الناس أو بعضهم أن يقول فيها شيئاً .

وربما ترفقت كلمات حسين عن أبيه فى كتابه (أبى شوقى) فلم تشر الى ما يعتبر نقداً أو انتقاداً لسلوك هذا الأب فى حياته العملية . ولكن مصادر أخرى كتبت عن شوقى من موقف قريب من حياته الشخصية أشارت الى أنه كان يملك سلوكاً يمكن أن يوصف بأنه متحرر، لقد كان يشرب كثيراً وكان يسمى قصره الخاص كرمة ابن هانى ، ولهذا الاسم مغزاه ويسمى مجلسه الخاص (عش البلبل) ، ومن المعروف أنه لم يتم رحلة الحج بصحبة الخديوى. ولعل هذه الأمور المتناثرة تدل على أن شوقى لم يكن متديناً بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة. ومع هذا فإن أموراً أخرى كانت موضع رعايته واحترامه العميق. والفكر الدينى واضح تماماً فى قصائده واعجابه بشخصية الرسول محمد لايدانيه اعجاب بمخلوق آخر ، ولعل هذا يعنى فى النهاية أن المستوى الفكرى لشوقى كان يفترق

بعض الشيء عن المستوى السلوكي العملي ، وانه كان يؤمن بالاسلام وبنبيه وعظمائه كقيماً رفيعة تضمن الخير للبشرية وتؤسس عظمة الأمة الاسلامية التي لا غنى لها عن هذا الدين، وهذه النقطة هي التي يمكن أن نوفق فيها بين اشادته بالقيم الاسلامية وبعض المخالفات الصغيرة التي أشار إليها بعض القرييين منه .

والمناسبات الدينية من الموضوعات التقليدية التي عالجها الشعر قديماً وحديثاً ، ذلك أن المناسبة تبين قضايا كثيرة تثور في كل مجتمع على مر العصور، وأصبح قول الشعر في هذه المناسبات تقليداً يلتصق التصاقاً وثيقاً بقلوب الملايين من المسلمين الذين يولون الاحتفالات الدينية أكبر قدر من الاهتمام .

والمسلمون على اختلاف مذاهبهم يعبرون بأشكال متنوعة وبدرجات تختلف عن ظاهرة اجتماعية أصيلة حين يقيمون احتفالاتهم كل سنة بمناسبة المولد النبوي وذكرى هجرة الرسول (استهلال العام الهجري) وغزوة بدر الكبرى ، وتهتم اهتماماً شديداً بذلك اليوم الذي عرج فيه الرسول الى السماء ، ثم هناك اهتمامات أخرى من المسلمين بشهر رمضان وتقديس لاحد له لشعائره الدينية . ومن أجل ذلك عبر الشعراء عن احساساتهم تجاه شهر الصيام . ولم تكن فريضة الحج أقل حظاً من صيام رمضان في نفوس المسلمين لذلك برزت مظاهره في الشعر أيضاً .

تضاف الى ذلك كله مناسبات أقل أهمية من هذا . لكن الشعر لم يهملها وانما أشار إليها ، وهي الاحتفال بذكرى شهر رجب، ثم التعبير عن الفرح بالعيد وغير ذلك من المناسبات التي تلتصق مظاهرها بمعاني الدين . فأما الاحتفال بالمولد النبوي ومولد الأئمة وذكرى وفياتهم فهو يلتصق التصاقاً بمدائح الرسول وآل البيت ومراثي آل البيت أيضاً . وقد غالت بعض فرق الشيعة في المراثي وخاصة مراثي الحسين الشهيد .

وحين استعرضنا ما يقوله الشعر في هذه المناسبات الدينية تبين لنا أنها تتعرض الى موضوعات مختلفة، منها موضوعات تتصل اتصالاً وثيقاً بالدعوة الاسلامية ، ويتضح ذلك خاصة في مناسبتى هجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة ، ومعركة بدر التي ثبتت فيها قواعد الاسلام . وهناك موضوعات دينية أصيلة تتعلق بشخص الرسول حين نتحدث عن اسرائه ومعراجه ، وموضوعات دينية أخرى تتعلق بالعبادات ، ويدخل في

اطارها الحديث عن رمضان وعن ليلة القدر ، والاشارة الى الحج ، وآخرها تصور مظاهر اجتماعية علاقتها المباشرة بهذا التفكير الدينى الأصيل ، وهى الاحتفال بعيد الفطر المبارك وبليلة النصف من شهر شعبان المكرم وغير ذلك ، هذا الى جانب ما يتداخل فى نسيج أحاسيس الوجدان الخاشع أثناء زيارة البيت الحرام فى الحج أو فى العمرة . ولقد ظهر لنا أن أكثر الموضوعات أهمية وأبرزها فى مجال الشعر هو موضوع الهجرة ، ولعلها تقف على رأس الموضوعات فى شعر المناسبات الدينية .

وقد وقف التاريخ الاسلامى والعربى يتحدث عن هذه الخطوة الفاصلة فى تاريخ المسلمين يبرز فى شخصية الرسول (ص) أعلى درجات التضحية والفداء . لقد فصلت الكتب التاريخية أو شبه التاريخية فى موضوع الهجرة وكتبت القصص وألفت الروايات . ووقف الشعر منذ القديم يصور فى ثنانيا هذا التاريخ هذا الحدث العظيم الذى يعد حداً فاصلاً بين عهدين فى الدعوة الاسلامية فهو بداية مرحلة جهادية جديدة تناضل فى سبيل نشر الدعوة وقد تحول من أسلوب الهدوء والصبر والاحتمال الصابر الى أسلوب الجهر بالدعوة والجهاد فى سبيلها ، لذلك وجد الشعراء فى موضوع الهجرة مجالات فسيحة تتصارع فيها الوجدانيات والأفكار ، وتحتشد الحوادث والأعمال المجيدة المبهرة ، ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا شوقى . ولا بد من أن نشير الى أن القرآن الكريم قد سبق الشعراء وقضى علينا خبر الهجرة كما سبقت أيضاً الأخبار والتاريخ فى هذا . لذلك لم يكن جديداً أن يتحدث الشعراء عن خروج محمد وصاحبه من مكة الى المدينة ، وعن المخاطر التى تعرض لها الاثنان حين غادرا مكة الى يثرب وما صادفا من أحداث تثير الحب والقلق وأخيراً الفرحة بسلامة الوصول ثم روعة استقبال الأنصار للنبي الكريم ولأبى بكر صاحبه .

وقد أشار أحمد شوقى الى ذلك فروى قصة الهجرة ، وفصل الحديث عنها وذكر اصطحاب الرسول لأبى بكر ، وتحدث عن هجرة الرسول ليلاً بصحبة أبى بكر ، وأشار الى شجاعة النبي (ص) فى الاقدام عليها ليلاً تخفياً من المشركين ، كما أشار الى دخولهما الغار وملاحقة كفار قريش لهما :

هاجر من أم القرى مأذونا وما درى أو سمع المؤذونا؟^(١)
فى ليلة بلختل كانت موعداً قد نصبتها شركاً أيدي العدا

(١) دول العرب وعظماء الاعلام - ص ٢٨ .

اأتممرت فى الندوة الأعيان وانتدبت للفتكة الفتيان
وقعدوا ناحية كميننا ليغدروا فى داره الأميننا
فخرج الله من البيت به لم يره الجمع ولم ينتبه
وسار فى ركابه الصديق وفى البلاء يعرف الصديق
فانتشرت خيل قريش تطلبه من ينصر الرحمن من ذا يغلبه ؟
مروا على الغار مضللينا وأخذوا السبل مسائلينا

ولا شك أن شوقى كان أميناً فى نقل هذه الصورة كما جاءت تماماً فى القرآن الكريم ، وقد استوحى صورها منه بل حتى معانيها وبعض ألفاظها . أبرز الشاعر عزيمة الرسول وشجاعته وتضحيته من خلال بعض أبيات القصيدة .

ولقد صار من تقاليد القصائد التى تتحدث عن الهجرة الاشارة الى ذكر أبى بكر الصديق (رض) ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد أكد ذلك القرآن نفسه وأشار الى صحبة الصديق لرسول الله ، لذلك يكرر شوقى ذكر أبى بكر فى معرض حديثه عن الهجرة يقول :

فحقت الهجرة وهى مرة ما وصفت الا لنفس حرة ^(١)
ويقول :

هاجر من أم القرى مأذوناً وما درى أو سمع المؤذنا ^(٢)
وسار فى ركابه الصديق وفى البلاء يعرف الصديق
وفى قصائد الهجرة تبرز مدينة يثرب ، والتحدث عن فضلها ونصرها محمداً (ص) والمسلمين ووقوفها فى وجه أعداء الدعوة المحمدية . والشاعر شوقى أعطى دون ريب لهذه المدينة حقها من التعظيم والاحلال وتبدو عواطفه تجاه أهل يثرب حين يشير الى الموقف الخالد الذى وقفه أنصار الرسول فى المدينة . ثم يضع صورة لموقفهم المشرف من الرسول ودعوته . وتبدو ملامح الصورة حين يتحدث عن استقبال أهالى يثرب للرسول (ص) ، يقول :

(١) دول العرب وعظماء الاسلام — ص ٢٧ .
(٢) نفس المرجع السابق — ص ٢٨ .

فكان للقدام منهم أهل ومنزل رحب الفناء سهل^(١)
باليمن ألقى رحله فى الخروج كأنه من أرضه لم يخرج
وهذا الوصف دفع اليه ايمان شديد بهذا الدين ، فهو الذى أوحى للشاعر بهذه
المعاني ، وهو الذى أدى الى ابداء هذه المشاعر الصادقة .

وما كان لشاعر مهما يكن أن يغفل عن حب يثرب والاجلال لموقف الأنصار وما
فطروا عليه من ايمان وفطرة على التضحية فى سبيل نصرة الاسلام الذى آمنوا به وبرسوله
عن بعد .

ولقد انتزعت جزئيات هذه المعاني والأحداث من الأخبار التاريخية فتتبع الشعراء
حركة الحدث حركة حركة وما كان لهم أن يفعلوا غير ذلك ، فان سلوك الأنصار ورد
الفعل عند الرسول (ص) ورفيق رحلته قد أوجد جماعة مسلمة لأول مرة على أرض
لاتخشى فيها البطش والعذاب ، فأصبح الموقف كله مشحوناً بالشعر ومعاني الشعر ،
ولعل فضل الهجرة لا يقف عند استقرار المسلمين فى يثرب ، وانما يكمن فى الأعمال
والاصلاحات التى حققها رسول الله بعد استقراره فى المدينة . فكان على الشعراء ألا
يكتفوا بالاشارة الى المعنى النضالى للهجرة فحسب ، وانما تعدوا ذلك الى الكلام على
أثرها وفضلها على المسلمين ، ودفعها الى ما حققه النبى بعد استقراره فى يثرب .

ومع كل ذلك، فإننا نرى أن الشعر الذى تحدث عن هجرة الرسول لم يبلغ الشأو الذى
تدفع إليه حقيقتها فلم يوفق أكثرهم فى استيعاء المعاني الأصلية للهجرة ، وعرض الواقع
الباهر من خلال ذلك وخاصة إذا قارنا ذلك الشعر بالشعر الذى قيل فى مدح النبى
(ص) ، أو رثاء آل البيت الذى نرى من خلاله عرضاً جيداً للعصر ولوجدان المسلمين .
ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن هذه الموضوعات لها جذور قوية فى الشعر القديم لم
يستطع الشاعر أن يستغلها أما شعر أحداث التاريخ الفاصلة والعظيمة فتراث الشعر فيه
أقل .

وتعود أهمية هذه المناسبة الى معانيها التى توحى بها ، وهى التضحية من أجل
العقيدة ، والبذل والفداء من أجل المبدأ ، وهى معان يمكن الافادة منها فى هذه الظروف
القاسية التى تمر بها الأمة العربية .

(١) دول العرب وعظماء الاسلام — ص ٢٩ .

فاستخدام الشاعر لمعاني الهجرة إذن كان قصده أن يأخذ الناس العبرة من هذه المعاني ليثوروا على واقعهم ويجهادوا في سبيل تغييره ، وكذلك استخدم الشاعر أسلوب المقارنة بين عظمة الهجرة والهدف منها ، وبين الواقع الهزيل الذي آل اليه المسلمون يقول :

ما أجمل الهجرة بالأحرار ان ضنت الأوطان ^(١) بالقرار

أما الاحتفال بذكرى معركة بدر ، فتعود أهميته الى أن هذه المعركة لم تكن مجرد تعبير عن الفداء والتضحية ، وانما هي تعبير عن قوة العزيمة وعمق الايمان الذي تجلى بالبطولات التي دافقت المعركة ، لقد كانت أول امتحان وأقسى تجربة لايمان المسلمين الذين أذروا دعوة محمد (ص) وأرخصوا من أجلها الأرواح ، وتسابقوا الى الشهادة ليفوزوا بالجنة التي وعدوا بها .

ولهذا كان احتفال المسلمين بهذه الذكرى احتفاء بتلك المعاني التي عبرت عن ايمان أصحاب الرسول (ص) الذين وقفوا يدافعون عن دين الله الذي تهدده الكفر منذ فجره ، فكانت تلك المعركة حداً فاصلاً وقف من بعده المسلمون يرفعون بناء الدين الجديد ويقيمون شعائره السمحة . ومن يومها بدأ المسلمون يفرضون وجودهم بذلك التحدي الذي تصدوا به لقريش .

ولهذه الأسباب كلها وقف العالم الاسلامي يحتفل بذكرى معركة الايمان ، معركة الاسلام ، ومن يومها أصبحت هذه المعركة الهاماً للشعراء في حديثهم عن أمجاد المسلمين .

ومرة أخرى يسير الشعر وراء التاريخ يفيد منه ويبعثه ليؤدي دوره المستقبلي ، فالشاعر يتغنى فيها بأبطال بدر الذين بنوا بجماجم شهدائهم صرح الاسلام . وقد وقف بعض الشعراء، ومنهم شوقي، يسردون قصة المعركة كما رواها التاريخ ، فتحدثوا عن الايمان الذي تصدى لكفار قريش ، وأشاروا الى بطولة الرسول (ص) ، وقيادته المثالية للمعركة ، كما أشاروا الى بطولات الصحابة والى التحام جيش المسلمين بجيش المشركين .

(١) دول العرب وعظماء الاسلام — ص ٢٩ .

يقول شوقي :

فكانت الحرب لدفع الحيف قد تؤخذ السلم بحد السيف ^(١)
وكان (بدر) مطلع الأيام ورفع الصلاة والصيام
وأول العهد بعز الملة وبارتداء المشركين الذلة
ويقول :

قف بقريش بعد بدر وسل ما غيرها بأبن أبيها المرسل ^(٢)
ولما كانت بدر أول معركة يخوضها المسلمون من أجل الاسلام وكان النصر حليفهم
بشكل مذهل ، فقد صارت لها في تاريخ المسلمين مكانة ممتازة وأصبحت رمزاً للجهاد
من أجل الحق .

ومن المناسبات الدينية التي تتعلق بشخص الرسول (ص) الاحتفال بليلة الاسراء
والمعراج ، وهذه المناسبة الجليلة تثير في نفوس المؤمنين الصادقين أرق المشاعر
الدينية ، وتعيد الى أذهانهم تلك المعجزات والخوارق التي صحبت رسالة محمد .

ومثل هذه الموضوعات لها شأنها في صفوف الصوفية التي تتخذ منها مادة تحيي-
فيها مناسباتها وتدعم بها أفكارها التي جاوزت الخوارق الى خرافات لا صلة لها
بالاسلام .

ويكاد الاسراء يكون المعجزة الوحيدة التي قام بها الرسول (ص) الى جانب
اعجاز القرآن نفسه ، لذلك أصبح لموضوعه جاذبية خاصة عند المتصوفة بالذات ويسير
الشعر على نهج القرآن الكريم ، فيحكي قصة اسراء النبي على البراق . وعروجه الى
السماء واستمد الشعراء أفكارهم وألفاظهم من القرآن الكريم نفسه حينما أشاروا الى اقتراب
الرسول من عرش وذكروا ان محمداً امام والملائكة اقتدت به من خلفه ثم ذكروا تكريم
الله لرسوله إذ حباه أعز منزلة وأرفع مقام .

وقد أشاد شوقي بالاسراء والمعراج في تصوير جليل ، فجعلهما مرحلتين متصلتين أو
مرحلة ذات شقين ، وأنكر على المتبائلين عن حقيقة الاسراء والمعراج هل بالروح أم
بالجسد أم بهما معاً ؟ ورد عليهم بأنهما كانا بالروح والجسد معاً .

(١) دول العرب وعظماء الاسلام — ص ٢٩ .

(٢) نفس المرجع السابق — ص ٣٠ .

وكان شوقى بارعاً فى فصله بين التساؤل والمسئول عنه بالجملة الحالية (وأنت أظهر هيكل) من قوله :

يتساءلون — وأنت أظهر هيكل — بالروح أم بالهيكل الاسراء؟^(١)

وقد أراد شوقى أن يمهد لما سيظهر به من الاسراء بالجسد والروح ، وكان بارعاً فى وصف الجسد بما وصف به الروح من النور والبهاء والروحانية ، ليؤكد أن الذى يصدق السرى بالروح حق عليه أن يصدق العروج بالجسد الروحانى المطهر ، ثم قطع شوقى الشك الذى قد يتسرب الى بعض النفوس بقوله :

فضل عليك لذى الجلال ومنة والله يفعل ما يرى ويشاء^(٢)

ثم صور رسول الله وهو يعرج الى السماوات بأنه كان جمالا فيها ، وحلية لها ، وقلادة على جيدها ، وبأنه كان النقطة الزهراء فى مناطق النور . وصور اعجاب الرسول بما رأى تصويراً شعرياً خالصاً لا علاقة بينه وبين أخبار الاسراء والمعراج المأثورة ، وليس له نظير فى قصيدة البوصيرى التى احتذاها شوقى وقلدها ، إذ كان رسول الله مشدوهاً بما يرى من جمال وجلال ولكنه كان هو الجمال والجلال ، فكأنما كان وهو يتملى بالنظر الى جمال السماوات وجلالها يتملى بالنظر الى نفسه ، فهو الجميل ، وهو الجمال ، وهو الناظر الى الجمال ، وهو الجميل بيده مرآة يرى فيها جماله . وفى هذه الصورة سبحات صوفية ، ومبالغة فى الوصف الجسدى وتشبيه بالحسنة التى بيدها مرآة ، وهو تشبيه لا يناسب المقام .

ثم صور شوقى تقريب الله تعالى لرسوله الكريم بأنه أعد له منزلاً رفيعاً فى حاشية من قدسه عند سدرة المنتهى لم يبلغه أحد غيره فصار العرش تحته ، وجبريل متكأ له ، وأحسب أن التحتية هنا لا معنى لها ، وكان انسجام الصورة يقتضيه أن يقول : العرش أمامك أو فوقك أو الى جوارك أو بالقرب منك ، كما أن تصوير النبى وهو يتخذ من مناكب جبريل مستنداً له وتكأة فيه لون من الجفوة ، لأن هنا التصوير لا يليق لا بالحامل ولا بالمحمول .

قال شوقى :

(١) ديوان شوقى — ج ١ ص ٣٩ .

(٢) نفس المرجع السابق .

يا أيها المسرى به شرفا الى
يتساءلون - وأنت أظهر هيكل -
ويقول :

العرش تحتك سدة وقوائما
وقال في قصيدة (نهج البردة) :

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
لما خطرت به التفوا بسيدهم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم^(١)
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
ومن يفر بحبيب الله يأتهم

وهذه الصورة تتفق مع مكانة رسول الله ومع شريعته وأنه خاتم الأنبياء وخيرهم .

ثم تحدث شوقي عن المعراج وعن البراق ، وعما انكشف للرسول (ص) من
أسرار ، وما منحه الله من نعم ، ورفع الشك فى الاسراء والمعراج بحجة لاسبيل الى
انكارها ، وهى أن كل مستحيل علينا هين سهل إذا تعلق بقدرة الله تعالى .

وبعد هذا صور تقدم النبى على الأنبياء بأنه هو وحده الذى أذن له فى أن يستلم
العرش :

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم
وقيل : كل نبى عند رتبته
على منورة درية اللجم^(٢)
ويا محمد : هذا العرش فاستلم

وهو فى هذا التصوير يزيد على قصة المعراج أن النبى قرأ اللوح المحفوظ ، ولمس
القلم ، يريد أن الله أطلعه على كثير من الخفايا والأسرار . وما من شك فى أن شوقي بارع
فى قوله :

وقيل كل نبى عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم

(١) ديوان شوقي - ج ١ ص ٣٩ .

(٢) نفس المراجع السابق

(٣) ديوان شوقي - ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) نفس المراجع السابق

لأن هذه الصورة جمعت بين القول المجيد والأمر المكرم والاستماع المستجيب والحركة المرتبة ، فقد تجلت فى هذه الصورة الشوقية براعة الرسام .

ومن موضوعات المناسبات الدينية موضوعات تتعلق بالعبادات وهى مناسبات تتمثل بعلاقة العبد بخالقه . وقد احتفى شوقى ببعض هذه المناسبات . ومنذ القدم احتفل المسلمون بشهر رمضان المبارك ، فخصوه بأوقات معينة يمارسون فيها شتى أنواع العبادة كالصلوات والدعاء ، ويعبرون فى بعض الأحيان عن مراسيم معينة يحتفلون فى ظلها بهذا الشهر الذى كرمه الله حين أنزل فيه القرآن على رسوله .

ولذلك تعددت المعانى التى تحدث فيها الشعر عن أحداث هذا الشهر العظيم ، وهو أكثر اهتماماً من جانب الشعراء ، ولذلك أفرد بعضهم قصائد كاملة للحديث عن ليلة النزول أى ليلة نزول القرآن وهى (ليلة القدر) كما وردت فى القرآن الكريم . ويصور شوقى هذه الليلة وكيف أن الله يستجيب لعباده الضعفاء ويمحو بها الذنوب عنهم ، يقول فى وصف (ليلة القدر) ومن يقومها ويتوب فيها ، قالها من قصيدة يصف فيها شوقه لمصر وهو فى المنفى :

فى ليلة من ليالى الدهر طيبة محابها كل ذنب غير مغتفر^(١)
والشعر الدينى يقف بأحداث شهر رمضان ، وعلى رأس المعانى التى يشير إليها فضل شهر الصيام وأثر الصيام فى بناء المجتمع وطبع نفوس أبنائه بطابع الخير والرحمة . فالمعروف ان الاسلام لم يقر فريضة الصيام من أجل أن يمتنع الناس فيه عن الطعام والشراب ، وانما قصد من وراء ذلك معانى روحية اذ يقول شوقى :

وصل صلاة من يرجو ويخشى وقبل الصوم صم عن كل فحشا^(٢)
ويضيف شوقى الى أن القصد من الصيام أن تزول الفوارق الطبقيّة التى يعلو فيها الاغنياء على الفقراء ، فاذا الناس كلهم سواسية حتى فى حالات الحرب اذ يقول :
يا ابن الذين اذا الحروب تتابعت صلوا على جد السيوف ، وصاموا^(٣)

(١) ديوان شوقى - ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٤ ص ٣٥ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ ص ٢٢٧ .

وسخر شوقى من الذين يصلون ويصومون ولكنهم لا يزكون ، وأنذرهم بأن لله قد أحصى نصيب الفقراء من أموال الأغنياء ، والذي يؤثر ماله على طاعة الله وحبه خاسر .

ثم ضرب مثالا لآثار الزكاة ، فقال ان كثيرا من الفقراء واليتامى أصحاب نبوغ ، فالخير للأمة فى رعايتهم .

وجهر بأن الأموال فى أيدي أصحابها عارية ، فيجب أن تكون شركة بينهم وبين المحتاجين ، لأن الله الرزاق اذا كان قد يسر للأغنياء سبل الثراء فإنه لم يغفل حقوق الفقراء والضعفاء فيها .

وحذر الأغنياء من البخل بمالهم ، لأن بخلهم يحقن الفقراء عليهم ويمهد لهم الثورات .

وصور ضيقه بالبخلاء ، وضيق الدعاة الى الخير بهم من قبله . ثم عاد يرغبهم فى البذل ، ويدلل على المساواة ، فقال ان الهواء يخترق الأكواخ كما يخترق القصور ، وان الشمس ترسل أشعتها الى الخصيب والجديب والى الغنى والفقير ، وأن الماء يروى الأسود والكلاب ، وان الموت حتم لا يهرب منه ثرى ولا معدم ، وأن الناس جميعا يتساوون بعد الموت فيرقدون فى الثرى ، ليزهدهم فى اكتناز المال ، ويذكر الأغنياء بالبخلاء بأن الموت مدرك لهم ، وسيتركون مالهم لغيرهم ، وكان الخير لهم أن يقدموا من مالهم عملا صالحا ينفعهم عند الله :

عجبت لمعشر صبلوا وصاموا	ظواهر خشية وتقى كذابا ^(١)
وتلفيتهم حيال المال صما	اذا داعى الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه	كأن اليه لم يحص النصابا
ومن يعدل بحب الله شيئا	كحب المال ضل هوى وخابا

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٠ .

الفصل الرابع

تأثير الاسلام والموروث التاريخى والأدبى

- الموروث الدينى .
- الموروث التاريخى .
- الموروث الأدبى .

تأثير الاسلام والموروث التاريخى والأدبى :

وجد الشاعر شوقى دهن تصرفه تراثاً شديداً الغنى ، متنوع المصادر فأقبل على هذا التراث يستمد منه ومن ينابيعه السخية أدوات يثرى بها تجربته الشعرية ويمنحها شمولاً أكثر وأصاله أعظم ، وفى نفس الوقت يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية وأكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة وترجمتها ونقلها الى المتلقى .

ويهدف هذا القسم الى دراسة المصادر التراثية التى استمد منها الشاعر أحمد شوقى مادته الشعرية ، خاصة أنه أدرك، كما أدرك غيره من الشعراء، أن شعرنا العربى لن يستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أصالته ، الا اذا وقف على أرض صلبة من صلتته بتراثه وارتباطه بماضيه .

ويمكننا مبدئياً تقسيم هذه المصادر التراثية التى تأثرها الشاعر أحمد شوقى فى أشعاره الى أقسام :

١ - الموروث الدينى .

٢ - الموروث التاريخى .

٣ - الموروث الأدبى .

على أن هذه المصادر ليست فى الحقيقة دائماً بهذا التمايز والانفصال، فبينها من التشابك والتداخل ما لا يمكن تجاهله ، فأية شخصية دينية هى بالضرورة شخصية تاريخية ، ومثل ذلك يقال عن الشخصيات الأدبية والصوفية والأسطورية ، وهكذا فأنا فى نهاية الأمر نرى تشابكها وتداخلها ولكن يبقى لكل مصدر تراثى ملامحه ومواصفاته الخاصة التى تميزه ، على المستوى النظرى على الأقل .

الموروث الدينى :

كان التراث الدينى ولا يزال فى كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعرى ، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية ، والأدب العالمى حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التى محورها شخصية دينية أو موضوع دينى ، أو التى تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الدينى . فقد كان « الكتاب المقدس »

مصدراً للشعراء الأوربيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات والنماذج الأدبية ، وقد فتن الرومانتيكيون بشكل خاص بهذه الشخصيات الدينية المتمردة المطرودة — كشخصية (الشيطان) وشخصية (قابيل) القاتل الأول — وقد جعلوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرد على كل ما هو عادي ، وكل ما هو مقرر ومفروض ، وعبروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانت هذه الشخصيات من غذاب ولعنة من جراء تمردها .

وإذا كان « الكتاب المقدس » هو المصدر الأساسي الذي استمد منه الأدباء الأوربيون نماذجهم الدينية ، فإن عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية ، وفي مقدمتها « القرآن الكريم » واستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة .

ومن الشعراء الأوربيين الكبار الذين استلهموا المصادر الإسلامية في أعمالهم الأدبية الشاعر الإيطالي الكبير « دانتي » في ملحمة الشهيرة « الكوميديا الإلهية » حيث استلهم فيها حديث المعراج النبوي وغيره من المصادر الإسلامية والعربية ^(١) . ومنهم أيضاً الشاعر الألماني الكبير « جوته » الذي قرأ القرآن في ترجمته الألمانية ، وترجمته اللاتينية ، وأعجب به إعجاباً كبيراً ^(٢) ، دفعه الى أن يستلهمه ويستمد منه كثيراً من النماذج الأدبية والموضوعات والصور في ديوانه المشهور « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي » ^(٣)

ومنهم أيضاً الشاعر الفرنسي العظيم « فيكتور هوجو » الذي قرأ القرآن بدوره في بعض ترجماته الفرنسية ، واستلهم منه الكثير من الموضوعات والنماذج الأدبية في ديوانه « المشرقيات Les Orientales » وسواه من أعماله الشعرية ، ومن الشخصيات التي استمدتها من التراث الإسلامي شخصية « إبليس » الذي يطلق عليه نفس الاسم الذي أطلقه القرآن عليه — وموقفه من الله سبحانه وتعالى — الذي يسميه أيضاً بأسمه الإسلامي — كما استمد في بعض أعماله تصوير المصادر الإسلامية للعالم الآخر ، وما فيه من نعيم للطائعين حيث يسكن (الحور) العين في قصور الجنة ، ويعذب العاصون في

(١) د . محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن — ط الثالثة — مكتبة الأنجلو بمصر — ص ١٥٣ وما بعدها .

(٢) د . عبدالرحمن بدوي : من تصديره لترجمة (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) — مكتبة النهضة المصرية

١٩٤٤ — ص ٤٠ .

(٣) نفس المصدر السابق — ص ٧٩ وما بعدها .

(جهنم) التى تسمى الطبقة السابعة منها (السجين) وهو يستعمل هنا أيضاً نفس الأسماء الإسلامية لكل هذه المعطيات ^(١) .

وإذا كان هؤلاء الثلاثة من أبرز من تأثروا بالمصادر الدينية الإسلامية ، فهناك غيرهم كثيرون من الشعراء الأوربيين الذين استوحوا التراث الإسلامى ، ورحل بعضهم الى الشرق مصدر هذه التراث الإسلامى — ومهد الديانات السماوية كلها — ونهلوا من معينه السخى .

فلم يكن غريباً إذن أن يكون الموروث الدينى مصدراً أساسياً من المصادر التى عكف عليها شعراؤنا الاحيائيون ومنهم أحمد شوقى واستمدوا منها مادتهم الشعرية وعبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم ، ويمكن أن نصنف الشخصيات التى استمدوها شوقى من الموروث الدينى الى مجموعات :

١ — شخصيات الأنبياء .

٢ — شخصيات مقدسة .

٣ — شخصيات منبوذة .

١ — شخصيات الأنبياء :

وشخصيات الأنبياء عليهم السلام هى أكثر شخصيات التراث الدينى شيوعاً فى شعر الشعراء ، ولا غرو فقد أحس الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء ، فكل من النبى والشاعر الأصيل يحمل رسالة الى أمته ، والفارق بينهما أن رسالة النبى رسالة سماوية ، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب فى سبيل رسالته ويعيش غريباً فى قومه ، محارباً منهم أو فى أحسن الأحوال غير مفهوم منهم ، وأخيراً فإن كلا من الرسول والشاعر يكون على صلة بقوى عليا غير منظورة . ولذلك فقد طاب للشعراء أن يشبهوا فترة المعاناة التى يعيشها الشاعر قبل ميلاد قصيدة من قصائده ، بفترة الغيبوبة التى كانت تنتاب الرسول أثناء الوحي ، ولذلك أيضاً دأب شعراؤنا المعاصرون على استعارة شخصيات الرسل ليعبروا من خلالها عن بعض أبعاد تجاربهم المعاصرة ز وأكثر شخصيات الرسل شيوعاً شخصية محمد (ص) و (عيسى) وأيوب وأدريس ويوشع وغيرهم عليهم الصلاة والسلام .

(١) Al. Buy: La C'reation mythique Chez, Victor Hugo, pp. 122 - 124

وشخصية محمد الرسول (ص) هي أكثر الشخصيات شيوعاً عند الشعراء ومنهم أحمد شوقي ويليها باقي شخصيات الأنبياء .

وشوقي الشاعر بما انطبعت عليه نفسه من ايمان بالله وبالغيب ، ومن حب لرسول الله (ص) ، أكثر من مديح الرسول (ص) حتى عد من أبرع الشعراء الذين قالوا في المدائح النبوية في العصر الحديث ، وكذلك في موقفه في الدفاع عن الاسلام وتقنيده المزاعم الأجنبية في محاربتها الاسلام .

فاذا ما التمسنا شوقياً في موقف الدفاع عن الاسلام وعن شخصية الرسول وجدناه ينشد قصيدة عالية حقاً يرد بها على (اللورد كرومر) ويفند مزاعمه في الاصلاح إذ يقول :

من سب دين محمد فمحمد متمكن عند الاله رسولا^(١)
وكان (اللورد كرومر) قد طعن على الدين الاسلامي في تقريره سنة ١٩٠٦ م ،
فزعم أنه دين لا يصلح لهذا العصر ، لذا رد عليه شوقي بهذه القصيدة .

وفي قصيدة (نهج البردة) والتي تعتبر من مدائح شوقي الجيدة ، صور الشاعر حالة الرسول (ص) قبيل البعثة ، فبين أن محمداً اختاره الله من أكرم العناصر العربية ، وصور مجد أبوة الرسول (ص) ، وأشاد بالفضل الذي أفاء على النجوم من انتمائها اليه ، تصويراً بين فيه صفات الرسول الجليلة وذلك في الأبيات من قوله :

محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسـم^(٢)
الى قوله :

نموا اليه فزادوا في الورى شرفا ورب أصل لفرع في الفخار نـمى
وقد أخذت شخصية الرسول محمد (ص) دلالات متنوعة كثيرة في كثير من شعر الشعراء ومنهم أحمد شوقي ، وقد تكون شخصية محمد (ص) في رأيي رمزاً شاملاً للانسان العربي سواء في انتصاره أو في عذابه. فحين تحدث شوقي في قصائده عن الرسول (ص) عن جهاده ومقاومته للكفار في بداية الدعوة ومالاقاه من غذاب واهانة من قومه

(١) ديوان شوقي - ج ١ ص ١٧٦ .

(٢) نفس المرجع السابق

حيث كانوا فى جهالة وعنجهية عمياء وفوضى تسود حياتهم واضطراب فى العقائد فعبدوا الأصنام واتخذوا منها آلهة من دون الله ، وكيف أنهم ساروا على سياسة حكامهم ، القوى يأكل الضعيف ويسخره لمصالحه الشخصية ، ولما جاء محمد (ص) بالدعوة الإسلامية ساس الناس بحكم عادل وعلاج حاسم لمشكلاتهم ، واتخذ شوقى من شخصية الرسول رمزاً لهذا الإنسان العربى الذى عانى من كل أصناف العذاب وفى النهاية كتب له الانتصار .

يقول شوقى :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم الا على صنم ، قد هام فى صنم^(١)
ويقول :

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم كالليث بالبهيم^(٢) ، أو كالحوت بالبحم^(٣)
ولما جاء الرسول (ص) الى هذه الأمة كان رمزاً للإنسان العربى الذى يخلص الأمة من الآمها وهوانها. وقد جاء مولد هذا الرسول مصحوباً بالبشائر كما قال الراهب بحيرا .

يقول شوقى :

لما رآه بحيراً قال نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسيم^(٢)
والمعجزات التى حدثت على يدى الرسول (ص) مخلص هذه الأمة ، كثيرة منها نبع الماء بين يده الشريفة حين طلب الصحابة منه الاستسقاء من شدة الظم الذى أصابهم من قلة الماء وندرته ومنها تظليل الغمامة له ، ومنها نزول جبريل طالباً منه أن يقرأ فأجابه : ما أنا بقارىء ولما تكرر ذلك قال له جبريل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ... »^(٣) .

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ١٩٨ .

(٢) البهيم : جمع بهمة ، وهى ولد الضأن والماعز .

(٣) البلم : صغار السمك .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ ص ١٩٨ .

(٣) قرآن كريم - سورة العلق آية ١ .

والمعجزة الكبرى الخالدة التي أنزلها الله على رسوله هي القرآن الكريم إذ أن المعجزة شملت تشريعاً سماوياً خالداً ودستوراً يجعل من يسير عليه ينال الصدارة في قيادة الأمم ورعاية الشعوب .

يقول شوقي :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم^(١)
وقد كان للقرآن أثر بالغ، لا في العرب وحدهم، بل في العالم كله ، فأوجد الحضارة الإسلامية ، وافتتح صفحة جديدة في تاريخ الانسانية مشرقة بالخير والنور لم تر الدنيا أفضل منها .

قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »^(٢) .

ونرى شوقي في بعض المواضع وقد شبه محمداً (ص) بالأم والأب يقول :
واذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء^(٣)
واستخدم شوقي الوصف القرآني للرسول (ص) وهو لفظ (الأمي) إذ قال :
يا أيها الأمي ، حسبك رتبة في العلم أن دانت بك العلماء^(٤)
وقال تعالى : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »^(٥) .

جاء النداء هنا محصوراً في بيت واحد غير متبوع بنداء آخر مباشرة فيكون بمثابة المفتاح الجديد لموضوع جديد عنه شوقي ، فقد ورد هذا البيت بقصيدة طويلة عند شوقي نوع فيها المنادى الواحد وهو الرسول (ص) فسماه (الأمي) و (ابن عبد الله) وهذا من باب التمجيد الديني من ناحية وحتى لا يشعر القارئ بطول القصيدة من ناحية أخرى .
ومن أسماء الرسول (ص) (أحمد) وقد سمى الشاعر به تيمناً باسم الرسول الأكرم ، ومع هذا لم يستخدم شوقي أكثر من شرف الانتساب لاسم الرسول (ص) إذ كان

(١) ديوان شوقي - ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) قرآن كريم - سورة الحجر - آية ٩

(٣) ديوان شوقي - ج ١ ص ٣٤ .

(٤) نفس المرجع السابق - ص ٣٦ .

(٥) قرآن كريم - سورة الأنفال - آية ٦٤ .

يتحزج من أن يعبر بشخصية الرسول عن ذاته أو أن يتخذها قناعاً يوحى من خلاله بأفكاره الخاصة ، تأثماً من أن ينتحل لنفسه شخصية الرسول أو أن ينسب إليه بعض صفاتها .
والى جوار هذه الدلالات السابقة هناك دلالة أخرى قريبة منها لشخصية الرسول فى قصيدة شوقى ، وهى احياؤه النفوس حين أخرجها من ظلمات الشرك والضلال الى نور الايمان والتوحيد ، وهى دلالة الثائر المتمرد على الظلم والحامل لواء النضال فى سبيل الحق والخير الانسانى ، يقول :

أخوك عيسى دعا ميتاً ، فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرمم (١) (٥)
والجهل موت فان أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم (٥)

وعيسى النبى هنا أحيى الموتى باذن الله ولكن محمداً (ص) أحيى النفوس باخراجها من الظلم . وشوقى أثبت أن معجزة محمد معنوية لا مادية كمعجزة عيسى ، ومعجزة عيسى هنا محدودة مكاناً فهى لم تشمل من الأموات الكثيرين (دعا ميتاً) واحداً وقد فاقتها معجزة محمد التى شملت الانسانية جمعاء (أجيالاً من الرمم) . والى جانب ذلك فقد أعطى للنبى (عيسى) عليه السلام ما هو حقيق به من الفضل الى جانب الرسول (محمد) (ص) فدعاه بأخيه (أخوك عيسى) ولاثبات فكرة التوحيد فى الرسالة السماوية . وهذه المفردات التى استعملها شوقى هنا ذات طابع دينى .

وقد رأى الشاعر شوقى فى صورة المسيح عيسى بن مريم كثيراً من القيم مجسمة ، وما حفت بعيسى (عليه السلام) من ظروف كثيرة ، فحيثما اتخذ عيسى صورة نجد سلاماً ومحبة وتسامحاً ، يقول :

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمرؤات ، والهدى ، والحياء (٢)
وقد أحس الشعراء ازاء شخصية المسيح أنهم أكثر حرية ومنهم أحمد شوقى الذى أطلق لنفسه العنان فى تأويل ملامح الشخصية وانتحالها لنفسه وهنا نراه يشبه نفسه بابن مريم :

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ٢٠١ .

(٥) الرمم : البالى .

(٥) الرجم : القبود .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ ص ٢٨ .

ولابت الا كابن مريم ، مشفقاً على جسدی ، مستغفراً لعداتي (١)
ويقول :

خلقت كأئننى (عيسى) ، حرام على قلبى الضغينة والشمت (٢)

وهذا الاستخدام (أى تشبيهه نفسه بابن مريم) كثيراً ما يرد عند شوقى فى شعره ، وهو من باب وصف الانسان بالانسان فهو أحياناً يستخدم أعلاماً من الحاضر أصحابها ، ممن عاصر الشاعر ، وأحياناً يستخدم أعلاماً من الماضى من تاريخ الأدب أو التاريخ الإسلامى العام أو الأنبياء وهذا من باب تعويض المحسوس بالمحسوس عنده .

ومعظم ملامح السيد المسيح فى شعر شوقى مستمدة من الموروث الدينى المسيحى وخصوصاً (الصلب) و (الفداء) و (الحياة من خلال الموت) و (المعجزات) .

ويأخذ شوقى من خلال هذه العناصر المستمدة من الموروث المسيحى دلالات يسقطها على شعره ، فعلى ملمح الصلب والصليب يسقط كل الآلام التى يتحملها الجند ، ويبرز اخلاصهم فى سبيل الدفاع عن الوطن سواء كان هذا مادياً أم معنوياً ، فهو فى قصيدته (الأسطول العثمانى) والتى وجه الخطاب فيها للسلطان محمد رشاد يبرز مدى اخلاص الرعايا النصارى واليهود فى القتال والدفاع عن السلطان نتيجة لما أظلم به السلطان من العدل والأمان يقول :

حمل الصليب اليك من فتياه جنداً ، وقاتل دونك (الحاخام) (٣)

فالصليب هنا كناية عن المسيحية وهو عند شوقى رمز السلام والحاخام كناية عن اليهود .

وقد جمع شوقى بين الصليب والهلال وهو رمز الإسلام والتسامح فى هذه المواقع :

والى الله من مشى بصليب فى يديه ، ومن مشى بهلال (٤)

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ١٨ .

(٢) نفس المرجع السابق - ج ٣ ص ٤٧ .

(٣) نفس المرجع السابق - ج ١ ص ٢٢٧ .

(٤) نفس المرجع السابق - ص ١٨٨ .

ويقول :

مزقتم الوهم ، وألغيتم أهلة الله على صلبة ^(١)

وهذه من كنايات شوقي التي تقوم على رموز مشتركة .

والى جانب ذلك فهناك مفهوم اسلامي، أو بمعنى أدق اسلامي مسيحي ورد في شعر شوقي يتمثل في تلك الملامح من شخصية المسيح التي وردت في القرآن الكريم — مع ورود بعضها في الأناجيل — من مثل قدرته على احياء الموتى ، ففي القرآن الكريم قال تعالى : « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذننى ، فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذننى ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذننى ، وإذ تخرج الموتى بإذننى » ^(٢)

قال شوقي في تشبيه السلطان عبدالحميد بالنبي عيسى عليه السلام في احيائه الموتى ، فالسلطان عبدالحميد يحيى العرش، والنبي عيسى يحيى الموتى بهذه العلاقة (الاحيائية) ربط شوقي بين الاثنين :

فأحييت ميتا ، دارس الرسم ، غابرا كأنك فيما جئت عيسى المقرب ^(٣)

لقد انتقدت هذه الظاهرة في الشعر العربي منذ القدم وذلك لأنها تعتبر من اساءة الأدب بحق الأنبياء والدين ، وفي هذا المعنى ردد الشاعر مهيار الديلمي :

راك وميت الآمال حى بجودك والندى الأعمى بصير ^(٤)
فأمن « بالمسيح » وآيتيه وأن نشأت من الطين الطيور
وأيقن أن « موسى » شق بحرا بأن شقت بفكيك البحور

والمتنبى ردد نفس هذا المعنى بقوله :

أنا فى أمة تداركها الـ له غريب كصالح فى ثمود ^(٥)

وقد ظهر الى أى مدى تأثر شوقي بالمتنبى ومهيار فى شعره. وقد تعدى هذا التأثير الى المعارضة فى بعض الأحيان ان لم يكن فى معظمها. وهذه الظاهرة عالجها نقاد شوقي من

(١) ديوان شوقي — ج ١ ص ٧٢ .

(٢) قرآن كريم — سورة المائدة — آية ١١٠ .

(٣) ديوان شوقي — ج ١ ص ٤٣ .

(٤) ديوان مهيار الديلمي — المجلد الأول — ص ٣٥٨ — ط أولى .

(٥) ديوان المتنبى — ج ١ — ص ٣٢٤ — شرح العكبرى ط ١٩٧١ .

منظورين مختلفين أحدهما للبرهنة على عمق ارتباطه بالتراث الشعري واستثماره له وشدة معاشته لشعرائه وتمثله بهم ، بل تحديه لهم وتفوقه عليهم . والثانى لتتبع ما أخذ وماترك ، ما أبدع وما سرق ، واحصاء استطاعاته للاعجاب حيناً بلحظات التوفيق ، والتشريب حيناً آخر عند التقصير .

أما ملمح (الحياة والموت) . ففي الموروث المسيحي أن المسيح بعد أن صلب ودفن ذهبت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الى قبره ، فلم يجدها فى القبر وأخبرهما ملاك الرب أنه قد بعث وسبق تلاميذه الى الجليل كما وعدهم ^(١) . وبذلك استخدم شوقى هذا العنصر فى قصيدته (على قبر نابليون) وما يحويه هذا القبر من رفات بطل من أبطال التاريخ النوابع وعباقره الحرب ، وبأن نابليون غلاب القياصرة ، ولكن هناك قوة غالبة اقتلعتة الا وهى الموت ، فالموت حقيقة الحياة تافهة فمهما حاول الانسان بكل ما يملك من عظمة وجبروت أن يؤله نفسه فأن قوة الله فوق كل شىء واليه المآب . يقول شوقى بأسلوب فلسفى :

أيها الغالون فى أجدائهم ابحثوا فى الأرض : هل عيسى دفين ^(٢)

الملاحظ هنا أن شوقى يتنازعه شعوران ، أولا شعور بعظمة نابليون ، وثانياً شعور بتفاهة الحياة وبحقيقة الموت . ومن هنا فهو ينتقد هذه الفخامة التى تتجلى فى ضريح نابليون ويرى أن القبور كلها تستوى أمام حقيقة الموت ، فعيسى وهو النبی العظيم الذى اصطفاه الله لا يعرف له قبر أصلاً ، فما قيمة الاسراف فى اتخاذ القبور الفخمة المصنوعة من المرمر المسنون إذا كان كل الناس فى قاع القبر سواء لافرق بين عظيم صنع التاريخ ورجل لم تعن حياته شيئاً فى مسيرة البشرية .

ولا تقل شخصية النبی موسى شيوخاً عن شخصية النبی عيسى عند شوقى ، فالنبي موسى واحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة ، وتحملوا فى سبيل دعوتهم الكثير من العنف والتضحيات ، وقد لقي من عنيت اليهود أنفسهم الكثير : والقيم التى جاء بها النبی موسى تتنافى كلية ما ما تمثله الصهيونية المعاصرة من عدوان وشر . وقد يستخدم بعض الشعراء شخصية النبی موسى كمقابل تصويرى للقوى الصهيونية المعتدية ، وهذا من

(١) انجيل متى (الاصحاح الثامن والعشرون) - ص ٥٠ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ ص ٢٥٥ .

المزالتق الفنية التى يقعون فيها ولكن شوقى على العكس من ذلك يفخر بنشأة النبى موسى بمصر ، ويررد قوله فى هذا المعنى :

مصر موسى عند انتماء ، وموسى مصر ان كان نسبة وانتماء (١)
فبه فخرها المؤيد ، مهما هز بالسيد الكلیم اللواء
وهى مثال الوحدة الوطنية وهو بذلك يرى فى كثير من أعلام الأديان السماوية قبل الاسلام مثله العليا .

وقد صور النبى موسى وماحف به من ظروف ، ومن ذلك تشبيهه مصر — حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى المنفى — بأم موسى حين ألقته فى اليم صبياً وسألت الله أن يكفله ، قال :

كأم موسى ، على اسم الله تكفلنا . وبأسننه ذهبت فى اليم تلقينا (٢)
ويربط شوقى بين المعلم وبين النبى فى تقاربهما فى تعليم الحقيقة للناس على الرغم من التباعد فى درجة الحقيقة ومصدرها ويتخذ من النبى عيسى والنبى موسى مثالا لذلك :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا (٣)
... ..
سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى
... ..
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا وابن البتول فعلم الانجيلا
وشبه شوقى المعلم بموسى فى رشده وفى ظلاله كأنه السامرى وذلك فى رثائه (لعلى بهجت) فقيده العلم فى قصيدة نشرت بجريدة الأخبار فى ١٠ مايو ١٩٢٤ م . قال :
إذا رشد المعلم كان موسى وان هو ضل كان السامريا (٤)

(١) ديوان شوقى — ج ١ ص ٣٧ .
(٢) ديوان شوقى — ج ٢ ص ١٠٤ .
(٣) نفس المرجع السابق — ج ١ ص ٨٠ — ١٨١ .
(٤) ديوان شوقى — ج ٣ ص ١٨٥ .

وقابل شوقى بين (دشد) وهى الرشد والاهتداء الى الحقيقة ، و (ضل) من الضلال ضد الهدى والسامرى كان من الضالين ، إذ حكم موسى على السامرى بالوحدة فى الدنيا لأنه اتخذ عجلا من الذهب للعبادة وفتن قوم موسى، واستغل اعجاب القوم الدفين بسادتهم المصريين وتقليدهم لهم فى عبادة الأوثان وكان على ضلال .

قال تعالى : « قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى » ^(١) .

وفى رثائه لزعيم مصر الخالد سعد زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ م ربط بين الزعيم سعد وثورته فى سبيل الحق التى لم تخمد أبداً وما عمله فى الثورة العربية وهو فى مقتبل شبابه وتحديه كل الصعاب ، وبين النبى موسى (عليه السلام) وقصة تحديه لفرعون وسحرته بالعصا فكانت كما ورد فى القرآن ، إذ قال تعالى : « فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون » ^(٢) .

وقال شوقى بهذا المعنى :

رقد	الثائر	الا	ثورة	فى سبيل الحق لم تخمد جذاها ^(٣)
قد تولاهـا	صبيا	فكوت	راحتيه ،	وفتيا فرعاها
...
أعلمتم بعد	(موسى)	من يد	قذفت فى وجه	(فرعون) عصاها

ويشبه شوقى سعد زغلول وصاحبيه فى مقابلتهم لممثل بريطانيا فى مصر سنة ١٩١٨ مطالبين باستقلال البلاد شبههما (بهارون وأخيه موسى) وشبه الممثل البريطانى (بفرعون) بقوته وطغيانه إذ قال :

بعشنا فيك (هارونا وموسى) الى (فرعون) فابتدأ الكفاحا ^(٤)
 وقصة فرعون وموسى (عليه السلام) تبرز الجوانب الانسانية للقيادة المنحرفة المتمثلة فى (فرعون والملا) لأنها تمثل الظلم والطغيان والكبر والاستعلاء .

(١) قرآن كريم — سورة طه — آية ٨٥ .

(٢) قرآن كريم — سورة الشعراء — آية ٤٥ .

(٣) ديوان شوقى — ج ٣ ص ١٧٨ .

(٤) ديوان شوقى — ج ٤ ص ٣٠ .

وشخصية النبی (یوشع) علیه السلام هی (مثال الاعجاز) وقد استخدمها شوقی بملامحها التوراتية وبشعور دينی فی قصيدة (توت عنخ آمون)^(١) وكان یوشع بن نون فتی موسى عليهما السلام نبياً من بنی اسرائيل قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس لغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، يقول شوقی :

قفی - يا أخت (یوشع) - خبرینا أحاديث القرون الغابرينا
والخطاب فی البيت السابق حیث کنی عنها بأخت یوشع .

وفی رثائه (محمود تیمور) الأديب الكبير والقصصى الاجتماعی الذى لم يمهلہ الموت وهو فی عز شبابه سنة ١٩٢١ م ، صور حزن أمه وأبيه عليه وتمنى لو أن أباه يملك سر النبی یوشع ليرد شمس الغائب (المرثی) يقول :

وانظر أباك وثكله ورنوحه تحت المصاب^(٢)
لو كان يملك سريو شع رد شمسك من غياب
استخدم شوقی حرف التمنى (لو) ليوافق المناسبة ولأن الموقف مستحيل أن يتحقق ، وكما أوردنا فالشمس كانت معجزة النبی یوشع .

٢ - شخصيات مقدسة :

ومن الشخصيات المقدسة التى وردت فی شعر شوقی شخصية مريم العذراء (عليها السلام) ، وقد استخدم شوقی ملامح هذه الشخصية للتعبير عن تجارب مختلفة ، منها الطهر ، إذ شبه الشاعر بعض من مدحهم أو رثاهم من النساء ومنهم (أم المحسنين) والدة الخديوى عباس حلمی الثانى بمريم العذراء ، بقداستها وطهرها . فقد اتخذ شوقی شخصية مريم ليستخدمها نظيراً لشخصياته حيناً ، وحيناً آخر يكون استخدامها فى اطارها الحقيقى مثل فرحها وتهللها بمقدم الرسول محمد (ص) ومثل هربها الى أرض مصر خوفاً على ابنها من القتل .

(١) ديوان شوقی - ج ١ ص ٦٦٦ .

(٢) ديوان شوقی - ج ٣ ص ٢٧ .

والطهر ملامح من ملامح شخصية مريم (عليها السلام) ، وقد شبه شوقي والدة الخديوى عباس بها ، ففى القصيدة التى قالها فى رثاء أم المحسنين (والدة الخديوى) المتوفاة بالاستانة ١٩٣١ م يقول :

وردبة العرشين فى دولتها قد ركبت اليوم عرش العالمين ^(١)
أضجعت قبلك فيه (مريم) وتوارى بنساء المرسلين
(أم المحسنين) هذه المرأة الطاهرة تشبه مريم العذراء بهذه الصفة حتى أن نعشها قام (جبريل) عليه السلام بحراسته لأن النعش يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة .
ويعود شوقي فى أبيات أخرى يردد (طهر) مريم (عليها السلام) كصفة بارزة فى شخصيتها فيقول :

وأشبه طهر فى النساء بمريم فتاة على نهج المسيح تسير ^(٢)
واستخدم شوقي شخصية مريم (عليها السلام) فى اطارها الحقيقى لأنها حظيت فى التراث الدينى بلون من القداسة فذكرت فى الكتب السماوية كلها ، إذ أن مريم (عليها السلام) تهللت واهتزت سرورا بولادتها عيسى (عليه السلام) الذى هو امتداد لنبوة سلف وتمهيد لنبوة خلف ، والمسيح هو كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه يقول :
أثنى المسيح عليه خلف سمائه وتهللت واهتزت العذراء ^(٣)
يشير الى تبشير عيسى (عليه السلام) بمحمد (ص) ، وفى القرآن الكريم ما يشير الى هذا ، وهو قول الله تعالى على لسان عيسى : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ^(٤) .

وقد صور شوقي لجوء مريم العذراء وابنها الى أرض مصر خوفاً على ابنها من القتل أحسن تصويراً ففى قصيدته التى قالها وهو يناجى أبا الهول سنة (١٩٢١ م) ، أراد أن يوضح بأن مصر أرض الرجال الذين صحبوا رسول الله (ص) مثل عمرو بن العاص ، ومريم (عليها السلام) من الشخصيات المقدسة الذين جاءوا لمصر ، وهذا حين أمر

(١) ديوان شوقي - ج ٣ ص ١٦٤ .

(٢) نفس المرجع السابق - ص ٨٢ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ ص ٣٥ .

(٤) قرآن كريم - سورة الصف (آية ٦) .

هيرودس ^(٥) يقتل كل طفل في بيت لحم ، فألقى على يوسف النجار في منامه أن يذهب بالطفل وأمه الى مصر ، فنزلوا عين شمس وبقوا بها الى أن هلك هيرودس ، وكان عيسى (عليه السلام) عندها في السابعة من عمره ، وكان ثمة شجرة زال أصلها منذ أمد قريب كانت تسمى شجرة العذراء يقال انها كانا قد استظلا بها ، ولا يزال الناس يزورون مكانها الى اليوم ، ويذهب بعض المفسرين الى أن المراد بالربوة التي ذكرها الله تعالى في قوله : « وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » ^(١) ، هي مصر .

وقد أراد شوقي التصدي للمواجهة بين مصر الفرعونية ومصر القرآنية ، فجاء بحل لطيف أرضى به ضميره الشعري وضميره الديني ، ويتلخص هذا الارضاء في معادلة مفادها أن الأنبياء والشخصيات المقدسة هم ضيوف الفراعنة لجأوا اليهم في محنتهم ، فيقول في مواضع أخرى من قصائده :

أين الفراعنة الألى استذرى بهم عيسى ويوسف والكليم المصعق ^(٢)
البيت السابق من قصيدته (أيها النيل) التي قالها شوقي في الأربعين من عمره
قبل نفيه الى أسبانيا ، وتعتبر فاتحة عبقريته الكبرى وهي من أقوى قصائد الشعر العربي
لما تتسم به من معانى القوة والخلود .

ومن الشخصيات التي استخدمها شوقي الى جانب هذه الشخصيات البشرية ،
شخصيات الملائكة ومنهم (جبريل) عليه السلام . (فجبريل) رمز للقوة التي تصل
الانسان بالسماء وهو الروح الأمين ، وهو (برهان العناية) الالهية ، وهو رفيق الرسول
محمد (ص) في رحلة المعراج ، وهو الوحي المبشر بالرسالة إذ هو أول من حمل للرسول
(ص) رسالة ربه السماوية . وقد استخدم شوقي شخصية (جبريل) عليه السلام في
أغلب المواقف استخداماً قصصياً يذكر فيه قصة الوحي والرسالة والإسراء والمعراج ،
وهذه كلها حقائق معروفة وردت في القرآن الكريم ، إذ لم يصف لها بعداً جديداً سوى أنه
أوردها في القصائد حتى تلائم المناسبة مثل ميلاد الرسول (محمد) (ص) يقول في
ذكرى مولد الرسول (ص) من قصيدته العظيمة (١٩١٢ م) :

(٥) انجيل برنابا (٦ : ٣) .

(١) قرآن كريم — سورة المؤمنون (آية ٥١) .

(٢) ديوان شوقي — ج ١ ص ٦٦ .

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء^(١)
الروح والسلا الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء
(الهدى) اسم خلعه شوقى على الرسول (محمد) (ص) ، وهو أول من استخدم
هذا الاستخدام وأول من أسماه (بالهدى) وأسماء (المختار)^(٢) أيضاً .

والروح الأمين (جبريل) عليه السلام من الملائكة ، وهو أول من حمل الى النبى
(ص) الوحي وبشر بالرسالة السماوية ، وإليه يشير قوله تعالى : « نزل به الروح
الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين »^(٣) .

ويشير شوقى الى حديث المعراج النبوى الذى كان فيه جبريل (عليه السلام)
دقيقاً للرسول محمد (ص) فى رحلته يقول :

العرش تحتك سدة وقوائما ومناكب الروح الأمين وطاء^(٤)

يشير شوقى الى تقريب الله تعالى الرسول (ص) وادناؤه منزلة منه (العرش
تحتك) والعرش هو سرير الملك . ولكن شوقى أضافه الى الله تعالى على التشبيه بجعل
العرش ظلة تظل الرسول وقوائم يقوم عليها على وجه التشبيه ، وقد كان الروح الأمين
(جبريل) بصحبة الرسول (ص) حين عرج به فى السماء وارتقى، وعلى سبيل الكناية
جعل شوقى منكبى (جبريل) عليه السلام كالمهاد للرسول (ص) ، إذ الحمل على
الكتف لا يكون الا لمن يوليه العناية الكبيرة ، وتتكرر صورة جبريل (عليه السلام) على
هذه الحال عند شوقى كما فى قوله :

لدى الباب جبريل الأمين ، براحه رسائل رحمانية النفحات^(٥)
وقوله :

فلسجبريل جيئة ، ورواح وهبوط الى الثرى ، ارتقاء^(٥)

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ٣٤ .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ ص ٣٩ .

(٢) قرآن كريم - سورة الشعراء (آية ١٩٣ : ١٩٤) .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ ص ٣٩ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ ص ٩٨ .

(٥) نفس المصدر السابق - ص ٣٠ .

جبريل (ع) الوحي يحمل الرسالة السماوية من الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد (ص) وقد قابل شوقى بين المجيئ والروح وبين الهبوط والارتقاء ، وهذه مقابلة مركبة أدت دوراً هاماً لأنها وحدة مركبة من عناصر متقابلة ومتضادة وضحت لنا المعنى .
ويقول من قصيدة (فى سبيل الهلال الأحمر) :

جبريل ، هلى فى السماء ، وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر^(١)
استخدم شوقى المطالع المحذوف فيها حرف النداء (يا) فبعث هذا الحذف الحيوية فى كامل القصيدة إذ أن النداء يساهم فى بنية القصيدة الداخلية ، وحذف حرف النداء أسلوب شائع فى شعره . وهو من خصائص المطالع ، فأكثر ما كان منه فى صدر البيت يتنزل المنادى بعد الحذف فى صدارة البيت فيبرز بذلك لفظه ويقوى به معناه ويعتبر هنا من باب التمجيد الدينى لدى شوقى . ومما يماثل هذا الموقف قوله :

(جبريل) ، أنت هدى السما ء ، وأنت برهان العناية^(٢)
واستخدم شوقى شخصية (جبريل) عليه السلام فى ارسال تحيته لمصر من أسبانيا ، اذ لم تكن تحية عادية وانما كانت تحية مقدسة يحرسها (جبريل) . ويعمد شوقى الى توظيف صورته هذه ليعبر عن شوقه الى وطنه الحبيب شوقاً قدسياً . يقول :

ياسارى البرق يرمى عن جوانحننا بعد الهدوء ، ويهمى عن مآقينا^(٣)
بالله ان جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدودا (بجبرينا)
حتى حوتك سماء النيل عالية على الغيوث ، وان كانت ميامينا
فقف الى النيل ، واهتف فى خمائله وانزل ، كما نزل الطل الرياحينا

فالتحية ترسل مع البرق الى المحبوبين هى صورة بسيطة تقليدية شائعة فى الشعر القديم ، ولكن الجديد عند شوقى هو محاولته اسباغ السمو والتقديس على هذه التحية المرسلة الى مصر فجعل البرق كما لو كان قافلة تمضى على ابل نجبية كريمة ، ولكن

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ١٤٩ .
(٢) نفس المصدر السابق - ص ٢٩١ .
(٣) نفس المصدر السابق - ج - ص ١٠٥ .

هذه الأبل إنما هي من النور (نجائب النور) ومما زاد المعنى قدسية هو جعل جبريل (عليه السلام) هو الذى يحدو هذه الأبل .

وكما أن شخصية (جبريل) عليه السلام كانت معادلا موضوعيا للقوة التى تصل الانسان بالسماء عند شوقى فان شخصية (عزرائيل) هى معادل موضوعى لقوى الفناء والموت التى تسحق الانسان وتهدد أمنه ، وللجهل الذى يقضى على الانسانية بصورة عامة ، ويقول شوقى من قصيدته عن الحرب العثمانية اليونانية ^(١) « التى قال عنها محمد حسين هيكل » اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمانية اليونانية والتى مطلعها :

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب وينصر دين الله أيا تضر
اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على اثر انتصار الأتراك على اليونان ، وانك لمؤمن حقا بأن هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حسا وعاطفة » ^(٢)
يقول شوقى :

فمثل بناء الترك لم يبق مشرق	ومثل بناء الترك لم يبن مغرب ^(٣)
تظل مهولات البوارج دونه	حوائر مايدرين ماذا تخرب
إذا طاش بين الماء والصخر سهمهما	أناها حديد مايطيش وأشرب
يسدده عزريل فى زى قاذف	وأيدى المنايا والقضاء المدرب
قذائف تخشى مهجة الشمس كلما	علت مصعدات انها لا تصوب

رسم شوقى صورته هذه ليصف عجز السفن الحربية اليونانية عن أن تنال من تلك الحصون التركية ، ويرسم صورة عزريل وهو ملك الموت ورمز القوة والفناء، وهو يسدد هذا الرصاص بوجه العدو ، فهو كالمنايا يقبض أرواحهم أى يقتلون بالرصاص كما يقبض

(١) ديوان شوقى - ج ١ ص ٤٧ .

(٢) محمد حسنين هيكل ، مقدمة الطبعة الأولى ، الشوقيات - ج ١ - سنة ١٩٦١ - مطبعة الاستقامة بالقاهرة - ص ١٤ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ ص ٤٧ .

عزرائيل الأرواح . وقد استخدم شوقي الكناية هنا فكنى بعزرائيل عن الفناء والموت فى صورته هذه .

وشبه شوقي (الجهل) بيدى (عزرائيل) لأن كليهما يؤدى الى الفناء ، يقول :
الجهل لاتحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدى عزريلا^(١)
وفى البيت جناس ناقص بين (تحيا والحياة) .

٣ - شخصيات منبوذة :

وردت فى شعر شوقي بعض الشخصيات التى ارتكبت خطيئة فحلت عليها اللعنة ، ويمكن التمييز بين نوعين من هذه الشخصيات ، النوع الأول : شخصيات حلت عليها اللعنة لتمردھا على ارادة الله ، وعلى قمة هذا النوع يقف (الشيطان) ، والشيطان عند شوقي معادل موضوعى لقوى الشر والتمرد والخروج على الارادة ، ويتخذ رمزاً لذلك ويبنى ذلك على حقائق دينية مشتركة ، فهو عندما يصف علم الترك يرمز له بالملك أما أعلام الأعداء فرمز لها بالشيطان ، فالمحور مشترك عناصره زوجان متقابلان الملك والشيطان إذ يقول :

هذا الهلال الذى تحيون ليلته أبهى الأهلة عند الله ألوانا^(٢)
أراه من بين ألام الوغى ملكا . وما سواه من الأعلام شيطانا
ويستخدم شوقي شخصية ابليس أو الشيطان رمزاً للعصيان حتى فى بعض أشعاره الغزلية معطياً لها صبغة قرآنية يقول :

مضناك جفاه مرقده	وبكاه	ورحم	عوده ^(٣)
...
جحدت عيناك زكى دمنى	أكذلك خدك يجحده ؟		
وهممت بجيدك أشركه	فأبى ، واستكبر أصيبه		

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٨٢ .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٤٧ .

(٣) نفس المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٩١ .

التفت شوقى الى قول الله تعالى : « الا ابليس أبى واستكبر » ^(١) وتكررت صورة الشيطان عند شوقى بنفس الصيغة وهى رمز للعصيان ، فمن قصيدته التى نظمها بمناسبة ميلاد الأمير السابق محمد عبدالمنعم رمز لليأس بالشيطان الرجيم وجعل شخصية الممدوح (أملا شهابا) وقابل بين اليأس والأمل ، وبما أن الشهب هى التى تطرد الشيطان كما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « فاتبعه شهاب ثاقب » ^(٢) ، فقد جعل شوقى ممدوحه أملا شهابا طارداً لليأس (الشيطان الرجيم) وقال تعالى : « وما هو بقول شيطان رجيم » ^(٣) .

يقول شوقى :

أرى مستقبلا يبدو عجابا وعنوانا يكن لنا كتابا ^(٤)
وكان « محمد » أملا شهابا وكان اليأس شيطاناً رجيماً

واستخدم شوقى شخصية ابليس كمعادل موضوعى لشخصية المبغض الكاره ، ففى قصيدته التى نظمها بمناسبة حج الخديوى (عباس حلمى) استخدم شوقى شخصية ابليس نموذجاً يعادل به كل كارهى الخديوى ومبغضيه وهذه من مبالغات شوقى فى شعر البلاط الخديوى التى ترددت لديه كثيراً ، إذ يقول :

ويرمون ابليس الرجيم فيصطلى وشانيك نيرانا من الجمرات ^(٥)

فابليس هو رأس الشياطين ، وهو الذى زين لآدم (عليه السلام) الخروج من الجنة ، وهو الذى تراءى لابراهيم (ع) حين هم بذبح ابنه تنفيذاً لما رأى فى منامه ، ورؤيا الأنبياء وحى ، لصده عن أمر ربه ، فرماه ابراهيم (ع) بجمرات سبع ، وهذا ما يفعله الحجاج (بمنى) تمثلاً بما فعله ابراهيم (عليه السلام) ، وأنهم على سنن ابراهيم نابذين لما يوسوس به ابليس ، وشوقى جعل كل أعداء الخديوى يستحقون الرجم مع ابليس .

(١) قرآن كريم — سورة البقرة (آية ٣٤) .

(٢) قرآن كريم — سورة الصافات (آية ١٠) .

(٣) قرآن كريم — سورة التكوين (آية ٢٥) .

(٤) ديوان شوقى — ج ٤ — ص ٣٢ .

(٥) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٩٨ .

أما النوع الثانى : فهى الشخصيات التى لم تحل عليها اللعنة بسبب تمردها على الشرائع والتعاليم وانما بسبب خطيئة أخلاقية لاتقبل التبرير ، أو جريمة فى حق الانسان ، فقد ارتبطت عند الشعراء فى التعبير عن جوانب الشر والجريمة والسقوط ، ومن أشهر هذه الشخصيات شخصية المسيح الدجال الذى يأتى قبل قيام الساعة ليفتن الناس عن دينهم ^(١) ولكن شوقى لم يذكرها فى شعره انما ذكر شخصية إبليس وحدها.

الموروث التاريخى :

يلاحظ القارىء لشعر شوقى انه يكشف عن ثقافة تاريخية واسعة وعن ادراك ووعى بالعمق التاريخى للأمة العربية والاسلامية . واحساس شوقى بالمدرک الأساسى لكلمة التاريخ يتجلى كأوضح ما يكون فى أبياته التى أوردها فى قصيدته التى تحمل عنواناً معبراً (تحلية كتاب) يقول :

غال بالتاريخ ، واجعل صحفه	من كتاب الله فى الاجلال قابا ^(٢)
قلب الانجيل ، وانظر فى الهدى	تلق للتاريخ وزنا ، وحسابا
رب من سافر فى أسفاره	بليالى الدهر والأيام آبا
واطلب الخلد ، ودمه منزلا	تجد الخلد من التاريخ بابا
عاش خلق ومضوا ، ما نقصوا	رقعة الأرض ، ولا زادوا الترابا

ولشوقى قصيدة طويلة أخرى (كبار الحوادث فى وادى النيل) ^(٣) تدل دلالة واضحة على مدى عمق احساسه بتاريخ وطنه وتراث أمته. فهو يفخر بالتراث التاريخى الطويل لمصر ويقوم بدور روايته ، إذ يعرض للخطوط العامة لحركة التاريخ المصرى بشكل ينبىء عن مدى المامه بحدوث هذا التاريخ على مر العصور ، فهو يبدأ القصيدة بتقرير تفوق التراث التاريخى لأرض الكنانة :

قل لبان بنى فشاد فعالى لم يجز مصر فى الزمان بناء ^(٤)

(١) صحيح الترمذى - ج ١ - ص ٧٨ وما بعدها .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٨ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٧ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨ .

ويأخذ في استعراض التاريخ المصرى فى خطوطه العامة منذ الفراعنة مروراً بالغزو الهكسوسى سنة ١٦٧٥ ق . م . حتى الغزو الفارسى . ويستمر فى استعراضه هذا حتى ظهور الاسلامى فتتجلى روايته هنا ممزوجة بشعوره العميق بالايمان الاسلامى :

أشرق النور فى العوالم لما بشرتها بأحمد الأنبياء^(١)
والنور الذى يعنيه شوقى هنا ليس نوراً حقيقياً وانما هو نور الهداية والايمان والعودة الى صفاء التوحيد ونقاؤه بعد أن عاد الناس يرتكسون فى ظلمات الشرك منذ عهد عيسى (عليه السلام) . وإذا كان شوقى يعنى هنا مولد رسول الله (ص) فان بشارة الأنبياء السابقين بظهوره واطلال دعوته لم تكن ملازمة لمولده بل تمت قبله بقرون طويلة . ولكن شوقى هنا يختصر الزمن فيجعل العالم يشرق ببشارة الأنبياء بمولده وكأن هذا النور قد امتد منذ تلك البشارة حتى مولده ولكنه نور يفتن اليه المؤمنون وغاب عن أنظار الكثيرين ممن حرفوا الكلم عن مواضعه من اليهود والمسيحيين .

ويسجل شوقى تاريخ مصر الاسلامية منذ فتحها عمرو بن العاص تحت راية الاسلام ، حتى يصل الى صلاح الدين ، وحركة الجهاد الاسلامية ضد العدوان الصليبي

يوم سار الصليب والحاملوه ومشى الغرب قومه والنساء^(٢)
بنفوس تجول فيها الأمانى وقلوب تشور فيها الدماء
يغمرون الدمار للحق ولبلنا س ودين الذين بالحق جاءوا
ويهدون بالتلاوة والصليبان ما شاد بالقنا البناء

ويسجل تاريخ المماليك ، والأتراك العثمانيين ، وقدم نابليون بونابرت والحملة الفرنسية . وإذا ما ذكر محمد على وأسرته ابتداء المديح يظهر فى أبياته . وهذه القصيدة تكشف بوضوح عن المكانة التى يحتلها التاريخ فى تكوينه الثقافى ومدى امتزاج ذلك كله بشعوره الدينى الفياض . ونلاحظ أن شوقى حتى فى ذكره تاريخ العرب فى الجاهلية يستقى ذلك من الأمثلة التى وردت فى القصص القرآنى من منظور دينى ، فهو حينما يصور الفتن الداخلية فى مصر والمجاعة المتولدة عنها بحرب البسوس وبالسنين الصعاب السبع التى فى قصة يوسف إذ يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٩ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٢ .

أمن حرب البسوس الى غلاء يكاد يعيدها سبعا صعبا^(١)

قال تعالى : « وقال الملك انى أدى سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف »^(٢)

وفى موضوع التاريخ نراه يقف بشكل لافت أمام أعلامه وكبار حوادثه ، وفى
الهمزية النبوية يستعرض السيرة النبوية فى خطوطها العامة منذ ميلاد الرسول (ص) ،
يقول :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء^(٣)

وإذ يسرد لنا السيرة النبوية فى اطار شعرى انما يلبي حاجة ثقافية قديمة متجددة
فى المجتمع الاسلامى ، تنشده معرفة سيرة الرسول عليه السلام . وقد شهدت عصور الثقافة
الاسلامية كتابة السيرة النبوية وروايتها بشكل متكرر فهى تلبى حاجة المسلمين القارئین
من ناحية وتشبع رغبة المؤلفين فى التعبير عن حبهم لرسول الله (ص) .

وإذ أدرك شوقى حقيقة الوظيفة الحضارية للتاريخ ، فقد أشار فى هذه القصيدة نفسها
الى حاضِر الأمة الاسلامية وما أصابها من الوهن والتمزق ، فذكر أن المسلمين قد ركبوا
هواهم وتفككت عراهم ولم تعد الثقة تجمع بينهم ، يقول :

أدرى رسول الله أن نفوسهم ركب هواها والقلوب هواء^(٤)
متفككون فما تضم نفوسهم ثقة ، ولا جمع القلوب صغاء
رقدوا وغمرهم نعيم باطل ونعيم قوم فى القيود بلاء

والحقيقة أن شوقى دائماً يعزو أسباب الوهن الاسلامى الحاضر الى
عوامل أخلاقية بحتة ، يقول من قصيدة (العلم والتعليم) :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا^(٥)
وقد وجد الشاعر فى سيرة الخلفاء الراشدين كثيراً من المواقف التى استغلها للتعبير
عن رؤيته لهذه السيرة ومدى ما يمكن أن يستفله فى مديحه لخلفاء آل عثمان . إذ يتقدم

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٤ .

(٢) قرآن كريم - سورة يوسف (آية ٤٣) .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١ : ٢١ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١ : ٢١ .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٤٤ وما بعدها .

للمدوح بصحائف مشرقة من تاريخ الخلافة الاسلامية مسجلا بها القدوة الحسنة رغم
ماشهدت من مواقف سلبية مثل ظروف مقتل الخليفة عثمان بن عفان . وقد شبه شوقي
الخليفة العثماني في كثير من مواقفه بالرسول (ص) انطلاقاً من سيرة الرسول ، يقول :
هذا مقام أنت فيه محمد أعداء ذاتك فرقة في النار ^(١)

وهذا دليل على حب شوقي للخليفة العثماني وعلى أن الخليفة انما يستمد شرعيته
وسياسته من روح الشريعة الاسلامية ، وبهذا استطاع شوقي ربط القيم السامية المشتركة
بين ممدوحه من آل عثمان وبين أبطال التاريخ والخلفاء الراشدين ، إذ نفذ من خلال
التراث ليسجل لنا في هذا الشعر عالمه المرثي الذي يعيشه مع عالمه الذهني الذي تصوره
من الماضي . ومن هذه التقييم التاريخية جمع بين الخليفة عمر بن الخطاب (الفاروق)
وعلى بن أبي طالب (أبي تراب) في سياق واحد ليشبه الخليفة العثماني (محمد رشاد
الخامس) بهما تشبيهاً سريعاً مبتسراً ليصف الخليفة باستتباب الأمن وتحقيق السعادة
للشعب مع تقى الخليفة :

فكأنك (الفاروق) ^(٥) في كرسيه نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله ^(٢)
أو أنت مثل (أبي تراب) ^(٥) يتقى ويهابه الأملاك في أسماله ^(٥)
عهد النبي هو السماحة والرضا (بمحمد) ^(٥) أولى ، وسمع خلاله
يابن الخواقين ^(٥) (الثلاثين) ^(٥) الأولى قد جملوا الاسلام فوق جماله

ويعتبر هذا من شوقي اسرافا في الاشارات والاعلام التاريخية في قصيدة (عيد
الدهر) التي كانت الابيات السابقة من ضمنها. وهذا الأسراف لم يسبقه اليه شاعر آخر
حتى المتنبي الذي أكثر من ايراد اشارات تاريخية وأسماء أعلام في قصيدته التي قالها في

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٤٧ .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٦٩ .

(٥) الفاروق : لقب عمر بن الخطاب .

(٥) أبو تراب : كنية على بن أبي طالب .

(٥) الأسمال : الثياب البالية وأحدها سمل بفتح الميم :

(٥) محمد رشاد : الخليفة العثماني .

(٥) الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك .

(٥) الثلاثين : هم آباء الخليفة العثماني الذين سبقوه للسلطة العثمانية .

مدح الفضل بن العميد ، ولكن هذه الأعلام والأسماء لم تزد عن سبعة مشهورة وهى لذلك لا تعتبر كثيرة اذا ماقيست بالأعلام التى أوردتها شوقى فى قصيدة واحدة تزيد على خمسة وعشرين اسماً . ويؤدى هذا التزاحم فى القصيدة الواحدة عند شوقى الى خفاء المعنى الا على من نال حظاً من العلم ، واثارة من التاريخ وماأقل هؤلاء اليوم .

ومن تشبيهاته التى جمع فيها بين الماضى المتصور والحاضر المرئى هذه الصورة الشاذة النادرة التى شبه فيها الرغبة التى تعلو أفواه خيل الترك بالعرق المتصبب على فرس الرسول (ص) ، من باب الاشتراك فى القيم التاريخية السامية والتقريب بين الوضعين فى مستوى الرسالة والهدف على الرغم من المبالغة الواضحة فى القصيدة :

تذكر الارض مالم تنس من زيد كالمسك من جنبات (السكب) (٥) منسكب (١)

ولم يترك شوقى من المخزون التاريخى حقبة الا أخذ منها، من العصر الاموى الى العباسى ، اضافة الى ماسبق الاسلامى والجاهلى والفرعونى ، والعثمانى . وفى حديثه عن عصر بنى أمية وخلفائه مثل معاوية وهشام وعبد الملك بن مروان يقدم لنا آيات ثنائه واعجابه بخلفائهم منذ بدأت الوراثة بمعاوية وأولاده ، ثم يذكر لنا بعض النماذج والسلبيات التى وردت فى هذا العصر من منطلق دينى، أو مواقف يشبهها بعالمه المرئى الذى يعيشه . والملاحظ أن شواهد التاريخ فرضت نفسها على خيال شوقى فتكررت عنده لها نظائر كثيرة ، وكأنه وجد فى التاريخ مصدراً ومرجعاً يستشهد به ، كما وجد فيه باباً يتوارى وراءه اذا أراد نظم الشعر فى احداث عصره الضخمة الشائكة ، وفى قصيدة (بين الحجاب والسفور) التى مطلعها :

صداح ياملك الكنا ر ويا أمير البلسبل (٢)

نرى أنفسنا أمام قصيدة رمزية ، يمكن أن تفسر تفسيراً سياسياً واجتماعياً ، بمعنى أن الشاعر يرمز بطائر الكنار وتغير أحواله الى موضوعات ومشكلات عامة فى بيئته .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٣
(٥) السكب : فرس من أفراس النبی (ص) .
(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٩ .

وقد استمد شوقي من التاريخ أمثالا ضربها مثل حادثة التحكيم^(١) بين الامام على ومعاوية بن أبي سفيان عندما اختارا أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص ، وكانت الفتنة على أشدها بين على ومعاوية ، وما حدث بينهما من تحكيم فى (دومة الجندل) على أثر الحرب العنيفة التى دارت بين على ومعاوية فى صفين . وقد قارن شوقي بين العالم المتصور (معاوية وعلى) كما ذكرنا وبين العالم المرئى (ابراهيم الوردانى) وهذا السياق المشترك (الظلم والحيلة) فى كلا الأمرين ، إذ تردد صدى عطف الناس على الوردانى الذى أراد أن يجنب وطنه الكوارث السياسية. ولكن الحياة لا تكون للمستكين وانما هى للفاتك الذكى ، ويعرض بالذين يتخذون من القرآن والدين وسائل للوصول الى مآربهم ، يقول :

أسمعت بالحكمين فى الـ إسلام يوم (الجندل)^(٢) .
 فى الفتنة الكبرى، ولو لا حكمة لم تشعل

 قالوا : الكتاب ، وقام كل مفسر مسؤول
 حتى إذا وسعت (معاوية) ، وضاق بها على

 نزلوا على حكم القوى ، وعند رأى الأحيل
 وقد أورد شوقي هذا المثال ليشبه الفتنة التى حدثت عند مقتل بطرس غالى بالفتنة التى حدثت بين معاوية وعلى .

ويذكر شوقي مكانة الخليفة الأموى (معاوية) ، ويقارن بينه وبين أشخاص الخلفاء الحاليين على الامتداد الزمنى وكأن التاريخ يصبح عنده مصدراً للمقارنة يستقى منه ما يريد . إذ يقول فى قصيدة (تكليل أنقره وعزل الأستانة) :

(١) انظر الكامل فى التاريخ - ابن الاثير - ص ١٦٨ - ادارة الطباعة المنيرية درب الاتراك - ج ١ - مصر - ١٣٥٦ هجرية .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧١ .

(٣) (دومة الجندل) واحة وبلدة فى جوف السرحان ، نزلها بنو كنانة ، بعث الرسول خالد بن الوليد لغزوها ٤ هجرية / ٦٢٥ ، جرى فيها التحكيم بعد معركة صفين بين أنصار على وأنصار معاوية بشأن الخلافة .

ان الذين توارثوك على الهوى بعد (ابن هند)^(٥) طالما كذبوك^(١)
 لم يلبسوا برد النبى وانما لبسوا طقوس الروم إذ لبسوك
 ويشير شوقى فى هذين البيتين الى أن الخلافة منذ أيام معاوية بن أبى سفيان قد
 تحولت من جماعة لها امام يهتدى بهدى الشرع والسنة الى ملك عضوض يتوارث أبا عن
 جد ويهتم فيه الخلفاء بمظاهر الملك وأبهة السلطان أكثر مما يهتمون فيه بجوهر القيم
 الاسلامية . فنظرته هنا نظرة نقدية الى ماضى التاريخ الاسلامى منذ انتهاء عصر الخلفاء
 الراشدين . وعلى الرغم من اعترافه بعظمة بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين فانه لا يخلو
 هذا الماضى من نقده إذ يقول أن القيم السامية التى كانت أساساً لاقامة كيان الأمة على
 عهد الرسول (ص) ومن تبعه من خلفائه الراشدين قد استحالت الى مجرد مظاهر أشبه
 ماتكون بما كان يصطنعه قياصرة الروم وأكاسرة الفرس !

وشوقى لا يريد للخلافة أن تبطل بمثل ما ابتليت به من حاكم فاسق معتوه
 (كيزيد) أو (كالحاكم بأمر الله) الخليفة الفاطمى اذ يقول :
 أو أن تزف لك الوراثه فاسقاً (كيزيد)^(٥) أو (كالحاكم)^(٥) المأفوك^(١)

وفى قصيدة (الاسطول العثمانى) التى قالها وقد شاهد البارجتين اللتين اشتريتهما
 الدولة العلية من المانيا ، وعز عليه أن يرى المسلمين فى أقطار الأرض قاعدين عن اعانة
 أسطول الدولة . وجه شوقى الخطاب فى مطلعها للسلطان محمد رشاد الخامس وجعله عز
 الاسلام . وهو هنا يتخذ من التاريخ مصدراً ، يقارن فيه بين ممدوحة الخليفة وبين الخلفاء
 من بنى عباس ، وكأن التاريخ عنده شاهد على مايقول ، فيتخذ من ترتيب الأحداث
 وذكر أسماء الخلفاء شاهداً على صدق قوله فى تصوير ممدوحة بالمقابلة بين صفاته

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٨ .
 (٥) (ابن هند) : معاوية بن أبى سفيان .
 (٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٦٨ .
 (٥) يزيد : بن الوليد من ملوك بنى أمية كان من أصحاب الفسوق .
 (٥) الحاكم : هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين فى مصر كان فاسقاً مختبلاً وكانت له بدع وضلالات
 يحمل الناس عليها فسرأ .

وصفات أسلافه من خلفاء بنى العباس الذين يراهم قد أقاموا للناس حكما عادلا ،
فيقول :

عرش النبی محمد جنباته نور ، ورفرفه الطهور غمام^(١)
لما جلست سما وعز ، كأنما هارون وابناه عليه قيام
ومن الأعلام التاريخية الدينية والسياسية التي اعتمدها شوقي في تصويره خلفاء بنى
العباس ، مثل هارون الرشيد والأمين والمأمون ، والمعتصم والمنصور وبعض أبطال
المسلمين ، مثل خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي .

ومن آيات ثنائه على الخلفاء العباسيين مقارنته بغداد — (دار السلام) عاصمة
الخلافة العباسية (بروما) دار الشرائع بقضائها وقوانينها وخطبائها وشعرائها . وكان من
عادة العومانيين أنهم إذا نزل بهم الأمر العظيم نفروا الى بعض أماكنهم العامة ، فخطبهم
الخطباء ، وأنشدهم الشعراء ، وكان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب ، ومع هذا
فما دانو في قضائهم قضاء بغداد ، التي كان يقضى فيها بدين الله ، وهو أجل من أن
يقاس به غيره ، ويوازن به ما سواه ، ولا بلغوا في فصاحتهم شأوا فصحاء الدولة العباسية
الذين قالوا في كل باب فهزوا النفوس ، وخلبوا الألباب . يقول وهوي فخر ببغداد وما
وضعت من دراسات في فروع الدين الحنيف وشريعته حتى لتسمو على روما وقوانينها :
دار الشرائع روما كلما ذكرت دار السلام لها ألفت يد السلم^(٢)
ما ضارعتها بياناً عند ملتأم ولا حكمتها قضاء عند مختصم
ولا احتوت في طراز من قياصرها على رشيد^(٣) ، ومأمون^(٤) ، ومعتصم^(٥)
ولشوقي بعض المواقف التاريخية ، وذلك واضح في مدى توظيف
المشاهد وخلق العلاقات بين قديمه التاريخي وواقعه الحضاري فهو
يستهل قصيدته (روما) بهذا الأمر :

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٢٢٧ .

(٢) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٢٠٥ .

(٣) رشيد : هارون الرشيد .

(٤) مأمون : هو عبدالله المأمون ابن هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور .

(٥) معتصم : هو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، ولي الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون .

قف بروما وشاهد الأمر واشهد ان للملك مالكا سبحانه

فهذه الافتتاحية تنبهنا الى أننا سنشهد تجربة جديدة في نوعها ، هي تجربة الاحساس الكلى بتاريخ الحضارة الانسانية .. وليس هناك بطبيعة الحال ما هو أعمق وأرحب من تجربة مثل هذه التجربة ، وهذا ما ندركه ولا سيما حين يقول « ان للملك مالكا سبحانه » ولذلك فان ما ننتظره من الشاعر هو أن يحيى لنا تاريخ روما في سطوتها وجبروتها وفي عزها وسؤدها . ومنتظر منه أن يحيى الحضارة الرومانية في شخصية روما ، قطب العالم القديم وسيدته لفترة من التاريخ ، فهل استطاع الشاعر ذلك ؟

ولكى نجيب عن هذا التساؤل ، ينبغي أن نحدد هدف الشاعر من قصيدته . والقصيدة إذا قسناها بمقاييس الشاعر العربي القديم ، الذى تأثره شوقى فى شعره اكتشفنا انها من نوع الوقوف على الأطلال الذى كان يتخذ فيه الشاعر القديم من المقابلة بين الماضى والحاضر وسيلة لتشخيص احساسه بجبروت الزمن وتغير أحوال الناس . أو بعبارة أخرى يتخذ من هذه المقابلة وسيلة للشكوى من الفناء الذى لا يملك الانسان أمامه قوة تحول بينه وبين هذا الفناء . وقد اتخذ شوقى من المقابلة بين ماضى روما فى غناها وقوة جيشها . وتسلطها على الأمم القديمة واستعبادها لأبنائها وعصبيتها للجنس الرومانى وحياتها بكل ما كانت تحفل به من لهو غنى ، وبين واقع روما الذى يتمثل له فى صورتين احدهما هذه الآثار الباقية من تماثيل وبقايا قصور وغيرها مما يشخص هذا الماضى فى صورته التى آل اليها بعد غلبة الزمن عليه . والأخرى صورة روما الحديثة التى انتقلت فيها من رمز على الاستعمار والاضطهاد الدينى الى رمز على التسامح والبساطة .

لقد اتخذ من هذا كله وسيلة للمقابلة بين الماضى والحاضر ، بين البقاء والفناء ، على طريقة الشعراء القدماء ، بخلاف بسيط يتمثل فى استخدامه للغة التاريخ وأحداثه استخداماً فنياً موحياً ، وبذلك يكون قد حقق غاية القصيدة المتمثلة فى الاحساس بوطأة الزمن وأثره فى حياة الناس ، تلك الوطأة التى ظلت هدفاً يتغنى به الشعراء فى قصائدهم . ومعنى ذلك أن شوقى قد استطاع أن ينتزع من أغراض القصيدة القديمة غرضاً أساسياً هو الوقوف على الأطلال ليجعل منه وحده موضوعاً لقصيدة .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٤٨ .

الصبر والاقدام فيه اذا هما قتلا فأقتل منهما الأحجام

... ..

هذى البقية — لو حرصتم — دولة صال الرشيد^(٥) بها ، وطال هشام^(٥)

فى البيت الأول مقابلة بين (اليأس) و (الرجاء) ، و (خلف)
و (أمام) ، وهذا التقابل الى جانب أثره الدلالى فهو يخلق نوعاً من التلائم يتيح
لموسيقى البيت أن تتأكد وتتدعم ، بتناسق حركة المعنى وانتظامها والى جانب ذلك فان
هذا التضاد والتقابل أكسب الصورة قوة تعبيرية وشحنة عاطفية هائلة .

وقد تولد لدى شوقى من هذا الموقف التاريخى معنى جديد فمن الواضح ان الإشارة
هنا الى الخطبة المعروفة لطارق بن زياد (عند فتح الأندلس) وهى التى يقول فيها (أين
المفر؟ العدو أمامكم والبحر من ورائكم) فعبر شوقى عن هذا المعنى تعبيراً جديداً فجعل
لقاء العدو وهو فاتح باب الأمل وجعل البحر الذى خلفوه من وراء ظهورهم رمزاً لليأس ،
وقد وفق شوقى فى هذا الاستغلال للموقف التاريخى القديم توفيقاً عظيماً ، فقد كان
الأتراك يقاتلون البلغار وقد تركوا البحر وراء ظهورهم وكان نهوضهم لقتال العدو واستبسالهم
فى حربه هو الذى فتح أمامهم أبواب النصر بعد أن خلفوا الخوف واليأس من ورائهم .
كذلك ينص موقف البطل (خالد بن الوليد) الذى شبه شوقى به (شكرى) بطل
أدرنه المدافع عنها أثناء شهور حصارها وحربها مع البلغار ، يقول :

عرض الخلافة زاد عنه مجاهد فى الله ، غاز فى الرسول ، همام^(١)

... ..

عثمان فى برديه يمنع جيشه (وابن الوليد) على الحمى قوام
علم الزمان مكان (شكرى)^(٥) ، وانتهى شكر الزمان اليه والإعظام.

ونود أن ننوه الى حسن استغلال شوقى لأسماء الشخصيات التاريخية الإسلامية
وايحاءاتها حينما شبه شكرى بطل (أدرنة) فى قتاله للبلغار من أجل حماية خلافة

(٥) الرشيد : هارون الرشيد الخليفة العباسى .

(٥) هشام : هو ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية .

(١) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ٢٣٨ .

(٥) (شكرى) : هو بطل أدرنة وقائد حاميتها الذى تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار .

ولنقرأ هذه الأبيات :

دولة فى الثرى ، وأنقاض ملك	هدم الدهر فى العلا بنيانه ^(١)
مزقت تاجه الخطوب ، وألقت	فى التراب الذى أرى صولجانه
طلل ، عند دمنه ، عند رسم	كتاب محا البلى عنوانه
وتمائيل كالحقائق ، تزدا	د وضوحا على المدى وإبانه

...
وبقايا هياكل وقصور	بين أخذ البلى ودفع المتانة

...
بلد كان للنصارى قنادا	صار ملك القسوس ، عرش الديانة

...
رومة الزهور فى الشرائع ، والحكمة	فى الحكم ، والهوى ، والمجانة

ففى هذه الأبيات تلعب المقابلة بين الماضى والواقع دوراً كبيراً فى تجسيد احساس الشاعر بسطوة الزمن وقسوته ، وهى مقابلة تذكّرنا بأشعار المتنبى الذى كان يحرص على أن يتخذ منها وسيلة لصياغة حكمة بالغة تلخص فلسفته فى الحياة والناس .

ومن بين أبطال التاريخ الذين كثرت اشارات الشاعر اليهم فى قصائده (خالد بن الوليد) و (طارق بن زياد) ولهما مواقف معروفة ، وقد استلهم شوقى من هذه المواقف التاريخية ليصور حاضره المرئى ، ففى سنة ١٩١٢ جاءت الأنباء بغلبة البلغار على مدينة «أدرنة» العثمانية وانتصارهم عليها فى الحرب وهذا مما حز فى نفس الشاعر ، فقابل بين موقف الأتراك بموقف البطل (طارق بن زياد) بطل الأندلس المعروف الذى عبر البحر ليقا تل الأعداء (حسب الروايات التاريخية) ، فأمر فأحرقت السفائن ثم خطب فى الجيش وقال : « ان البحر وراءكم والعدو أمامكم » . والبحر خطر عظيم لجهل الجيش العربى به فاذا نكص الجندى عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك ، فالترك بين اليأس والرجاء فى موقفهم فى حربيهم مع البلغار ، يقول :

وقف الزمان بكم كموقف (طارق) اليأس خلف ، والرجاء أمام ^(٢)

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٢٥١ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٢٣٨ .

(آل عثمان) ب (خالد بن الوليد) بطل فتوح الشام فى ظل الخليفة الراشد (عثمان بن عفان) فقد وفق شوقى هنا حينما أشار الى أن الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) وهو بعيد عن ميدان المعركة (ملتفع ببردة) فى المدينة المنورة متابعاً فتوح المسلمين وملقياً بأوامره الى قواده ، بينما كان (خالد بن الوليد) يقود غمار المعارك تماماً كما كان يفعل القائد (شكرى) وهو يحارب من أجل رفع لواء الخلافة الاسلامية ، وكأن اسم (عثمان) كان هو الرابطة بين هاتين الصورتين اللتين تفصل بينهما قرون طويلة ولكن يجمعهما خدمة القضية الاسلامية والتفنى ببطولات قوادها . وهذه ظاهرة شاهدناها كثيراً فى شعر شوقى ومرددها الى حسن المامه وسعة اطلاعه على أحداث التاريخ الاسلامى القديم .

ومن تاريخيات شوقى ما جاء فى قصيدته (الرحلة الى الأندلس) وهى التى احتذى فيها "سينية" البحترى فى وصف ايوان كسرى ، ونستطيع أن نقول عن هذه القصيدة أن شوقياً بلغ فيها من حيث الاحساس بجلال التاريخ الاسلامى وعظمة الحضارة الاسلامية وانفعاله بها انفعالا وجدانياً نابعاً من حبه لعقيدته وغيخته عليها، درجة عالية من التجويد الفنى ، وتلك هى الحقيقة الجديدة فى شعر شوقى أو التحول الجديد نتيجة للمعاناة التى عاناها من جراء نفيه الى الأندلس. ومن هنا كان لهذا الحب تأثيره العميق فى انطلاق خياله مفعماً بعاطفة حية . واعية قادته الى تصوير احساسه بروعة الآثار الاسلامية فى الأندلس تصويراً يكشف عن عمق افئتنانه بماضى الأندلس . فأبدع من الصور والرموز ماتميز من حيث الصبغة البيانية بلون من الجمال تعلوه مسحة خفيفة من الطرافة والقوة .

وقد استهل شوقى وصفه للحمراء بقوله :

من (لحمراء) جللت بغبار الدهر ، كالجرح بين برايمونكس^(٢)
كسنا البرق ، لو محا الضوء لحظاً لمحتها العيون من طول قبس
ثم يأخذ الشاعر فى التنقل بين الآثار ويقف لحظات أمام كل أثر لينظر اليه ويتملاه ويستقرئه ماضيه . ثم يعبر عن احساسه بما شاهد وبما يجد أنه خير وصف له .. فهو .
يقول عن حصن غرناطة ودار بنى الأحمر :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥٠

ويقتررب شوقى من ساحة الحضارة الأندلسية بقوله :

مشت الحادثات فى غرف (الحمراء) مشى النعى فى دار عرس^(١)
هتكت عزة الحجاب ، وفضت سدة الباب من سمير وأنس

هنا لباب الصراع التاريخى الذى نشب بين الحضارة العربية والحضارة الغربية ،
وجاء اللباب بديعاً وعميقاً بغير شك ، يحدث فوق أطلال القصر من سحب الأسى التى
تصيب الوجدان بفصحة الحسرة والألم ، فالبيتان متكاملان فى تصوير خلاصة الصراع
التاريخى وينبضان بمشاهدته التى تستنفر الشعور الذى يحس ويدرك وتستنفر الخيال الذى
يصور ما أحسن الشعور وأدرك .

وعندما يذكر شوقى الساحة التى كانت ترابض فيها خيول الملوك والأمراء والقادة ،
يقول بأنها أصبحت هى الأخرى أثاراً وأطلالاً متكاملة مع القصور التى هجرها فرسانها :
عرصات تخلت الخيل عنها واستراحت من احتراس وعس^(٢) (٥)

ووصفه لقصر الحمراء عامة يقوم فى أساسه على المقابلة بين ماضى هذا القصر
وواقعه ، بل نستطيع أن نلمح فى هذا الوصف حرص شوقى على أن يمزج الماضى
بالحاضر مزجاً يخلص منه الى تجسيد أحاسيسه بمأساة العرب فى الأندلس من خلال
تجسيده ما آل إليه أمر هذا القصر ، قصر الحمراء . فهو يتخذ من ماضيه رمزاً على قوة
العرب واتساع وعظمتها حضارتهم فى الأندلس، كما يتخذ من وصف ما حل بهم من خراب
رمزاً على واقع العرب عامة ومأساتهم فى الأندلس خاصة . ولم يعبر شوقى عن أى من
هذين الرمزتين تعبيراً مفرداً وإنما مزج، كما قلت، بين الماضى والحاضر مزجاً ممتعاً فهذا
القصر الذى كان يحفل بالحركة ويكثر عليه الوافدون وتمتلىء مجالسه بالأنس والسمر قد
خلا من ذلك كله ، فلا أنيس ولا وافد الا من جاء للتفرج عليه وتذكر الماضى من
خلاله .

وقد صور نهاية ملك المسلمين فى الأندلس وتسليم أبى عبدالله مفاتيح المدينة
للملكين الكاثوليكين، ثم خروج موكبه الحزين الصامت ليتخذ منفاه فى المغرب :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥١ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥١ .

(٥) عس : طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة .

حصن (غرناطة) ، وداربنى (الأحمر) : من غافل ، ويقظان ندس (١) (٥)

... ..

مشت الحادثات فى غرف (الحمراء) مشى النعمى فى دار عرس
عرصات تخلت الخيل عنها واستراحت من احتراس وعس

... ..

لا ترى غير وافدين على التاريخ ساعين فى خشوع ونكس

هذا هو الجو العام الذى يحيط بالحصن وداربنى الأحمر ، فكل من يشاهد آثارها
يخيل إليه أن كل ما بهما من صروح وعمد وغرف وتماثيل ومصورات وكأنها حشد من
الناس أسكرهم عمر الزمان فاذا هم بين غافل وكأنه فى نعاس عميق وبين متفتح العين فى
تحفز واع فطن . ويدهش الشاعر شوقى بروعة منظر الثلج الذى توج بعض القصور وكأنه
أوشحه من القطن الناصع البديع . وتصور خياله ان مطارف الثلج فى بياضها تشبه بياض
الشييب الذى يذكر بالموت أما هذا المشيب الذى يجلل القصور فهو عجيب .. انه لا يعرف
الموت وكان الزمان قد نسيه أو أنه عجز عن أن يطويه :

جلل الثلج دونها رأس (شيرى) فبدا منه فى عصائب برس (١) (٥) ،
سرمده شيبه ، ولم أر شيبا قبله يرجى البقاء وينسى

وقد نجح شوقى فى أن ينمى احساسه بمناظر قصر الحمراء والحصن وغيرهما من
الآثار الداخلة فيهما أو الملحقة بهما وذلك بتصويرها من خلال اطار المناخ الطبيعى الذى
كانت عليه ساعة مشاهدته لها . لينمى احساسه بما يستخرج منها ألفة أو وحدة تضىء
أصباغاً من الجلال والروعة على الآثار ، وبذلك جعل للثلج وبياضه صلة انسانية بالتاريخ
وبالزمان وحروفه وأن يشترك الاثنان معاً فى تجسيد العلاقة التاريخية بين الحصن وداربنى
الأحمر من ناحية وبين كل من الثلج والمشييب من ناحية أخرى .. إذ أن ايجاد أو ابداع
تلك الصلات لخليق بأن يطلعنا على مشاهد فنية حية تتفاعل عناصرها مع تفاعل
الاحساس ليزيدانا متعة بجمال الآثار وعظمة الحضارة الاسلامية بالأندلس .

(١) نفس المرجع السابق .

(٥) ندس : الفهم

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥٠ .

(٥) عصائب برس : يفيض كالقطن .

آخر العهد بالجزيرة كانت
فترها ، تقول : راية الجيش
ومفاتيحها مقاليد ملك
خرج القوم فى كتائب صم
ركبوا بالبحار نعشا وكانت
بعد عرك من الزمان وخرس (١) (٥)
باد بالأمس بين أسر وحس
باعها الوارث المضيع ببخس
عن حفاظ ، كموكب الدفن خرس
تحت آبائهم هى العرش أمس

فقد رسم صورة حزينة لأبى عبدالله وقد سلم مفاتيح مدينته أى ملك آبائه الى عدويه
وخرج فى ذلة بجيشه وكأنه يشيع جنازة، وركب السفن هارباً الى منفاه وكأنه قد حمل على
نعوش كانت بالأمس عروشاً لآبائه . وقد حرص شوقى لتصوير هذه اللحظة الحزينة فى
تاريخ الأندلس على استغلال المقابلة بين الأمس والحاضر استغلالاً لغوياً ومعنوياً فصنع
منها صورة مشجية جسدت مأساة الأندلس ممزوجة بأحزانه عليه .

ولعل هذه الأبيات فى تصوير مأساة السقوط الأخير هى أجمل ما فى قصيدة شوقى ،
ففيها حياة لانراها فى أوصافه السابقة .

« ويستخلص شوقى كعادته من المأساة موعظة خلقية حول سياسة الممالك
وتدبيرها وما تنتهى اليه حينما تقبض على مقاليدها يد حمقاء وضيعة » (٢) :

رب بان لهادم ، وجموع
إمرة الناس همة ، لاتأتى
وإذا ما أصاب بنيان قوم
لمشت ، ومحسن لمخس (٣)
لجبان ، ولاتنسنى لجبس (٥)
وهى خلق ، فانه وهى أس

وكما يكرر شوقى رقم أسماء الخلفاء فانه يكرر ذكر الأماكن الاسلامية بما لها من
دلالات مقدسة ، فهى صورة من صور الدين ترتبط بشعائره وترتبط بالعبادات والتقاليد

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥١ .

(٥) خبره الزمان : اشتد عليه .

(٢) فصول - الأندلس فى شعر شوقى ونثره - د . محمود على مكى - ص ٢٠٠ - المجلد الثالث - العدد
الأول - سنة ١٩٨٢ م .

(٣) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥١ : ٥٢ .

(٥) جبس : جبان .

الدينية ، وللناس تجاه هذه الأماكن كثير من المشاعر الدينية التي تشدهم إليها إذ يقول في ذكر يثرب ومكة وما يرتبط في سياقهما من الطهر :

يدانى ثراها ثرى مكة ويقرب فى الطهر من يثرب^(١)
ويقول من قصيدة (البردة) :

هناك أذن للرحمن ، فامتلات أسمع مكة من قدسية النغم^(٢)

الدعاء لله سبحانه وتعالى بهذا (النغم القدسي) الطاهر المنزه عن كل تطريب وإيقاع شعيرة من شعائر الدين تقام فى هذا المكان المقدس (مكة) الذى تهفو إليه نفوس الناس ، وهو حين يتحدث عن تاريخ الأماكن الإسلامية يقوم بربط مكانة الذى يتحدث عنه من أنبياء وخلفاء وطبيعة نسبتهم الى هذه الأماكن المقدسة ، فهو حينما يذكر الرسول (ص) وإقامته فى حراء الليالى والأيام فى بطحاء مكة ويرتبط هذا الذكر بالقدسية ونسبة الرسول (ص) الى هذا المكان المقدس ، يقول :

كم جيشه وذهاب شرفت بهما بطحاء^(٥) مكة فى الاصباح والغسم^(٥)^(٣)

وشوقى مشغول بمكة ويثرب كأنشغاله بعرفات إذ يقول من قصيدة (نجاة) التى نظمها يهنئ فيها الخليفة من قذيفة ألقيت عليه وشاء الله النجاة منها سنة ١٩٠٥ م :

يكاد يسير البيت شكرا لربه اليك ، ويسعى هاتفاً عرفات^(٥)^(٤)

ويربط شوقى بين العتيق (البيت الحرام) وبين الأزهر الشريف فى سياق واحد وهى مكانتهما الطاهرة (فالعتيق مثابة) ، (والأزهر كوثر) ينهل منه الناس العلم بلا حدود ، ونلاحظ هنا هذا النفس القرأى إذ قال تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً »^(٥)

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٤٩ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩٦ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩٥ .

(٥) البطحاء : الميل الواسع فيه دقاق الحصى .

(٥) الغسم : الامساك وظلمة الليل .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٢ .

(٥) عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقوف به دكن من أركان الحج .

(٥) قرآن كريم - سورة البقرة (آية ١٢٥) .

وقد يتجاوز شوقي الأسماء أو الأماكن الإسلامية بما لها من دلالات دينية مقدسة إلى الأحداث الإسلامية ذاتها ، وهنا غالباً ما يكون الشاهد وثيقة تاريخية لها أهميتها ودلالاتها على صدق مايقول ، والموقف يعتمد أساساً على مدى علاقة الشاعر بالتاريخ أو بمعنى أدق على البعد الحقيقي لثقافته التاريخية من وحى أحداث المجتمع الإسلامى فى الماضى، ومعارك إسلامية دارت فى زمن الرسول والخلفاء الراشدين ، وقد اتخذ شوقي (غزوة بدر) بمدلولها التاريخى والإسلامى مثلاً دينياً لانتصار المسلمين على الشرك بالتأييد الإلهى ليدخل ذلك فى مقارنة مع حاضره وما تدور به من أحداث ، إذ يقول من قصيدة (أيها النيل) :

فتح الفتوح ؛ من الملائك رزق^(٥) فيه ، ومن أصحاب بدر (زردق^(١))
يبنون لله الكنانة بالقنا والله من حول البناء موفق

فيصود نزول الإسلام مصر واستضاءتها بنوره . وليس فى دفاع شوقي عن الفتح الإسلامى لمصر شيء من الخيال أو المبالغة ، لأن العرب فتحوا مصر ، فنقلوا إليها الدين واللغة ، وسرعان ما أقبل المصريون على الإسلام وعلى اللغة العربية ، ولم تكذ تنقضى بضعة أحقاب حتى صارت مصر حصناً من حصون الإسلام والعربية ، وهؤلاء الفاتحون الذين بنوا مصر برماحهم وبتأييد من ربهم ، حاربوا فى نصرة الحق . وفى هذين البيتين نلاحظ بروز مقاطع الجملة الشعرية إضافة إلى الوقع الموسيقى ، وهذا ما لاحظناه عند قراءة القصيدة كلها بالإضافة إلى توظيف الاستفهام عنده . وهذا نوع من خلق التطريب الموسيقى الذى استخدمه شوقي لنفى الرتابة والجمود وخلق تجانس صوتى بين الكلمات كنوع من المظاهر الأسلوبية عنده .

عقد شوقي وجه شبه بين (أهل بدر) وهم أول الغزاة مع الرسول محمد (ص) ، وبين النوابغ من العلماء ، إذ قال من قصيدة فى رثاء عثمان باشا غالب الذى كان طبيباً نابغة وعالم بالنبات يشار إليه بالبنان عندما توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ م ، يقول :

ان النوابغ (أهل بدر) ما لهم من سيئات^(١)

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٧٣ .

(٥) رزق : أصل الكلمة فارسية - أى الصف من الناس .

(٢) ديوان شوقي - ج ٣ - ص ٥٠ .

وعلى الرغم من اجادة شوقى فى استغلال المواقف التاريخية وتوظيفها فى شعره فانه قد كان بعيداً عن التوفيق فى بعض المواضع كما نرى فى اشارته الى شهداء بدر فى مرثيته (لعثمان غالب) ، ونحن نخالف شارح الديوان والمعلق عليه حينما أشاد بهذا البيت فقال (أهل بدر) هم أول الغزاة مع محمد (ص) شبه النوابغ بهم ، ووجه الشبه بينهما هو سبق كل منهما لاحتراز أسى مراتب الشرف والرفعة .. وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعراً فطن إليه قبل شوقى ، فعلى الرغم من اعجاب هذا الشارح بذلك النوع من وجه الشبه الذى لم يفطن إليه شاعر قبل شوقى ، فاننا نراه أمراً لا معنى له ولا نرى مبرراً للجمع بين وفاة طبيب عظيم وعالم نبات وبين استشهاد أبطال معركة بدر ، أما النبوغ الذى أشار إليه شوقى فهو وجه شبه واه الى أبعد حد ، والقصيدة بوجه عام من أقل مرثيات شوقى قيمة وحظاً من صدق التجربة الشعرية .

وقد تظهر المؤثرات الاسلامية أكثر وضوحاً عند شوقى حين يستعين بوقائع من ماضى التاريخ الاسلامى كما مر فى (غزوة بدر) فهو اذ ذاك يستخرج من ذاكرته التاريخية ما مر فى هذه الغزوة ، ويتكرر الموقف معه حين يذكر جرحى (خيبر) اذ يقول من قصيدته فى (سبيل الهلال الاحمر) وذلك فى سياق واحد وهو المقارنة بين جرحى خيبر فى عهد الرسول (ص) وهذه المعركة مشهورة فى التاريخ ^(١) وبين المجاهدين فى سبيل الوطن ، ولاتخفى جهوده فى جمع التبرعات لجرحى الهلال الاحمر وتضميد الجراح وتخفيف الآلام والقيام بالاسعافات الأولية الضرورية فى الحوادث ، يقول :

فى أعين البارى ، وفوق يمينه جرحى نجلهم ، كجرحى خيبر ^(٢)

ويؤكد شوقى وعيه التاريخى بقوله : « والشعر ابن أبوين : التاريخ والطبيعة » ^(٣) ، فالتاريخ عنده له مفهوم خاص فقد اتسع ليشمل الكون والطبيعة والرسالة الاجتماعية والحضارات عامة ، فالتاريخ بالنسبة اليه كالمستودع للنظام الأمثل ، وكان حاضراً فى وعى شوقى يتمثله حيا فى شعره، يصور أحداثه ورجاله تصويراً صادقاً يثير التقدير والاعجاب ، وقيمه تجسدت فى صور كثيرة حفل بها ديوانه ، الى جانب ذلك تاريخ الأتراك بحروبهم وانتصاراتهم ، وخلنائهم ، ومآثرهم تنطق به صوره ،

(١) حياة محمد - هيكل - ص ٣٩٣ - دار المعارف بمصر . الطبعة السادسة عشرة - ١٩٨١ م .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٥٠ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٥٠٠ . مقدمة قصيدة روما .

وكأنما التاريخ أمامه خزانة مفتوحة ينتقى من جواهرها ما يشاء ، الاعلام واسماء الاماكن والاحداث يستحضرها مجرد استحضار سريع خاطف فيظهر وجه الشبه أحياناً واضحاً وأحياناً مفتعلاً ولكنه على كل حال يدل على اجلال شوقى لهذا التاريخ، ومحاولة تذكير سامعيه به فى كل مناسبة . وكانت حاجاتهم شديدة الى تذكّر هذا التاريخ فى كل أزمة حاضرة وما أكثر أزمات المسلمين المحدثين .

ولا يكتفى باثارة الصور التاريخية ، واستدعائها ووصف آثارها ، وانما يتجاوز ذلك الى استخدام دلالتها ومشاهدها وخاصة ما كان منها مذكوراً فى القرآن الكريم فى عقد الكثير من الصور التى تعبر عن الطبيعة والمشاعر الذاتية وان كانت من غير التاريخ الاسلامى ، فالطبيعة فى جمالها تشبه بلقيس وابن داود .

يقول :

كشف الغطاء على (الطرول) وأشرقت	منه الطبيعة غير ذات ستار ^(١)
شبهتها (بلقيس) فوق سريرها	فى نضرة ومواكب وجواري
أو (بابن داود) وواسع ملكه	ومعالم للعز فيه كبار
هوج الرياح خواشع فى بابه	والطير فيه نواكس المنقار

(تشبيه معكوس) .

ولكن (بلقيس) لم تذكر فى القرآن الكريم باللفظ وانما وردت الآية كما يلى :
« فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم »^(٢)

وقد وليت بلقيس أمر اليمن كله ، ولها ملك عظيم، وأورد القرآن الكريم قصة اسلامها مع النبى سليمان ... « وسليما ابن داود عليه السلام ملك من ملوك بنى اسرائيل أتاه الله النبوه واتسع ملكه وتوافرت له أسباب العظمة ومظاهر الأبهة ، وقد خصه الله بخصوصيات خارقة للعادة ، فقد علمه منطق الطير وسخر له الريح كما سخر الجن تقضى حاجاته ،

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣٧ .

(٢) قرآن كريم - سورة النمل - آية ٢٣

وتصنع له العجائب «^(١) ، قال تعالى : « وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين »^(٢) .

ومن الظواهر الواضحة في شعر شوقي التاريخي أنه في كثير من الأحيان لا يصور لنا تجربة حقيقية انفعّل بها وإنما وقف عند كونه استاذاً وواعظاً ، فهو في كثير من تأملاته التاريخية يختمها بتوجيه نداء الى سامعيه أو قارئيه على نحو تقريرى وعظي يجعله أقرب الى الأستاذ المدرس منه الى الشاعر الحقيقي ، بل هو يصرح في بعض الأحيان بأنه لا يقدم هذه الاشارات التاريخية إلا من أجل العظة أو استحثاث همم المصريين الى التمسك بماضيهم والمسلمين الى تذكر أمجادهم الماضية في نبذة خطابية خالصة ، يقول من قصيدة (على قبر نابليون) :

عظة قومي بها أولى وان	بعد العهد ، فهل يعتبرون ؟ ^(٣)
هذه الأهرام تاريخهم	كيف من تاريخهم لا يستحون ؟
يا كثير الصيد للصيد للعلا	قم تأمل : كيف صادتك المنون ؟

الموروث الأدبي :

من الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي هو الأقرب الى نفوس الشعراء ، ومن الطبيعي أيضاً أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألقى بنفوس الشعراء ووجدانهم ، ولا غرابة أن تكون شخصيات الشعراء من أكثر الشخصيات ذيوماً في التراث الأدبي والتأثير به . وكان لابد لشوقي في أن يرفد موهبته الشعرية بمدد لا ينقطع من شعر التراث ونثره ، وأن يتخطى ماتراكم حوله من رواسب التقليد في عصره وفي العصور السابقة القريبة منه ويتجاوز ذلك كله الى الينابيع الصافية والعمادج المشرقة في عصر الأصالة الزاهية .

(١) معجم الألفاظ والاعلام والقرآنية — محمد اسماعيل ابراهيم — القاهرة — دار الفكر العربى — ١٩٦٨ م — ص ٢٥١ .

(٢) قرآن كريم — سورة النمل — (آية ١٦) .

(٣) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٢٥٨ : ٢٥٩ .

وكان له فى اتصاله بشعر التراث ونشره موارد استقى منها ، أشار اليها بعض معاصريه وخاصة مصطفى صادق الرافعى الذى قال : « والكتاب الأول الذى راض خيال شوقى ، وصقل طبعه ، وصحح نشأته الأدبية ، هو بعينه الذى كانت منه بصيرة حافظ .. أى كتاب (الوسيلة الأدبية) للمرصفى . وليس السرفى هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة ، فهذا كله كان فى مصر قديماً ولم يغب شيئاً ولم يخرج لها شاعراً كشوقى ، ولكن السرفى فى الكتاب من شعر البارودى لأنه معاصر ، والمعاصرة اقتداء ومتابعة على صواب ان كان الصواب ، وعلى خطأ ان كان الخطأ .. واكب البارودى على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول .. وكانت فيه سليقة فخرجت مخرج مثلها فى شعراء الجاهلية والصدر الأول من الحفظ والرواية ، وجاءت بذلك الشعر الجزل الذى نقله المرصفى .. وبهذا ابتداء شوقى وحافظ من موضع واحد وانتهى كلاهما الى طريقة غير طريقة الآخر والطريقتان معاً غير طريقة البارودى . تحول بهذا الشعر لا الى طريقة البارودى . ولكن تحوله كان عن طريقة معاصرة من أمثال الليثى وأبى النصر وغيرهما . فترك الأحياء وانطلق وراء الموتى فى دواوينهم التى كان من سعادته أن طبع الكثير منها فى ذلك العهد : كالمتنبى وأبى تمام والبحترى والمعرى »^(١) .

وقال عز الدين التنوخى : « تخرج شوقى فى اللغة على الأستاذ النابغة المرصفى صاحب (الوسيلة) وكان أحب الشعراء إليه — كما أجاب به سائلا — هو المتنبى ، قال ما نصه : وأنا أعده أستاذى الأول ، ثم يلى المتنبى ابن الرومى . ومن ذلك نستنتج أن لغة أمير الشعراء قد تأثرت كل التأثر بلغة نبي الشعراء أبى الطيب المتنبى .. وتأثرت بعده بلغة ابن الرومى ، ثم بلغة من عارضهم من فحول الشعر وصاغة القريض كالبحترى الذى عارضه فى سينيته ، والحصرى فى داليتيه ، والبوصيرى فى البردة والهمزية ، وابن زيدون فى أندلسيته النونية ، وأمثالهم .. وانما تأثرت لغة شوقى بمعارضة قلائدهم المشهورة لأن المعارضة تدعو الى المضاربة »^(٢) .

(١) ذكرى الشاعرين — أحمد عبيد — ص ٤٤٧ / ٤٧٩ — المكتبة العربية بدمشق — سنة ١٣٥١ هجرية .

(٢) ذكرى الشاعرين — أحمد عبيد — ص ٣٩٣ .

وقد أكثر الباحثون من الإشارة الى تأثير شوقي بالبارودى والمتنبى والبحتري وأبى تمام ، وتتبعوا أبياته التى رأوا أنه أخذ ألفاظها ومعانيها وصورها منهم ^(٢) ، وعنوا عناية خاصة بتتبع تأثيره بالمتنبى وما أخذه من شعره ^(٣) .

ولكن الموضوع بحاجة الى دراسة تفصيلية لبيان مدى التأثير بكل شاعر وتفاوت هذا التأثير بين الشعراء المختلفين ، ولا يتسع لها المجال . ويضاف الى ذلك التأثير بالشعراء ينبوع أساسى من ينباع التى أوردتها شوقي واستقى منها وتأثر بهلوهو الشعر الذى اختاره أبو تمام لشعراء الجاهلية والقرنين الأول والثانى الاسلاميين ، وجمعه فى (ديوان الحماسة) وأصبح فى طليعة الكتب التى كان الناشئة يعكفون عليها ويتمرسون بها — قراءة وفهماً وحفظاً — لتكون أساساً متيناً عليه بعد ذلك .

وقد نقل المرصفى فى كتابه (الوسيلة الأدبية) مقتطفات ونماذج كثيرة من الشعر الذى اختاره أبو تمام ، وفى شعر هؤلاء الشعراء المطبوعين ، الذين اختار لهم أبو تمام ، وجد شوقي ما يريد فاستزاد منه على الرغم من أن أغلب هؤلاء الشعراء من غير المكثرين ومن غير الفحول المشهورين ، وممن لم تكن طبعت لهم دواوين على عهد شوقي ، وحتى يومنا هذا لم تعرف لأكثر هؤلاء أى دواوين مخطوطة أو مطبوعة ، وانما عرفناهم من خلال (ديوان الحماسة) وظل أثر ذلك الشعر فى نفس شوقي عميقاً حتى ظهر فيما بعد فى شعره فى مواطن كثيرة منه لا سبيل الى تتبعها كلها ويكفى من قلادتها ما أحاط بالعنق ومن أمثلة ذلك يقول شوقي :

يا طير ، والأمثال تضر	ب اللبيب الأمثال ^(١)
دنياك من عاداتها	ألا تكون لأعزل
أولغبي ، وأن تعلل	بالزمان المقبل
جعلت لحر يبتلى	فى ذى الحياة ويبتلى
يرمى ، ويرمى فى جهها	د العيش غير مففل

(١) نفس المصدر السابق — ص ٣٩٤ / ٣٩٨ / ٤٨٠ / ٤٨٥ .

(٢) مجلة أبولو — العدد الرابع من السنة الأولى — ديسمبر ١٩٣٢ م — ص ٤٤٧ — ٤٥٧ .

(٣) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١٧٩ .

الأبيات السابقة من قصيدة (بين الحجاب والسفور) وهى قصيدة تعالج قضية ،
وتجنح الى الرمز والمجاز ، وكل من قرأها أدرك أنها تجربة شعرية جيدة ومعاناة فنية ،
وما استعمال الرمز إلا لاختفاء هذه المعاناة الناتجة عن التملق والتوازن فى آن واحد .
وفى (الوسيلة الأدبية) مما نقله المرحضى من خماسة أبى تمام قول يزيد بن
الحكم الثقفى يعظ ابنه بدرا :

يا بدر . والأمثال يضر بها لذى اللب الحكيم^(١)
دم للخليل بوده ما خير ود لا يدموم
واعلم بنى فانه بالعلم ينتفع العلیم
وقد تجاوز تأثير شوقى . (يزيد بن الحكم) الى ألفاظ المطلع
ومعانى بعض الأبيات ثم الى بناء القصيدة كله ، فالروح واحد
والنسق واحد .

وقال شوقى فى مطلع قصيدته عن رمضان :

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقا تسعى الى مشتاق^(٢)
ما كان أكثره على آلافها وأقله فى طاعة الخلاق !!
شوقى يظهر فرحته بانقضاء رمضان حتى يعود الى مجلس الشراب ، فهو يشبه
الاشتياق المتبادل بينه وبين الخمر بالشوق بين الأحبه ، والى جانب هذه السلبية فى تعبير
شوقى عن رمضان فهناك أمر ايجابى وهو أن شوقى يتوقف عن الشراب فى هذا الشهر
المقدس وهذا مما يدل دلالة واضحة على الصوت الدينى الكامن فى أعماقه لما يكنه من
احترام لقدسية هذا الشهر .

ومطلع قصيدة شوقى السابقة يذكرنا بأبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة لابن
أذينة فى قوله وبنفس المعنى :

(١) ديوان الحماسة - ص ٤٤٥ - شرح المرنزوى - ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٥٢ م .
(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٧٧ .

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها ^(١)

ومن عناصر التراث فى شعر شوقى ، ترديدة لأسماء مجموعة من الشعراء ترديداً مقروناً باقتباسات من شعرهم ، أو بإشارات الى بعض ما تضمنه ذلك الشعر ، أو بما يدل على معرفته لبعض خصائصهم الفنية ، أو لجوانب من مراحل حياتهم ، وكل ذلك بالقدر الذى يسمح به التناول الفنى للشعر .

ويشير شوقى فى مواطن متفرقة من شعره الى (لييد بن ربيعة العامرى) والى أبياته التى يشكو فيها طول عمره ، وخاصة بيته الذى يقول فيه :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لييد ؟ ^(١)
وقوله :

باتت تشكى الى النفس مجهشة وقد تحملت سبعا بعد سبعينا ^(٢)
فان تزدى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفاء للثمانينا
ويقول شوقى مشيراً الى لييد :

أبا الهول ، ماذا وراء البقا ء - إذا ما تطاول - غير الضجر ؟ ^(٣)
عجبت للقممان فى حرصه على لييد والنسور الآخر
وشكوى لييد لطول الحيا ة ، ولو لم تطل لتشكى القصير

والإشارة واضحة فى شعر شوقى الى لييد وسأمه من الحياة وطولها ، ثم الإشارة الى قصة لقمان بن عاديا ^(٥) ، وهو من قوم عاد ونسوره السبعة ، وآخرها ليد ، وقيل اسمه

(١) الحماسة - أبو تمام - ص ٤٧٤ .

(٢) ديوان لييد - ص ١٤ - ط . ليدن ١٨٩١ م .

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٤٦ : ٤٧ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٣٣ .

(٥) لقمان : هو لقمان بن عاديا غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم ، وقد وردت قصته فى كتب الأمثال .

بلسانهم الدهر فهي رمز للثبات والخلود ، وقد ذكرت هذه القصيدة كتب الأدب وخاصة كتب الأمثال ^(٥) .

ويكرر شوقي ذكر (لبيد) في مواطن أخرى ، منها ما ذكره في قصيدته عن (الهلال) بمناسبة عيد ميلاده يقول :

ومن صابر الدهر صبرى له شكاً في الثلاثين شكوى (لبيد) ^(١)

ان الذى جعل الشاعر يشعر بأن حياته مملّة طويلة هو صبره الطويل على مارماه به دهره ، وعجزه عن اظهار عواطفه على حقيقتها ، وقد قارن بين نفسه وبين الشاعر لبيد الذى أصبح مثلاً لطول العمر وشكاً سأمه من طول الحياة ، وعنوان القصيدة (الهلال) يوهم القارئ بأن الشاعر لم يضع سوى قصيدة وصفية خالصة عن الهلال، لاسيما ان أخذنا فى الاعتبار أن القصيدة فى جوهرها تدور حول الشاعر ذاته -حول قنوطه وعدم تحقيق آماله وطموحه ، وحول مشاعره ازاء دلالة الزمن وجدوى الجهد البشرى . ولكن قد يبدو أن الشاعر يرغب فى الفرار مما هو شخصى بحث ، فقد أخفى كل مشاعره وأحاسيسه تحت عنوان القصيدة .

وقد اعترف شوقي بفضل القدماء على جميع الشعراء الاحيائيين الذى هو منهم وهو القائل :

ومن نسى الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف ^(٢)
ليس إليهم صلاح البناء إذا ما الأساس سما بالفرف

وكان حسان بن ثابت من الشعراء الذين ردد شوقي ذكرهم فى شعره وساق اشارات تدل على شعره ، ففي قصيدة شوقي (نكبة بيروت) يقول :

بيروت . يا راح النزيل وأنسه يمضى الزمان على لا أسلوك ^(٣)
الحسن لفظ فى المدائن كلها ووجدته لفظاً ومعنى فيك

(٥) مجمع الأمثال للميداني - ج ٢ - ص ٢٢٩ : ٢٣٠ - تحقيق / محمد محيى الدين عبدالحميد - م . السنة المحمدية ١٩٥٥ م .

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٣٠ .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٦٠ .

(٣) نفس المرجع السابق - ص ١٦٢ : ١٦٣ .

نادمت يوماً في ظلالك فتية وسموا الملائك في جلال ملوك
ينسون (حسناً) عصابة (جلق)^(٥) حتى يكاد (بجلق) يفديك

وتجب الإشارة هنا الى أن شوقي تناول الأحداث الوطنية والسياسية في العالم العربي بنفس الأسلوب الذي تناول به هذه الأحداث في مصر ، فلم يعمد الى تسجيل الأحداث التي تثير عليه غضب السلطان ، ولم يتعرض للأحداث التي تتصل بالاستعمار البريطاني بخاصة كما حدث في قصيدته السابقة (نكبة بيروت) وقصائد أخرى .

وهذه اشارات واضحة الى قول حسان في مدح الفساسة :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول^(١)

وكرر شوقي ذكر حسان وذكر معه أبا نواس الحسن بن هانئ في قصيدته التي هنا فيها الخليفة العثماني بنجاشه من محاولة اغتياله سنة ١٩٠٥ م ، قال :

ملكك ، أمير المؤمنين ، ابن هانئ بفضل ، له الألباب ممتلكات^(٢)
ومازلت حسان المقام ، ولم تزل تليني ، وتسرى منك لي ، النفحات

فشوقي يري مقامه من الخليفة العثماني مقام حسان من رسول الله (ص) في مدحه والدفاع عنه . أما أبو نواس الحسن بن هانئ فقد تأثر شوقي به تأثراً عميقاً ، عارضه في بعض قصائده ، ونسج على منواله في 'خمرياته' وسمى بيته (كرمه ابن هانئ) .

ويتكرر الموقف السابق مع شوقي عندما يذكر الشاعر أبا تمام ويقرن ذكره بالإشارة الى شعره المبدع في مدح الخليفة العباسي (ابن اسحاق المعتصم بالله) وهو شعر كان يهز الخليفة وخاصة قصيدة (عمورية) التي تعتبر من أرقى ما قيل من شعره ، الى جانب ما تحويه من آثار مختلفة للثقافات الاسلامية والعربية واليونانية . يقول أبو تمام من قصيدة (عمورية) :

(٥) (جلق) : موضع في سورية اختلف في تعيين موقعه من المرجح أن يكون (كسوه) في جنوبي دمشق استوطنه الفساسة ، وتردد إليه يزيد بن معاوية الخليفة الأموي .

(٢) ديوان حسان بن ثابت - شرح البرقوقى سنة ١٩٢٩ م .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٧ .

لم يعلم الكفر كم من أعصر كمنت له المنية بين السمر والقضب^(١)
تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب^(٢)

صياغة أبو تمام هذه تتناسب الى حد كبير مع طبيعة الموقف
النفسي للنص بصرف النظر عما يشوبها من التكلف نتيجة
للتلاعب بحروف الجر .

ويقول شوقي :

ان القلوب ، وأنت ملء صميمها . بعثت تهانينا من الأعماق^(٣)
وأنا الفتى (الطائي)^(٤) فيك ، وهذه كلمى هزئت بها أبا اسحاق^(٥)

كرر شوقي الموقف ، فقد رأى منتهى فخره أن يكون هو أبا تمام ، وأن يجعل من
مدوحه الخليفة العباسي المعتصم بالله ، كما فعل عندما جعل مقامه من الخليفة العثماني
كمقام حسان من الرسول (ص) .

وشوقي كغيره من شعراء الاحياء ، أمعن في تقليد القدماء ، ومعارضتهم ولكنه لم
يصرح بتعمد المعارضة شأنه شأن شعراء الاحياء ، لكن المتأمل لشعره يكشف عن هذا
القصد الذي أثر الشاعر اخفاءه ، وبخاصة في تأثر المعاني والصور وتسرب بعض الصيغ
جرساً ومعنى وفي طرق الأغراض المختلفة . غير أن عدم التصريح بتعمد المعارضة يعفى
الشاعر من التزام تقاليد المعروفة : ولو نظرنا الى دواوين شعراء الاحياء مثل حافظ
والبارودي وعبدالمطلب الى جانب شوقي ، نجد أنهم تعمدوا المعارضة مصرحين وغير
مصرحين بذلك .

وقد أصبح شعر المعارضة يشغل قسماً كبيراً من ديوان شوقي ولم ينحصر هذا الشعر
في فترة معينة من حياته ، ولا هو وليد ظروف معينة ، انما تولد عن شعور دائم وفي
مناسبات متعددة وفي فترات مختلفة من حياته ، ولم يتخذ المعارضة أسلوباً لامتحان قدرته
على محاكاة القدماء . وقد يعود هذا الى أن فكرة المعارضة قد استهوت شوقي فأسرف

(١) ديوان أبو تمام — المجلد الأول — ص ٥٨ .

(٢) مرتقب : أى يرغب فيما يقربه الى الله تعالى .

(٣) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ٧٩ .

(٤) الطائي : أبو تمام الشاعر .

(٥) أبا اسحاق : الخليفة المعتصم بالله العباسي .

فيها طيلة حياته من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ميزة شعراء الاحياء ومنهم شوقي ، تبدو في نظرة الى التراث غير متميزة ، فلم يقتصروا على عصر دون آخر ، ولم يستأثروا بلون دون لون ، فقد حاولوا أن يتأثروا بكل ما جد في كل عصر وفي كل بيئة بالاضافة الى تأثرهم بأساليب وموضوعات الشعر القديم ، فلم يحافظوا على نهج معين ، ولم يثوروا على طريقة ويستبدلوا بها أخرى ، ولم يختاروا لوناً موسيقياً دون آخر ، فقد كانت الرغبة في التقليد والتفوق معاً . ورغم كون المعارضة سنة أدبية اتبعها العرب منذ القديم ، ولكن حظها من العناية اقتصرت في القديم بالاشارة الى أشهر نماذجها خاصة في كتاب (الموازنة)^(١) أو (النقائض)^(٢) .

ومن معارضات شوقي المشهورة قصيدة (نهج البردة) التي نظمها سنة ١٩٠٩ م ، والتي عارض فيها (بردة البوصيري) .

أما غرض القصيدتين فهو ديني، ومصدر الالهام فيهما واحد وهو الدين ، فمن مدح الرسول (ص) الى الحديث عن الإسراء والمعراج ، الى المقارنة بين الاسلام والمسيحية ، الى غير ذلك من المواضيع المشتركة . وقد سبق الحديث عنها بالتفصيل في موضوع المدائح النبوية^(٣) .

ومن معارضات شوقي التي تعتبر من أندلسياته قصيدته السينية التي احتذى فيها سينية البحتري ، يقول شوقي : « كان (البحترى) رحمه الله رفيقى في هذا الترحال ، وسميرى في الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال ، فافه أبلغ من حلى الأثر وحيى الحجر ، ونشر الخير ، وحشر العبر ، ومن قام فى مأتم على الدول الكبير ، والملوك البهاليل الفرر ، عطف على الجعفرى^(٤) حين تحمل عنه الملا ، وعطل عنه الحلى ، ووكل بعد (المتوكل) للبللى ، فرفع قواعده فى السير ، وبنى ركنه فى الخبر ، وجمع معالمه فى الفكر ، حتى عاد كقصور الخلد امتلأت منها البصيرة وان خلا البصر وتكفل بعد ذلك (لكسرى) بايوانه ، حتى زال عن الأرض الى ديوانه ، وسينيته المشهورة فى وصفه ، ليست دونه وتحت (كسرى) فى رصه ووصفه » .

(١) الموازنة بين أبى تمام والبحتري - الأمدى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - ١٩٤٤ م - القاهرة .

(٢) نقائض جرير والفرزدق - أبى عبيدة - ج ٣ - ط ليدن ١٩٠٥ م .

(٣) أنظر ص ٣٢٧ من هذا البحث .

(٤) الجعفرى : القصر .

قال صاحب الفتح القسى فى الفتح القدسى بعد كلام : « فانظروا الى ايوان كسرى
وسينية البحترى فى وصفه ، تجدوا الايوان قد خرت شعفاته ، وعفرت شرفاته ، وتجدوا
سينية البحترى قد بقى بها (كسرى) فى ديوانه ، أضعاف ما بقى شخصه فى
ايوانه » (١) .

ويقول شوقى : هذه السينية وتقول فى مطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس (٢)

فكنت كلما وقفت بحجر ، أو بأثر ، تمثلت بأبياتها ،
واسترحت من موائل العبر الى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين
نفسى :

وعظ البحترى ايوان كسرى وشفتنى القصور من عبد شمس (٣)

ويقول شوقى : ثم جعلت أروض القول على هذا الروى ، وأعالجه على هذا الوزن
حتى نظمت هذه القافية المهلهلة ، وأتممت هذه الكلمة الریضة وأنا أعرضها على القراء
راجياً أن يلحظوها بعين الرضا ، ويسحبوا على عيوبها ذيل الاغضاء ، وهذه هى :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا ، وأيام أنسى (٤)

وشوقى اعترف بنفسه فى كلماته الأخيرة بالقافية المهلهلة ويعزز ذلك بطلبه للناس
الاغضاء عن كل عيوبها .

أما الغرض فى القصيدتين السينيتين ، ففى قصيدة (البحترى) هو الوقوف على
أطلال ايوان كسرى بالمدائن ، ووصف هذه الأطلال وصفاً جدد به ذكرها ، أما قصيدة
شوقى فغرضها ذكر آثار الأندلس من خلال زيارته لمدنها أثناء نفيه ما بين
١٩١٥ — ١٩١٩ م والإشادة بمجد العرب بالأندلس وبما خلفوه من آثار تبهر الناظرين .

(١) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ٤٤ : ٤٥ — مقدمة القصيدة .

(٢) ديوان البحترى — ص ٣٠ .

(٣) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ٤٥ .

(٤) نفس المرجع السابق .

والبحترى يبدأ قصيدته بمقدمة نفسية شبه تقليدية — تلمسك بها القصيدة —
أوضح فيها شعوره بنفسه ، واعتزازه بها ، وترفعه عن كل ما يدنس ، وصموده أمام هزات
الدهر ، وثورته على الزمان وأسفه على رضاه بالاقامة في العراق وتركه الشام وطنه ..
حيث رأى أن يرحل الى مدائن كسرى عساه يجد فيها مايزيل همه . يقول
أتسلى عن الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس^(١)
ذكرتنيهم الخطوب التوالى ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وبذلك يخلص الشاعر الى وصف القصر الذى به ايوان كسرى ، قصوره عالياً علواً
يضعف العين أن تتبين مدى ارتفاعه ، وبين ما كان لأصحابه من سلطان واسع بعيد
المدى يقول البحتري :

وهم خافضون فى ظل عال مشرف ، يحسر العيون ويخسى^(٢)
مغلق بابه على جبل العنبق الى دارتى خلاط وحكس
وهنا يعترف بأن الحضارة الفارسية لا يساويها ما كان للعرب فى صحرائهم من
أطلال دراسة ، ولا يصل إليها ما كان لقبائل العرب من أعمال . يقول :

حلل لم تكن كأطلال سعدى فى قفار من البساس ملس^(٣)
ومساع لولا المحاباة منى لم تطقها مسعاة عنس وعبس
ومن هذا يتبين أن « البحتري وقف على آثار قوم غير قومه ، فأشاد بذكرهم ونوه
بمجدهم ، وليته وقف عند التمدح بحضارة الفرس ، بل أنه نفذ من ذلك الى السخرية من
بداوة العرب وخشونة عيشهم وزثاثة مبانيهم فى شعوبية ذميمة ما كنا لنستغربها من شاعر
مثل اسماعيل بن يسار أو بشار بن برد ، ولكن لا ينطلق بها لسان عربى مثل
البحترى»^(٤) .

أما شوقى فهو يبدأ قصيدته بمقدمة عن الوطن (مصر) فوطنه لم يغيب عن خياله
لأنه بعيد عنه فهو يذكر معالمه وحضارته ويعبر عن حنينه وشوقه لوطنه الحبيب ، ويستهل

(١) ديوان البحتري — ص ١١٥٦ .

(٢) نفس المرجع السابق — ص ١١٥٨ .

(٣) ديوان البحتري — ص ١١٦٠ .

(٤) مقالة بعنوان (الأندلس فى شعر شوقى ونثره) — د . محمود على مكى — مجلة فصول — المجلد الثالث —
العدد الأول أكتوبر ١٩٨٢ .

القصيدة بهذه الحكمة البالغة :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى^(١)

وهذه الحكمة تنبىء عن رجل خبير بطبائع الأمور ، على سنة المتنبي فى التدسس الى طبائع الأشياء ، فالنفس البشرية قد دأبت على النسيان مع قدم العهد وطول الزمن ، وشوقى يطلب الى الناس أو الى نفسه أو صاحبيه على سنة امرئ القيس ، يطلب اليهم أن يذكراه بأيام الصبا الجميل ، لأن الصبا انما يوحى دائماً بأجمل ما فى العمر . وهذه الأيام الجميلة أنفقتها شوقى فى مصر قبل أن يأتى لبلاد الأندلس منفياً من الانجليز المستعمرين ، وشوقى أول من يجتفل بحب مصر فهو يذكراها دائماً . يقول :

وسلا مصر : هل سلا القلب عنها	أو أسا جرحه الزمان المؤسى ^(٢)
كلما مرت الليالى عليه	رق . والعهد فى الليالى تقسى
مستطار إذا البواخر رنت	أول الليل ، أو عوت بعد جرس
...	...
وطنى لو شغلت بالخلد عنه	نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
وهفا بالفؤاد فى سلسبيل	ظماً للسواد من (عين شمس) ^(٥)
...	...
وكأنى أرى الجريرة أيكاً	نغمت طيره بأرخم جرس
هى (بلقيس) فى الخمائل صرح	من عباب وصاحب غير نكس
...	...
وأرى النيل (كالمقيق) بواديه ،	وان كان كوثر المتحسى
وأرى (الجيزة) الحزينة ثكلى	لم تفق بعد من مناحة (رمسى)
وكان الأهرام ميزان فرعو	ن بيوم على الجبابر نحس
و (رهين الرمال) أفطس ، الا	انه صنع جنة غير فطس
تتجلى حقيقة الناس فيه	سبع الخلق فى أسارير انسى

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٥ .

(٢) نفس المرجع السابق - ص ٤٦ .

(٥) عين شمس : منطقة بالقاهرة .

لعب الدهر فى ثراه صبيها واللىالى كواعبا غير عنس
...
حكمت فى القرون (خوفو) و (دارا) وعفت (وائلا) وألوت (بعبس)

يبدأ شوقى مقطوعته بهذا الجناس (وسلا مصر هل سلا القلب عنها) وبهذا الاستفهام الذى خرج عن معناه الى النفى والانكار فيما يقول البلاغيون ؛ كأنما جاء هذا الاستفهام مدخلا الى الوفاء بحق مصر . ومهما يكن من انشغال الشاعر عن وطنه حتى ولو (بالجنة) فحب مصر يملأ عليه قلبه . وهذا مثل يحتذى على الوطنية وحب الوطن . وفى لوحة شوقى هذه نجد معالم الطبيعة المصرية فى بعض أوجائها حيث الجزيرة بأشجارها ونيلها . والجزيرة بجلالها وصمتها وسواقيها ، ونخيلها . والجزيرة بمصر وقد أحاطت بها مياه النيل كأنها (بلقيس) ملكة سبأ لما ذهبت الى سليمان (النبی) عليه السلام ، دخلت عليه صرحا ممردا من قوارير ومن تحته الماء . قال تعالى : « قيل لها ادخلی الصرح فلما رأته حسبته لجه . قال انه صرح ممرد من قوارير » ^(١) .

أما الشبه فهو بعيد ، تشبيه النيل بسليمان صاحب بلقيس (صاحب غير نكس) وتشبيه الجزيرة (ببلقيس) وكما ذكرنا هو تشبيه بعيد ، ولكنه يوحى إلينا بالشبه على غير القياس .

والى جانب الطبيعة المصرية ووصفها نلاحظ معالم التاريخ فى لوحة شوقى حيث الأهرام ، وأبو الهول يشرفان من على منطقة الجزيرة ، يحملان عراقة التاريخ ، وأصالة الماضى التليد ، انها لوحة ناطقة استطاع شوقى فيها مزج الصورة الطبيعية بالصورة التاريخية كما يفعل فى مزاجته بين الدين والتاريخ ، أوليس هو القائل « ان الشعر ابن للتاريخ والطبيعة » .

فالبحترى تذكره الخطوب ، وشوقى ينسيه اختلاف النهار والليل ، وإذا كانت ثورة البحترى على بعده عن وطنه قد وقفت به عند حد اعلانها ، فلم يحدثنا عن هذا الوطن قليلا ولا كثيرا ، فان شوقى يستطرد فى حديثه عن وطنه .

(١) قرآن كريم — سورة النمل (آية ٤٤) .

ويعود البحتري ليقف عند آثار كسرى يستلهمها ، فيصف هذا الايوان الذى وقف
متجلداً أمام الخطوب يعينه على ذلك ماضيه الزاهر المجيد ، ويعزز البحتري اعجابه بسؤال
هل هذا الايوان من صنع الأنس ليسكنه الجن ، ولذلك فهو عال فسيح ، أم هو من صنع
الجن ليقيم فيه الأنس ، ولذلك كان بناء شامخاً ؟!

يقول البحتري :

وكان الايوان من عجب الصنعة	جوب فى جنب أرعن جلس ^(١)
يتظنى من الكأبة ان يبدو	لعينى مصبح أو مسى
مزعجا بالفراق عن انس الف	عز ، أو مرهقا بتطليق عرس
...	...
لم يعبه ان بز من بسط	الديباج واستل من دستور الدمقس
مشمخر تعلوله شرفات	دفعت فى رؤوس رضوى وقدس
...	...
ليس يدرى : أصنع انس لجن	سكنوه ، أم صنع جن لانس

والبحتري يلتبس الدقة فى التصوير فهو عندما وصف صورة معركة دارت بين الفرس
والروم قرب مدينة أنطاكية صورها بريشة الرسام البارع وحتى لون ثوب كسرى وجواده
رسمها بلوحته هذه فى أبيات مضت فى سينيته .

أما شوقى فوقف عند حوادث الزمان يستلهمها ، فهو يرى دولا تقوم وأخرى تسقط ،
فابتدأ حديثه عن الأندلس بعد مقدمته الطويلة عن مصر بمهد بالحديث عن (الأندلس)
عن دولة بنى مروان ، فهناك ملوك ينهضون بالملك ثم لا تلبث شمسهم أن تتوارى ،
ويبدأ بسؤاله على طريقة البحتري عن الممالك إذ يقول :

أين مروان : فى المشارق عرش	أموى وفى المغارب كرسى ^(٢)
سقت شمسهم ، فرد عليها	نورها كل ثاقب الرأى نطس

(١) ديوان البحتري - ص ١١٦٢ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٨ .

فى هذين البيتين يتضح لنا « كيف أدرك الاعياء قوافى شوقى فأدى به الى التكلف والاعتساف ، كما نرى فى المقابلة بين عرش المشارق وكبرى المغارب »^(١) .

وتبدو مهارة البحترى وتقننه فى محاولته نقل الأثر الذى أحس به عندما وقف أمام آثار الفرس فيلجأ الى الخيال ليكمل به الصورة حتى تصبح واضحة ، فهذا الجرماز قد صار مقفراً مهجوراً ، يوحى الى النفس بالوحشة التى تملؤها عند رؤية القبور ، وان فى هذا القصر من العجائب ما يدل على عظمة منشئيه ، ومن ذلك صورة أنطاكية . ويمضى البحترى فى خياله فيرى الملك جالساً بين حاشيته والقصر يموج بمن فيه من فتيات يملأنه بالغناء ، أما اليوم فقد انقضى كل شيء . ولا يخل البحترى بدموعه يذرفها على الرغم من أنه لا صلة له بالقصر ولا بأصحابه ، ولكنه يحفظ لهم اليد التى أسدوها الى قومه . يقول :

فكان الجرماز من عدم الانس	واخلاله بنية رمس ^(٢)
لو تراه علمت ان الليالى	جعلت فيه مأتما بعد عرس
وهو ينبيك من عجائب قوم	لا يشاب البيان فيهم بلبس

...
وكان الوفود ضاحين حسرى	من وقف خلف الزحام وخنس
وكان القيان وسط المقام	صير يرجعن بين حو ولعس

عمرت للسرور دهر فصارت	للتعزى رباعهم والتأسى
فلها ان أعينها بدموع	موقوفات على الصبابة حبس

وشوقى يسير على نهج البحترى ، فهو يصف الأثر فى حاضره ، ويمضى به الخيال الى الماضى فيصف ما كان له من أبهة وجلال . زاد شوقى قرطبة فراعته ما آل اليه أمر تلك العاصمة القديمة ، فقد انتقص الدهر أطرافها ، إذ أصبحت قرية صغيرة بعد أن كانت هى المدينة المتحكمة فى مصير الغرب الاسلامى والمسيحى على السواء أيام عبد الرحمن الناصر . يقول :

(١) مقالة بعنوان (الأندلس فى شعر شوقى ونثره) - د . محمود على مكى - مجلة فصول - المجلد الثالث -

العدد الأول - أكتوبر ١٩٨٢ .

(٢) ديوان البحترى - ص ١١٦٤ .

لم يرعنى سوى ثرى قرطبي لمست فيه عبرة الدهر خمسى^(١)
...
قرية لا تعد فى الأرض ، كانت تمسك الأرض أن تميد وترسى
غشيت ساحل المحيط ، وغطت لجة الروم من شرع وقلس
...
فتجلت لى القصور ومن فيها من العز فى منازل قمس
...
وكأنى بلغت للعلم بيتا فيه ما للعقول من كل درس
قدسا فى البلاد شرقا وغربا حجة القوم من فقيه وقس

وكما تخيل البحتري قصور المدائن وأبهتها ، تخيل شوقى قصور قرطبة ، وقصور
الخلفاء الأمويين ، وما كان فيها من بيوت للعلم التى يرتادها طلابه ، وكما ذكر
البحتري الملك جالسا فى قصره بين الحاشية ذكر شوقى الأمير الناصر لدين الله ، وما
كانت عليه قرطبة فى عصره من ازدهار . ويرسم شوقى صورة الأمير فى موكبه وهو ذاهب
لصلاة الجمعة ويشبهها بصورة الملك عند البحتري . يقول :

وعلى الجمعة الجلالة ، و (النا صر)^(٥) نور الخميس^(٥) تحت الدرفس^(٥) (٢)
ينزل التاج عن مفارق (دون)^(٥) ويحلى به جبين (البرنس)

وكما يعود البحتري الى يقظته فيرى الدار خلاء :

عمرت للسرور دهرا فصارت للتعزى رباعهم والتأسى^(٣)
ويعود شوقى الى يقظته أيضاً على نهج البحتري فيجد الدار ما بها أنيس إذ يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٩ .
(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٩ .
(٥) الناصر : أمير قرطبة الثامن ، أول خليفة أموى بالأندلس ٩٢٩ : ٩٦١ .
(٥) الخميس : الجيش .
(٥) الدرفس : العلم الكبير .
(٥) دون : الشريف .
(٣) ديوان البحتري - ص ١١٧٠ .

مشت الحادثات فى غرف (الحمراء) مشى النعمى فى دار عرس^(١)
هتكت عزة الحجاب ، وفضت سدة الباب من سمير وأنس

وقد خص البحترى جزءاً من سينيته لوصف ايوان كسرى وعظمته ولوحاته الجدارية
إذ يقول :

وأكن الايوان من عجب الصنعة جوب فى جنب أرعن جلس^(٢)

أما شوقى فقد خص المسجد العتيق فى قرطبة بجزء من قصيدته ، ويحدثنا عن
حاضره وقد تحول الى كنيسة ، ولكن هذا لا يثير شوقى بقدر ما يفرحه ، فهو تحول من
محمد (ص) الى أخيه عيسى (عليه السلام) ، وشوقى ينادى بفكرة الأخوة بين محمد
(ص) وعيسى (ع) فى قصيدة معارضة أخرى وهى (نهج البردة) وقد أوردناها فى باب
المدائح النبوية إذ يقول :

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له وأنت أحييت أجيالا من الرمم^(٣)

وشوقى عندما يصف المسجد الجامع يلجأ الى تشبيه هذا المسجد بجبلى ثهلان
وقدس وذلك فى مدى الشموخ والارتفاع إذ يقول :

ورقيق من البيوت عتيق جاوز الألف غير مذموم حرس^(٤)
أثر من (محمد) ، وتراث صار (للروح) ذى الولاء الأمس
بلغ النجم ذروته ، وتناهى بين (ثهلان)^(٥) فى الأساس و (قدس)^(٥)

وكما يتذكر البحترى ماضى ايوان كسرى أثناء وصفه ، يتذكر شوقى المسجد فى
وصفه له ، عندما كانت سواريه تتزين لاستقبال أحد النوايح فى العلم والأدب ، وعندما
كانت تستعد مبهجة لاقامة الصلوات الخمس . يقول :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥١ .

(٢) ديوان البحترى - ص ١١٧١ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٩ : ٥٠ .

(٤) نفس المرجع السابق - ج ٢ - ص ٤٩ : ٥٠ .

(٥) ثهلان : جبل بالمالية .

(٥) قدس : جبل عظيم بنجد .

فترة الدهر قد كست سطريها ما اكتسى الهدب من فتور ونعس^(١)
ويحها ! كم تزينت لعليم واحد الدهر ، واستعدت لخمس

ثم يتحدث شوقي عن المنبر فيذكر ان فصحاء الخطباء يعتلى هذا المنبر من أمثال
منذر بن سعيد قاضي الجماعة في قرطبة على أيام الناصر ، وعن مكان المصنف
العثماني الذي كان أهالي الأندلس يعتزون بوجوده في مسجدهم . يقول :

منبر تحت منذر^(٥) من جلال لم يزل يكتسيه ، أو تحت (قس)^(٢)
ومكان الكتاب يفريك ربا ورده غائباً ، فتدنو للمس
صنعة (الداخل)^(٥) المبارك في الغر ب ، وأل له ميامن شمس

وشوقي حين يتحدث عن غرناطة يخص بذكره قصر الحمراء وهو مقر حكم بني
الأحمر ملوك غرناطة ، فيذكرها من جميع نواحيها وموقعها الذي يشاهده من قمم جبال
(شيرى Sirra) ثم يمضي الى وصف غرف قصر الحمراء والى من سكنوا هذا القصر من
امراء وأميرات ، وقد سبق ان ذكرت عن وصف قصر الحمراء وأعمدة غرناطة بالتفصيل
في موضع آخر من هذا البحث^(٣) .

والبحتري ختم قصيدته بشكر الفرس على ما كانوا قد أسدوه الى قومه في اليمن من
سابق اليد ، إذ يقول :

أيدوا ملكنا وشدوا قواه بكماة تحت السنور حمس^(٤)
وأغانوا على كتائب أريا ط بطعن على النحور ودعس
وأداني من بعد أكلف بالأشراف طراً من كل سنخ واس

أما شوقي فختم قصيدته بشكر الأندلس على ما قدمت من كرم الضيافة له ولابنيه .

يقول شوقي :

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٥٠ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٥) منذر : هو منذر بن سعيد قاضي الجماعة في قرطبة .

(٥) قس : هو قس بن ساعدة الايادي خطيب بالجاهلية كان يعظ الناس في كل سوق عكاظ .

(٥) الداخل : هو عبد الرحيم بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس .

(٣) أنظر ص ٣٠١ من هذا البحث .

(٤) ديوان البحتري - ص ١١٧٢ .

يا ديارا نزلت كالخلد ظلا وجنى دنيا ، وسلسال أنس^(١)

... ..
كسيت أفرخي بظلك ريشا وربا فى رباك واشتد غرسى
هم بنو مصر ، لا الجميل لديهم بمضاع ، ولا الصنيع بمنسى
... ..

حسبتهم هذه الطلول عطات من جديد على الدهور ودرس
وإذا فاتك التفات الى الما ضى فقد غاب عند وجه التأسى

ومما نلاحظ فى سينية شوقى أنه يذكر اسم (البحترى) فيها شأنه فى بعض
معارضاته عندما يذكر أسماء أصحابها ، يقول :

وعظ (البحترى) ايوان (كسرى) وشفتنى القصور من (عبد شمس)^(٢)

مما سبق لاحظنا تأثير شوقى بالبحترى فى الموضوع والأفكار والمعانى ويتجاوز ذلك
الى التأثير بالألفاظ والصياغة ، ولو تأملنا مفردات شوقى فسوف نلاحظ مفردات الشاعر
العباسى البحترى أمامنا ، و قصيدة البحترى كانت ستة وخمسين بيتاً فى حين أن
شوقى أطال قصيدته لتزيد عن المئة بعشرة أبيات ، وهذا مما جعلها متكلفة وقلقة القوافى
والشئ المتعارف عليه هو أن يكون السين هذا الحرف ذا الجوس الهامس يعطى موسيقية
أكثر فى الشعر ، ولكن شوقى بتكلفه هذا قد قضى على هذه الموسيقية .

ولو تتبعنا معظم معارضات شوقى ودرسناها درساً فاحصاً ، وإذا سلم لنا باستخلاص
النتائج يتبين لنا أن شوقى فى معارضاته يعيش التراكيب العربية وأساليبها ، يتمثلها
تمثلاً ، ويحسها إحساساً ، وكثيراً ما تساقطت فى قصائده، بل أن معظم قصائده تعمر
بالمقاطع والجمل والصور الجاهزة التى مات العديد منها . والفرق بين معارضاته وغير
معارضاته من شعره ، ان المثلث يحس بالأنغام الجاهزة الأولى ويتذكرها من طول ألفته
لها / وكان شوقى نفسه يحس رنينها ويحكيه ، وما عدا ذلك فقد كانت ذاكرته تمتلئ
بالوحدات القائمة بذاتها ، وتخترن المواد التى احتفظت بها من جملة القراءات ،

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٥٢ .

(٢) نفس المرجع السابق - ص ٤٨ .

وعندها يبدأ الشاعر ينظم ، فان ذهنه سرعان ما يتحرك ليدرك أدوات معرفته الجاهزة سلفاً ، فاذا ما تم له ذلك عرضها على القلب ثم طرحها على اللسان فتكون خلقاً هي القصيدة الشوقية التي يمكن أن ننسب بعضها الى الشاعر وننسب الجزء الآخر منها الى غيره ممن اقتبس منهم .

ومن مطالع بعض معارضات شوقي نأبى بأمثلة قليلة لمجرد ذكرها :

يقول شوقي من همزيتة النبوية التي يعارض فيها البوصيري في همزيتة :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء ^(١)

ويقول البوصيري في همزيتة التي مدح بها الرسول (ص) :

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء ^(٢)

ويقول شوقي معارضاً الحصري وغرضها النسيب :

مضناك جفاء مرقده وبكاه ورحم عوده ^(٣)

أما الحصري فيقول :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده ^(٤)

ويعارض شوقي ابن زيدون في نونيته بقوله من قصيدة غرضها الرئيسى الحنين للوطن وذلك بعد نفيه للأندلس :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ^(٥)

ويشير شوقي الى ابن زيدون في بيته الى جانب اشاراته له في مطلع القصيدة :

فان بك الجنس يا ابن الطلح فرقنا ان المصائب يجمعن المصابينا ^(٦)

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٤ .

(٢) ديوان البوصيري - ص ٤٩ .

(٣) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٢٢ .

(٤) أبو الحسن الحصري القيرواني - ص ١٤٣ - لمحمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى - تونس ١٩٦٣ م .

(٥) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٠٤ .

(٦) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٠٤ .

أما ابن زيدون فمطلع قصيدته هو :

أضحى الثنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا ^(١)
وقد عارض شوقى أبا تمام بقصيدة من قصائد المدح السياسى التاريخى بمناسبة
انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة حيث يقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب ^(٢)
أما أبو تمام فيقول :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب ^(٣)
ومن معارضات شوقى للمتنبى قصيدة شوقى التى قالها فى السياسة والتاريخ إذ
يقول :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أين تضرب ^(٤)
أما المتنبى فقد قال قصيدته يمدح كافورا :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب ^(٥)
وقد رثى شوقى والدته بقصيدة عارض بها المتنبى وهو يرثى جدته يقول شوقى :
الى الله أشكو من عوادى النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى ^(٦)
أما المتنبى فيقول وهو يرثى جدته :

ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما فما بطشها جهلا ولا كفها حلما ^(٧)
ولشوقى قصيدة فى الفلسفة والتأمل عارض بها قصيدة الشاعر الفيلسوف (ابن
سينا) يقول شوقى :

(١) ديوان اب زيدون - ص ٩ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٥٩ .

(٣) ديوان أبى تمام - ج ١ - ص ٧١ - شرح الخطيب التبريزى .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٢ .

(٥) ديوان المتنبى - ص ٤٦٦ .

(٦) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٤٦ .

(٧) ديوان المتنبى - ص ١٧٤ .

ضمي قناعك يا سعاد أو ارفعي هذي المحاسن ما خلقن لبرقع^(١)

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن شوقي ذكر في قصيدته اسم (ابن سينا) صاحب القصيدة التي عارضها ، يقول :

ذهب (ابن سينا) ، لم يفز بك ساعة وتولت الحكماء ، لم تتمتع^(٢)
أما ابن سينا فيقول في قصيدته :

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع^(٣)
وهناك معارضات أخرى لشعراء آخرين مثل أبي العلاء الحصري والشريف الرضي وأبي نواس وكلها تسير على نفس منهج القصائد التي ذكرناها .

وقد كان لشوقي جولات في تاريخ الأدب العربي ، اتصل من خلالها ببعض الكتب الشهيرة والتي تعتبر من المصادر والمراجع مثل كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني ، هذا الكتاب الغني بعلمه الذي أمد شاعرنا بمعرفة واضحة عن معالم الحياة العربية وميادينها ، وأنماطها ، وعاداتها ، وشعرائها ، فهيأ له الاتصال بمصادر التاريخ الأدبي وبدواوين عدد من الشعراء ومختاراتهم الشعرية ، وهيأ له هذا الاتصال القدرة على رسم جو متكامل من الحياة العربية الجاهلية والأموية بجوانبها الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية والحربية ، وتجلى كل ذلك في مسرحيته (مجنون ليلى) و (عنترة) وكانت هاتان المسرحيتان فتحاً كبيراً في الأدب العربي ، وقد أفاض الباحثون في الحديث عنهما ، من حيث البناء المسرحي ، والحوار ، والتوافق مع أحداث التاريخ ، والأسلوب الفني . وقد أورد شوقي ضيف كلامه عن مسرحيته (مجنون ليلى) قال : « هي أولى هذه المآسي العربية تأليفاً .. والمأساة في جملتها وتفصيلها ترجع الى أساطير عربية عن مجنون ليلى .. لها أصول تاريخية نجدها مبثوثة في كتاب الأغاني »^(٤) ، ثم يقول عن مسرحية (عنترة) : « ومن هذه القصة التي نجدها في

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٦٠ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٦١ .

(٣) (الروح الخالدة : نظرات في عينية الرئيس ابن سينا) - على نصوص الطاهر - الاردن سنة ١٩٦٠ م .

(٤) شاعر العصر الحديث - د . شوقي ضيف - ص ٢٢٧ .

الأغاني وفي كتب الأدب والتي تطورت في صورة شعبية معروفة ، أخذ شوقي الاطار ووضع فيه أربعة فصول لمسرحيته»^(١) .

والملاحظ أن شوقي في معظم اقتباساته سواء في الشعر أو النثر يدخل عليها هذا النفس الاسلامي نتيجة لتأثره بالمصادر الدينية وأهمها القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولشوقي حكايات في ديوانه تتميز بكونها نظمت في فترة محدودة بين سنتي ١٨٩٢ — ١٨٩٣ م كما يقول محمد صبرى السربونى^(٢) ، وقد نظم هذه الحكايات ليجعلها معادلا موضوعياً للأوضاع التي تمر بها البلاد في ذلك الوقت ، فما هي إلا رموز استخدمها شوقي ليبر بها بطريقة غير مباشرة عن الوضع في بلاده وتلتزم الدفاع عن قضايا تعيشها البلاد سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية . وحكايات شوقي تأتي غالباً على شكل أراجيز ، بحر ها الرجز وهى متنوعة القوافي خفيفة سهلة قصيرة المدى ، وتأخذ الصفة التعليمية غالباً، سهلة الحفظ . وتستمد حكايات شوقي روحها من القرآن الكريم كمصدر أساسى ، وكتب الأمثال مثل كتاب (الميدانى)^(٣) ، والحكم العربية ، وحكايات شوقي عليها مسحة اسلامية مباشرة ويعتبر هذا الاستخدام هو استخدام للتراث العربى بعامة .

أما أبطال حكايات شوقي فهم من الحيوانات بصفة عامة ، كالأسد ورمز به للقوة ، والذئب رمز الدهاء والتسلط ، والكلب رمز الأمانة والوفاء ، والثعلب رمز المراوغة ، والحمار وهو الغبى المستكين ، وكذلك استخدم من الطيور الهدد والحمامة والطاووس ، والقبرة ، واليمامة ، والبيغا ، وغيرها مما ورد في شعره^(٤) .

ولأعلام التاريخ الدينى من الأنبياء نصيب فى حكايات شوقي فالنبي سليمان والنبي نوح (عليهما السلام) كان لهما سلطان كبير على عالم الحيوان كما ورد ذلك فى القرآن الكريم . واستعمل شوقي ذلك المصدر القرآنى فصور هذه الأحداث — دون التقيد بالوقائع — بأسلوب رمزى ليحمله معادلا موضوعياً للأحداث التى تجرى فى البلاد ، وفى

(١) نفس المصدر السابق — ص ٢٤٢ .

(٢) الشوقيات المجهولة — ج ١ — ص ٢٢ .

(٣) مجمع الأمثال : الميدانى .

(٤) ورد فى مواضع أخرى من شعر شوقي استخدامه لبعض الموروث الاسطورى كذكره (لبد) وهو نسر لقمان بن عادىاء ورمز به للدهر ، وقد مر ذكر ذلك .

بعض الأحيان لم يتقيد شوقي بجنس الحيوانات التي تذكر مع النبي وإنما يأخذ هذه الروح القرآنية التي طبعتها ليرز بعض عناصرها مستفيداً منها في حكاياته .

وقصة النبي نوح ترتبط في الأذهان بقوة بحادثة الطوفان كما وردت في القرآن الكريم من حيث هي رمز للكارثة التي تحل بالإنسان فتحمله على السعى ليستطيع العيش هو والأقوياء والضعفاء على حد سواء في عالم الإخاء والسلام ، أما السفينة فهي الملجأ الأمين والرمز لعالم مثالي وقتي . وفي هذا امتحان لمدى صبر الإنسان ، يقول شوقي :
لما أتم نوح السفينة وحركتها القدرة المعينة (١)
جرى بها ما لا جرى ببالي فما تعالى الموج كالجبال
حتى مشى الليث مع الحمار وأخذ القط بأيدي الفار
... ..

فذهبت سوابق الأحقاد وظهر الأحاباب في الأعادي
وقد ورد ذكر الحمار في مواضع متفرقة في القرآن الكريم ، فهو موصوف بالجهل في قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ، ولم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » (٢) . وهذا مما جعل شوقي يصفه بالسلبية .

وقد ورد في القرآن الكريم تشبيه الموج بالجبال ، قال تعالى : « وهي تجري بهم في موج كالجبال » (٣) .

ويكمل شوقي باقي الحكاية بقوله :
حتى إذا حطوا بسفح الجودي وأيقنوا بعودة الوجود (٤)
عادوا الى ما تقتضيه الشيمه ورجعوا للحالة القديمة
فقس على ذلك أحوال البشر ان شمل المحذور ، أو عم الخطر
بيننا ترى العالم في جهاد إذ كلهم على الزمان العادي

أتى بهذه الأبيات ليوضح ان النفس البشرية طباعها لا تتغير، فمهما واجهت النفس البشرية من الأخطار فهي لا تخضع الا عاجزة، أما إذا استعادت قوتها فهي في موقف

(١) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ١٥٩ .

(٢) قرآن كريم - سورة الجمعة (آية ٥٠) .

(٣) قرآن كريم - سورة هود (آية ٤٢) .

(٤) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ١٥٩ .

المتسلط الذى لا يرتهب من أى أمر عظيم ، وهذا هو سبب التطاحن والحروب المؤدية للفناء . وشوقى أراد بذلك الحكمة والموعظة للناس وحفظ الأخلاق الفاضلة والتحلى بها فأتى بحكاياته الرمزية ليقابل بها النماذج البشرية فى عصره .

أما حكايات شوقى والتي ورد فيها ذكر النبى (سليمان) عليه السلام مع الهدد ومع الطاووس والحمامة ، فقد استخدمها شوقى لابرز عناصرها كرمز لما يريد التعبير عنه بغض النظر عن هذه الوقائع ، والنبى سليمان سخر الله له عالم الحيوان وخاصة الطير ، فسليمان وحده يفهم لغة الحيوان والطيور كلها ، يقول شوقى :

وقف الهدد فى با	ب سليمان بذله ^(١)
قال : با مولاي ، كن لى	عيشتى صارت مملة
مت من حبة بر	أحدثت فى الصدر غلة
لا مياه النيل ترويهها ،	ولا أمواه دجله
وإذا دامت قليلا	قتلتنى شر قتله

ويدخل شوقى الحكمة فى شعره لتقوية نسيجها الشعرى وليستخدمها للوعظ المباشر أو يستخدمها ليختم بها حكاياته وهو القائل :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة ، فهو تقطيع وأوزان^(٢)

والحكمة عند شعراء الإحياء أصل الشعر ومصدر قيمته ، ولقد آمن هؤلاء الشعراء أن الحكمة تصل بهم الى مرتبة الشعراء الأسلاف الكبار من أمثال أبى تمام والمتنبى وأبى العلاء، وآمنوا بالدور الذى يلعبه شعر الحكمة فى حياة الأفراد ، إذ أن الحكمة تمثل جانباً هاماً من التراث الثقافى فى كل أمة . فهى تنطق بتجارب الانسان وتعكس قيم المجتمع فى أوجز لفظ وأبلغ معنى . ومن خصائصها أن ترد على لسان الكبير كثيراً من قبيل أن التجارب تثبت بطول الزمن ، لكن السماع قد يجعل الصغير يرددها أيضاً . ولم يخل طور من أطوار الأدب العربى من حكيم . ولم تكن الحكمة عند العرب أخص بالشعر منها بالثر أو العكس . أما جذور الحكمة فتتنمى الى مصدرها الأول القرآن الكريم وقد خص بها الله

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ١٥٣ .

(٢) نفس المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٠٣ .

تعالى أبو الحكماء لقمان ، قال تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » ^(١) ولقد اتخذ شوقي القرآن الكريم ينبوعاً يستقى منه مادته الحكمية . والحكمة فى الشوقيات من أبرز مظاهر التعبير ، إذ هى تعبر عن حقائق خالدة صالحة لكل زمان ومكان . وتأتى الحكمة عند شوقي فى بعض المواقف مرتبطة ارتباطاً كبيراً بحدود معانى السياق ولا نستطيع تمييزها عن باقى الكلام ، وفى مواقف أخرى تأتى منفصلة وبارزة نستطيع تمييزها .

وقد وردت الحكمة عند شوقي فى حكاياته على ألسنة بعض أبطالها فكانت منصهرة فيها ومتولدة فيها تولداً طبيعياً ، مثل قوله :

اياك ان تغتر بالزهاد كم تحت ثوب الزهد من صياد ^(٢)

اتخذ من هذه العصفورة المتهورة التى وقعت فى شرك الصياد رمزاً ليحذر به الناس من المدعين بالزهد وهم يريدون شراً .

ولحكاية (الثعلب والديك) عند شوقي مغزى دلالى يريد به شوقي توظيف هذه الحكاية ليضرب للناس مثلاً لنماذج الانسان المراوغ المحتال والانسان المسالم ، يقول :

برز الثعلب يوماً فى شعار الواعظينا ^(٣)

...	...
ويقول : الحمد لله	الى العالمينا
يا عباد الله توبوا	فهو كهف التائبينا
...	...
واطلبوا الديك يؤذن	لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسول	من أمام الناسكينا
...	...
فأجاب الديك : غدراً	يا أضل المهتديننا !
...	...
أنهم قالوا وخير	القول قول العارفيننا
« مخطيء من ظن يوماً	أن للثعلب ديننا »

(١) قرآن كريم - سورة لقمان (آية ١٢) .

(٢) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ١٢٥ .

(٣) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ١٥٠ .

أورد هذه الحكاية واستعار لها هذه الألفاظ الدينية والقرآنية « الحمد لله ، عباد الله ، يؤذن للصلاة ، التائبينا ، الزاهدين ، المهتدين ... » ثم ختمها بالحكمة « مخطيء من ظن يوماً أن للثعلب ديناً »

وشوقى يأتى لنا بصورة الثعلب المراوغ ثم صورة الديك الحذر ، ليحذر الناس من أن القوى يأكل الضعيف فى كل زمان ومكان ، فالحذر واجب فى كل المواقف ، وبهذه الحكاية الرمزية استطاع شوقى أن يستوعب مختلف جوانب المعنى المطروق والمراد التعبير عنه .

ويضرب شوقى مثلاً لصورة الظالم الذى أخذ أموال الناس بالباطل مستخدماً حكاية الهدهد كرمز لذلك وخاتماً الحكاية بحكمة كما يفعل فى معظم حكاياته الأخرى ، يقول على لسان النبى (سليمان) عليه السلام وهو يدين الهدهد المشتكى من حبة ابتلعها :

ما أرى الحبة إلا سرقت من بيت نملة ^(١)
أن للظالم صدراً يشتكى من غير علم !

وقد استطاع شوقى أن يخرج حكاياته اخراجاً مسرحياً حيث أقامها على حوار لا يخلو من خفة وحيوية ليجعلها أكثر تأثيراً فى النفس لقربها من القارئ .

والحكمة طبعت شعر شوقى بطابع مميز خاص ، فهو لم يحى سنة فحسب وإنما توغل فى الاتجاه بشكل برهن به عن أصالة باللغة الأثر . فلم تكن حكمه مخالفة فى اتجاهاتها لتعاليم الاسلام ، ولا لوجهة الأخلاق العربية ، إنما كان دورها تصوير مفارقات مستمدة من الحياة ، لاسيما ما يكشف منها عن نواحي الضعف الإنسانى وهى تتكشف للأبصار ، فهى تدور حول النفاق الذى ينكشف عند امتحان ، وشر يتغلب على الخير ، وغرور يقود الى الخسران ، وموهبة لا يحسن صاحبها استعمالها ، وتملق منافق ، وفضول طماع ، ومهمل للنصيحة ، وكذاب ومتسرع وزاهد ومندفع ، يلاقون نتائج أعمالهم ، وجزاء الوفاء وعيوب الحسد والتعامى عن فضل الغير .

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ١٥٣ .

ولعالم الحكمة وعالم الحيوان جذورهما القديمة إذ أنهما لم يأتيا من فراغ ، وذكر ذلك د . ابراهيم عبدالرحمن إذ يقول : « ويلعب عالم الحيوان فى صياغة الأمثال العربية فى العصر الجاهلى دوراً بارزاً ، وهو عالم غريب تنزل فيه الحيوانات فى هذا القصص الذى يرتبط بهذه الأمثال منازل العقلاء من أبناء البشر ، وتؤدى لذلك أدواراً غريبة تشبه ما يؤديه أذكى الناس وأبعدهم دهاء فى الحياة الانسانية» ^(١) .

ولابد لهذه العوالم من جذور قيمة « فمثل هذا القصص مأخوذ من أصول هندية ويونانية ، كانت تخلق من عالم الحيوان عالماً قائماً بذاته ، تصور فيه الحيوانات فى صورة البشر ، فيها الحكيم وفيها الأحمق ، وفيها المخاتل ، وفيها العاقل ، وهى قصص كانت تتخذ ، على نحو ما جاء فى كليله ودمنة ، سيلا الى الرمز الى أمور لايراد الافصاح عنها ، كما أخذ يظهر فيما بعد فى كتاب اخوان الصفا» ^(٢) . وذكر الدكتور ابراهيم « ان موضوع القصص وجذوره قد تناوله بعض الدارسين ^(٣) ومنهم د . وديعة طه نجم» ^(٤)

والحكمة لها جذورها القديمة « إذ كثر ذكر لقمان ، الذى يتخذه الجاهليون مثالا على الحكمة فى أمثال الجاهليين ، وهم ينسبون إليه ما لم يعرف قائله من الأمثال . ولقمان هذا غير لقمان الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ، فأحدهما فيما يزعم بعض العلماء لقمان الحكيم ، والآخر لقمان عاد ، وقد كان لكل منهم أمثال وحكم » ^(٥)

ونلاحظ أن طابع الذاتية والقومية يطفى على بعض حكايات شوقى الشعرية ، أما آثار التراث الى جانب القرآن الكريم والحكم فيبدو فى كتاب (كليله ودمنة) ^(٦) ، وهذا يفند رأى القائل ان شوقى قد تأثر بحكايات (لافونتين) فقط . والذى نراه ان لافونتين نفسه غير برىء من تأثره ب (كليله ودمنة) ، ذلك لأنها ترجمت عنها كليله ودمنة الى معظم اللغات الأوروبية الحديثة الحية ، إذ ترجمت عن النسخة التركية الى الفرنسية عام ١٧٢٤ م .

(١) الشعر الجاهلى قضاياها الفنية والموضوعية — د . ابراهيم عبد الرحمن محمد ص ٤٦ — مكتبة الشباب — المنيرة — سنة ١٩٧٩ م .

(٢) نفس المصدر السابق — ص ٤٦ : ٤٧ .

(٣) القصص والقصص فى الأدب الاسلامى — د . وديعة طه نجم .

(٤) الشعر الجاهلى قضاياها الفنية والموضوعية — ص ٤٦ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ٤٧ : ٤٨ .

(٦) كليله ودمنة — عبد الله بن المقفع — تحقيق عبد الوهاب عزام — دار المعارف سنة ١٩٤١ م .

وفن شوقي صورة قومية مصرية لواقع معاصر فيه مجال مستمد من البلاط وشخصياته وأنماطه ، كشخصية المتملق ، ومجال للتقصص الأخلاقي وفيها آثار موهبة فردية يسندها هذا المورد الأدبي الذي ذكرناه .



الفصل الخامس . أثر الثقافة القرآنية والدينية

- تضمين آيات القرآن الكريم .
- التأثر بالقصص القرآنى
- صور دينية .
- المعجم الشعرى .

تضمين آيات القرآن الكريم :

لعل أهم التأثيرات الإسلامية التي تصادفنا في شعر شوقي هو ما اقتبسه من آيات القرآن الكريم . فمثل هذه التأثيرات تعد صلة مباشرة بالمصدر الأول الذي استوعبه المسلمون وتأثروا به شعراء وغير شعراء . وقد أصبحت آيات القرآن الكريم مصدراً أساسياً نهل منه شوقي من باب الاستشهاد على المواقف التي يصفها في شعره .

ولقد كان شوقي في حاجة الى تدعيم اتجاهاته من خلال النص المقدس فاتخذ منه مجالا خصباً للاقتباس المباشر وغير المباشر لأداء تلك الوظيفة الجديدة في الاقتناع وفي مدح العثمانيين ، وأكثر ما كان هذا التأثير ظهوراً في قصائده الموجهة الى البلاط العثماني ، وقد حرص شوقي من جانبه أن يثبت للناس الذين وجهوا إليه الاتهام بأنه ليس على حظ من الثقافة الدينية أقل من غيره من الشعراء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد حرص على أن يثبت قدراته الفنية على استغلال هذا العنصر الإسلامي في صميم فن الشعر . ولذلك تكثر الشواهد التي يمكن أن نلتبس فيها تلك التأثيرات عنده .

ويسيطر هذا الحس الديني بصورة واضحة على خيال شوقي فنراه يندفع في تصويره عندما شاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من ألمانيا، وكان في الأستانة، وعز عليه أن يرى المسلمين في أقطار الأرض قاعدين عن اعانة أسطول الدولة . يقول من خلال خطابه للخليفة (محمد رشاد) :

هز السواء بعزك الاسلام وعنت لقائم سيفك الأيام ^(١)
...
بالله قد دان الجميع وشأنهم بالله ثم بعرشك ، استعصام
فهو يستوحى المعنى والصورة من الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ^(٢) .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٢٦ : ٢٢٧ .

(٢) قرآن كريم - سورة آل عمران - آية ١٠٣ .

وينادى شوقي بضمان الكرامة والعدل وهو النظام الذى اختاره الله لعباده ، ويأمل شوقي ذلك فى الخلافة العثمانية ويرجو لها الدوام فى ظل السلطان غير المحدود . وبنفس اقتباس المعنى من القرآن الكريم يردد شوقي :

انى أرى الشورى التى اعتصموا بها هى حبل ربك أو زمام نبيك ^(١)

فى البيت السابق استعارة وهى تشبه قول الشاعر أبى تمام :

وكذاك عتاب بن سعد أصبحوا وهم زمام زماننا المتقلب ^(٢)

(فزمام زماننا) استعارة أيضاً ، استعارة الزمام للزمان وهو المقود وقد اعتبر الزمان كالدابة الجامعة بحاجة الى زمام .

ومرة أخرى يستغل هذا العنصر الدينى وهو يستصرخ السلطان العثمانى عبد الحميد من ظلم شريف مكة وأعوانه عندما أنزل الأذى بالحجاج، ويسجل للخلافة قداسها بقوله (خليفة الله) ويصور الجانب الإلهى مستغلاً تأثيره بمعنى آيات القرآن الكريم يقول :

ضج الحجيج ، وضج البيت والحرم واستصرخت ربها فى مكة الأمم ^(٣)
قد مسها فى حماك الضر ، فاقضى لها خليفة الله ، أنت السيد الحكيم

فهو يقتبس ذلك من معنى الآية الكريمة : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه » ^(٤) .

ومع إيمانه بقداسة الخلافة ومدى شرعيتها الإلهية لكنه فى ملحمته (كبار الحوادث فى وادى النيل) يقر مبدأ البقاء لله وحده وبأن كل شئ زائل يقول :

سنة الله فى الممالك من قبل ومن بعد ، ما لنعمى بقاء ^(٥)

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٦٨ .
(٢) ديوان أبو تمام - ج ١ - ص ١٠٣ .
(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢١١ .
(٤) قرآن كريم - سورة الزمر - آية ٣٩ .
(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٩ .

فهو يقتبس البيت من الآية الكريمة : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »^(١) ، وأحياناً يبدو التأثير غير مباشر. ففي قصيدته (الهلال الأحمر)^(٢) التي قالها بمناسبة الليلة التي أحيتها جماعة الهلال الأحمر المصرية لجمع التبرعات لاعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى ضد الايطاليين الغزاة ، وكأنه يقرر فى هذه القصيدة اقتباسه من القرآن الكريم فى بعض أبياتها واستلهامه لآياته فى شعره فهى جزء من ثقافته وفكره إذ يقول :

يا قوم عثمان — والدنيا مداولة — تعاونوا بينكم يا قوم عثمان
وقد اقتبس شوقى ذلك من معنى الآية الكريمة : « وتلك الأيام نداولها بين الناس »^(٣) .

ومن هذه الصور القرآنية يتردد فى شعره ذكر (الصراط) فهو عندما يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه الى الاستانة قادماً من أوروبا ، يقول :

وكأنما طوفان نوح ما نرى والفلك قد مسخت حثيث قطار^(٤)
يجرى على مثل الصراط ، وتارة ما بين هاوية وجرف هارى
وواضح أنه يستلهم ما ورد فى (فاتحة الكتاب) كما هو واضح انه يستوحى المشهد الذى رسمته الآية الكريمة : « على شفا جرف هار فانهار به فى جهنم »^(٥) . وقد ذكر طوفان نوح وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم كما سيلي ذكر ذلك فى فصل قادم . ويردد شوقى ذكر (الصراط) فى قصيدته (جسر البسفور) التى اهتم بها السلطان عبدالحميد نتيجة لاجابه بها يقول :

أمير المؤمنين ، رأيت جسرا أمر على الصراط ، ولا عليه^(٦)

(١) قرآن كريم — سورة الفتح — آية ٢٣ .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٤٥ .

(٣) قرآن كريم — سورة آل عمران — آية ١٤ .

(٤) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ٣٨ .

(٥) قرآن كريم — سورة التوبة — آية ١٠٩ .

(٦) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ١١٠ .

له خشب يجوع السوس فيه وتمضى الفأر لا تأوى إليه
ويقول وهو يصف جيوش الترك :

جبال (ملونا) ، لا تخورى وتجزعى إذا مال رأس ، أو تضعض منكب^(١)
فما كنت الا السيف والنار مركبا وما كان يستعصى على الترك مركب
فكان صراط الحشر ، ما ثم ريبة وكانوا فريق الله ، ما ثم مذنب

ويقول شوقى مشبهاً السلطان عبدالحميد بالوابل ، فالمنهل فالصيب ، وهو وصف
انسان بكثير من عناصر الطبيعة الجامدة أو الجمع بين عنصرى الطبيعة الجامد والمتحرك ،
وهو هنا وصف رجلا ممدوحاً بقوته المادية مقتبساً ذلك من القرآن الكريم :

وان أمير المؤمنين لوابل من الغوث ، منهل على الخلق ، صيب^(٢)
رأى الفتنة الكبرى ، فوالى انهماكه فبادت ، وكانت جمرة تتلهب

وقد استوحى الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى : « أو كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق »^(٣) ، ومن قوله تعالى : « فان لم يصبها وابل فطل »^(٤) .

وهكذا يصبح المصدر القرأنى ينبوعاً ثراً يستمد منه شوقى ألفاظه وصوره ومعانيه فى
جميع أغراضه؛ بل تصبح المصادر الاسلامية المختلفة مثل الحديث والتاريخ لها دور بارز
عنده كما ورد ذلك قبلا : وركز صوره فى بعض الأحيان حول المعانى الدينية التى لها
علاقة بعالم الغيب مثل تصوير الجنة والنار والبعث ، وبأن النور مصدر الضياء فى الدنيا
والآخرة لأنه حقيقة دينية روحية ، وقد ورد مشهد الجنة عند شوقى كثيراً فى المدح والرثاء
والوصف وتعتبر عنده من عالم الغيبيات يقول فى رثاء (عمر لطفى) العالم القانونى
المحب لبلاده والغيور على قوميته :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٩ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٧ .

(٣) قرآن كريم - سورة البقرة - آية ١٩ .

(٤) قرآن كريم - سورة البقرة - آية ٢٦٥ .

قفوا بالقبور نسائل عمر
 متى كانت الأرض مثوى القمر ؟^(١)
 سلوا الأرض : هل زينت للعليم ؟
 وهل قام (رضوان) من خلفها
 فلو علم الجمع ممن مضى
 تنحى له الجمع حتى عبر
 الى جنة خلقت للكريم
 ومن عرف الله ، أو من قدر

استخدم شوقي صورة تفيض هدوءاً وأمناً بعيدة عن مخاوف الحياة ومتاعبها ، فالجنة خلقت للكريم وهذا مستوحى من قوله تعالى : « وازلفت الجنة للمتقين »^(٢) ، وقوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة »^(٣) .

وقد أورد شوقي اسم (رضوان) باستخدام اللفظ للدلالة على الملك حارس الجنة ، إذ أن (رضوان) وهو الملاك لم يرد في القرآن الكريم بالاسم ، وإنما في حديث الرسول والتفاسير ولكنه ذكر في القرآن من الرضا ، قال تعالى : « خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله »^(٤) .

ومن مشاهد الجنة لديه تشبيه دمشق بجنات (النعيم) وجنات الفردوس ، يقول :

ودمشق جنات النعيم ، وإنما
 ألفيت سدة عدنهن رباك^(٥)
 قسما لو أنتم الجداول والربا
 لتهلل الفردوس ، ثم نماك
 ومن تشبيهات شوقي بعض المدن بالجنة مثل دمشق كما ورد ذلك و (الاستانة)
 وغيرهما ، لكنه يعتمد في بعض تشبيهاته لذكر أوصاف الجنة المذكورة في القرآن الكريم دون أن يذكر لفظ الجنة يقول :

وتحت جناتك الأزهار تجري وملء رباك أوراق وورق^(٦)

(١) ديوان شوقي - ج ٣ - ص ٨٣ .

(٢) قرآن كريم - سورة الشعراء - آية ٩٠ .

(٣) قرآن كريم - سورة الشعراء - آية ٨٢ .

(٤) قرآن كريم - سورة آل عمران - آية ١٥ .

(٥) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٨٠ .

(٦) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٧٤ .

ويعمد شوقي مرة أخرى الى أنه يتذكر لبن الجنان وخمرها عندما يرى ماء
(زحلة) فى لبنان وهو يجرى، والمعروف عن زحلة أنها مدينة سياحية جميلة فى لبنان ،
يقول :

فكرت فى لبن الجنان وخمرها لما رأيت الماء من طلاك^(١)
فقد استوحى ذلك من معنى الآيات الكريمة من قوله تعالى « وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه »^(٢) ، وقوله تعالى « وأنهار من خمر لذة للشاربين »^(٣) .

وفى رثاء (لأم المحسنين) والدة سمو الخديوى عباس باشا الثانى التى توفيت
بالأستانة سنة ١٩٣١ م ، يشير شوقي الى أن الجنة مأوى الصابرين بقوله :

(العفيفى) عفاف وهدى (كالبقيع) الطهر ضم الطاهرين^(٤)
ادخلى الجنة من روضته ان فيها غرفة للصابرين
واستوحى ذلك من قوله تعالى : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية
وسلاماً »^(٥) .

ويشير شوقي الى (الحشر) فى معرض حديثه عن الخلافة يقول :

أما الخلافة فهى حائط بيتكم حتى يبين الحشر عن أهواله^(٦)
ويشبه شوقي الليل بالحشر فى قوله :

وليل كأن الحشر مطلع فجره تراءت دموعى فيه سابقة الفجر^(٧)

وترددت الصور المضيئة النيرة عند شوقي كثيراً وقد استوحاها من القرآن الكريم
واتخذها مصدراً لموصوفاته، إذ هى تدل على حقيقة روحية دينية وأخرى أخلاقية إنسانية إذ

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٨٠ .
(٢) قرآن كريم - سورة محمد - آية ١٥ .
(٣) قرآن كريم - سورة محمد - آية ١٥ .
(٤) ديوان شوقي - ج ٣ - ص ١٦٥ .
(٥) قرآن كريم - سورة الفرقان - آية ٧٥ .
(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧٠ .
(٧) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ١٢٦ .

أن هذه الحقائق تجتمع فى سجل القيم الالهية السامية والانسانية الخالدة ، فالنور هو الذكر والسنة يقول :

بايمانهم نودان : ذكر وسنة فما بالهم فى حالك الظلمات ^(١)

فالذكر والسنة وردتا فى القرآن الكريم ، قال تعالى : « ذلك نتلوهُ عليك من الآيات والذكر الحكيم » ^(٢) ، وقال تعالى : « سنة الله التى قد خلت من قبل » ^(٣) .

ومن الصور التى تدل على الحقيقة الروحية السامية أى الفرقان وقد أرسلها الله ضياء يهدى به من يشاء وما هى الا سبيل سعادة الانسان ، قال شوقى :

تلك أى القران ، أرسلها الله ضياء يهدى به من يشاء ^(٤)

استوحى شوقى قوله هذا مما جاء فى قوله تعالى : « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ^(٥) .

وليس من شك فى أن القرآن الكريم كان مداده الأساسى فى تصور النور بهذه المعانى واخراجه فى هذه الصور ، ولئن كانت الصور قرآنية معروفة فانها ترجمت عن روح شوقى الاسلامية وثقافته الدينية .

والنور فى باب القيم الانسانية ، هو العلم والمعرفة كما يتضح عند شوقى هنا فى تحليل دور جامع الأزهر :

ومشى على يبس المشارق نوره وأضواء أبيض لجها والأحمرا ^(٦)

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٨ .
(٢) قرآن كريم - سورة آل عمران - آية ٥٨ .
(٣) قرآن كريم - سورة الفتح - آية ٢٣ .
(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٠ .
(٥) قرآن كريم - سورة البقرة - آية ١٨٥ .
(٦) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٥١ .

والضياء والنور لدى شوقي أى (المسيح) عليه السلام ، فكما صور النور أى الفرقان قبل ذلك فهو هنا أى المسيح :

يقول شوقي :

وسرت آية المسيح ، كما يسرى من الفجر فى الوجود الضياء ^(١)

ويبقى بعد ذلك نور الإله وهو نور يضيئ للعالم أجمع وليس فوقه نور ، إذ يقول شوقي فى مهرجان (الهلال الأحمر) :

وتكاد من نور الإله حياله تبيض أثناء (الهلال الأحمر) ^(٢)

قال تعالى : « الله نور السموات والأرض » ^(٣) .

وقد اعتبر شوقي البياض رمز الطهر ، قال تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود أخرى » ^(٤) .

أما صور الظلماء ، الظلمات فوردت كخلفية لصور النيرة ولكنها أقل منها ، واستعملها فى بعض تشبيهاته فشبه الأمواج بالظلماء بعد أن استعار لها صورة الجبال :

وجبالاً موائجاً فى جبال تتدجى كأنها الظلماء ^(٥)

وكثيراً ما صور الشاعر العلم بالنور والجهل بالظلمات كما فى قوله :

أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلاً ^(٦)

(١) (١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧١ .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٥٠ .

(٣) قرآن كريم - سورة النور - آية ٣٥ .

(٤) قرآن كريم - سورة آل عمران - آية ١٠٦ .

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧ .

(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٨٠ .

وبعيداً عن هذه الجوانب الغيبية نرى فى غير قليل من أبياته تأثيراً مباشراً أحياناً وغير مباشر أحياناً أخرى ، بآيات القرآن الكريم. وفي بعض الأحيان يكون اقتباسه من القرآن بالجملة مثل قوله فى ذكر تمثال نهضة مصر :

وثابوا فجـن جنون الريح وذلـزت الأرض ذلـزالها (١)
قال تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها » (٢) .

وقال فى رثاء (الأميرة) فاطمة اسماعيل وكان لها الفضل الأول فى تأسيس الجامعة المصرية وقد توفاهـا الله سنة ١٩٢٠ م : « وأنه من يعمل الخير أو الشر يره » (٣)

قال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٤)

وحين وجه الشاعر رسالته الى الناشئة أتى بكل النصيح والحكم وحمد الله على ذلك
قال :

قل إذا خاطبت غير المسلمين : لكمو دين رضيتم ولى دين (٥)
قال تعالى : « لكم دينكم ولى دين » (٦) .

وخطب غليوم عاهل المانيا خطبة فى سنة ١٩٠٦ م ، كان لها وقع عظيم وأحدثت أزمة كادت أن تنتهى الى حرب أوروبية طاحنة ، وقد استشارت هذه الخطبة شاعرية شوقى ليردد بنفس قرأنى مقتبس بالجملة ليقوى كلامه :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٨٤ .
(٢) قرآن كريم - سورة الزلزلة - آية ١ .
(٣) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ٨٨ .
(٤) قرآن كريم - سورة الزلزلة - آية ٧ ، ٨ .
(٥) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٤٠ .
(٦) قرآن كريم - سورة الكافرون - آية ٦ .

- جنى علينا عصابة جازفوا فحسبنا الله ، ونعم الوكيل ! ^(١)
- قال تعالى : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ^(٢)
- ومن اقتباساته يقول فى وصف آيات القرآن الكريم :
- تلك آى الفرقان ، أرسلها الله ضياء يهدى به من يشاء ^(٣)
- قال تعالى : « ذلك هدى الله يهدى به من يشاء » ^(٤) .
- ومن اقتباساته أيضاً قوله :
- سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى ^(٥)
- قال تعالى : « الذى علم بالقلم » ^(٦)
- وفى موضع آخر أسند أحمد شوقى الفعل لغير الله تعالى عندما كتب قصيدته يهنئ لطفى باشا السيد بترجمته كتاب ارسططاليس :
- علمت بالقلم الحكيم وهديت بالنجم الكريم ^(٧)
- ومن اقتباسات شوقى الجزئية من القرآن الكريم قوله فى وصف الخمرة :
- انها رجس فطوى لامرء كف وتابا ^(٨)
- قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ^(٩)

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٤٨ .
 (٢) قرآن كريم - سورة آل عمران - آية ١٧٣ .
 (٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٠ .
 (٤) قرآن كريم - سورة الزمر - آية ٢٣ .
 (٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨٠ .
 (٦) قرآن كريم - سورة العلق - آية ٤ .
 (٧) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١٨ .
 (٨) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩١ .
 (٩) قرآن كريم - سورة المائدة - آية ٩٠ .

ونلاحظ أن شوقي يقف فى أبيات من شعره موقف الواعظ وتكاد تلك الأبيات تكون ترجمة لمعانى بعض آيات القرآن الكريم الى الشعر مثل قوله :

وأن البر خير فى حياة وأبقى بعد صاحبه ثواباً^(١)
فهو فى معنى قوله تعالى : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً »^(٢) .

وقوله :

أراد الله بالفقراء برا وبالأيتام حبا وارتباباً^(٣) (٥)
... ..

وأرسل عائلاً منكم يتيماً دنا من ذى الجلال فكان قاباً
فهو معنى آيات كثيرة « ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر »^(٤) .

ويعمد شوقي الى تضمين أسماء سور القرآن الكريم حينما تناول السيرة النبوية للرسول (ص) مثل قوله :

يصعد مثل (النجم) فيها موفياً^(٥) وينزل (الكهف) بها مستخفياً^(٥) (٥)
عالج فى (المعارج) (الاسراء) ويدل (الطور) ارتقى حراء
ويصور شوقي أسماء أبطال شهداء سوريا فى ذكرى استقلالها وكأنها « الحواميم » إشارة الى السور القرآنية السبع التى تبدأ بالأحرف (حم) يقول :

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٦٩ .
(٢) قرآن كريم - سورة المزمل - آية ٢٠ .
(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٧٠ : ٧١ .
(٤) ارتب الصبى ارتباباً : رباه حتى أدرك .
(٥) قرآن كريم - سورة الضحى - آية ٩ .
(٥) دول العرب وعظماء الاسلام ص ٢٥ : ٢٦ .
(٥) موافياً : مشرفاً
(٥) مخفياً : كضوء النجم فى الكهف لا يراه من فى الخارج .

كان أسامي الأبطال فيه حواميم على رق تتالى^(١)
ويسلك شوقى سبيل الاستجابة للصوت الدينى الكامن فى أعماقه ليظهر هذا التأثير
المتعدد فى كثير من شعره-ويتعدى الأبيات القليلة ليرسم صوراً فنية مستوحاة من القرآن
الكريم ومعانيه، على نحو ما نرى فى تهنئة الترك ومصطفى كمال أتاتورك حين انتصر
انتصاراً حاسماً على اليونان سنة ١٩٢٢ م فصور ابتهاج العالمين العربى والاسلامى :

تلمس الترك أسبابا ، فما وجدوا	كالسيف من سلم للعز ، أوسبب ^(٢)
خاضوا العوان ^(٣) رجاء أن تبلغهم	عبر النجاة ، فكانت صخرة العطب
سفينة الله لم تقهر على دسر	فى العاصفات ، ولم تغلب على خشب
قد أمن الله مجراها ، وأبدلها	بحسن عاقبة من سوء منقلب
واختار ربانها من أهلها ، فنجت	من كيد حام ، ومن تضليل منتدب
ما كان ماء (سقاريا) سوى سقر	طففت ، فأغرقت الإغريق ^(٤) فى اللهب
لما انبرت نارها تبغيهم حطبا	كانت قيادتهم حمالة الحطب

استوحى شوقى معانى صورته الفنية من معانى القرآن الكريم :

قال تعالى : « وحملناه على ذات ألواح ودسر »^(٥) ، وقال تعالى : « وقال
ادكبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها »^(٦) ، وقال تعالى : « سأصليه سقر »^(٧) ،
« وما أدراك ما سقر »^(٨) ، وقال تعالى : « وامراته حمالة الحطب »^(٩) .

فى هذه الصورة اتجه شوقى الى عالم البحر واقتبس ذلك مما ورد فى القرآن الكريم .
واقتباساته فى هذا المجال كثيرة ، وقد تنوعت صوره المستوحاة من البحر دون أن تتميز

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٨٢ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٠ : ٦١ .

(٣) العوان : الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(٤) الأغريق : اليونان .

(٥) قرآن كريم - سورة القمر - آية ١٣ .

(٦) قرآن كريم - سورة هود - آية ٤١ .

(٧) قرآن كريم - سورة المدثر - آية ٢٦ .

(٨) قرآن كريم - سورة المدثر - آية ٢٧ .

(٩) قرآن كريم - سورة المسد - آية ٤ .

منها صورة بتواتر خاص. فاتخذ صور السفينة والفلك وغيرها . ومن استعاراته صورة السفينة للجهاد فى سبيل الله كما مر بنا فى البيت السابق (سفينة الله لم تقهر) .

وفى وصفه للبسفور يقول :

على أى الجنان بنا تمر ؟ وفى أى الحقائق تستقر ؟^(١)
رويدا أيها الفلك الأبر بلفت بنا الربوع فأنت حر

ومن الطبيعى أن تجد الآيات القرآنية سبيلها الى الانتشار بل السيادة عند شوقى ، لتصبح صوراً مكررة فى شعره ، ففى عصره كان الناس بحاجة الى هذا المعين الاسلامى ، فهو يأتى بهذه الأمثلة ليصف أحوال الخلافة ولاثبات هذه النظرية السياسية السائدة فى البلاد فى ذلك الحين فهو القائل :

بشرى الامام محمد بخلافة الله القدير^(٢)
الباعث الدستور فى السلام من حفر القبور

...

فعلى الخلافة منكما^(٣) نور تلاً فوق نور

فهو يستمد معانيه وصوره من المعجم القرآنى : « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء »^(٤) .

ويعمد شوقى فى اقتباساته من القرآن الكريم الى التغيير فى بعض العبارات كحذفه المضاف إليه من العبارة المأثورة « قاب قوسين أو أدنى » وهى تدل على قرب الوقوع ، والى جانب ورود هذه العبارة فى القرآن الكريم لكنها وردت فى استعمالات العرب منذ القدم لذا أصبحت من المأثور العام أيضاً .

يقول فى وصفه للتاريخ :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٠ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٤ .

(٣) منكما : أى من الخليفة ، ومن الدستور .

(٤) قرآن كريم - سورة النور - آية ٣٥ .

غال بالتاريخ ، واجعل صحفه من كتاب الله فى الاجلال قابا ^(١)
قال تعالى : « فكان قاب قوسين أو أدنى » ^(٢) .

وقال يصف بلاده بعد العودة من المنفى سنة ١٩٢٠ م واستقباله بعد الغيبة الطويلة :

وقيل : الشعر ، فاتأدت ، فأرست فكانت من ثراك الطهر قابا ^(٣)
وقال من قصيدة (أيها العمال) :

أيها الجمع ، لقد صر ت من المجلس ^(٤) قابا ^(٥)
ويستخدم شوقى التعبير (لات حين) للدلالة على انقضاء الأمر وتعبير (لات حين) ورد فى القرآن الكريم وورد فى المأثور العام من استعمالات العرب . يقول شوقى وهو يصف قبر نابليون :

غربت حتى إذا ما استيأست دنت الدار ، ولكن لات حين ^(٦)
قال تعالى : « فنادوا ولات حين » ^(٧) .

والى جانب صوره السابقة يردد شوقى صورة (القيامة) فيأخذ من مشاهد ما يراه مناسباً لصوره التى يتعامل معها أو اللوحة التى يرسمها من مثل قوله فى وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير :

قف (بطوكيو) ، على (يوكاهامه) وسل القريتين : كيف القيامة ؟ ^(٨)
دنت الساعة التى أنذر النسا س ، وحلت أشراطها والعلامة

شبه شوقى مشهد الزلزال بيوم (القيامة) واستخدام لفظ (القريتين) استخداماً قرآنياً ، إذ أن (طوكيو) و (يوكاهامه) مدينتان عظيمتان ولا يمكن وصفهما

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٦٤ .
(٢) قرآن كريم - سورة النجم - آية ٩ .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٦ .
(٤) المجلس ، دار النيابة .
(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩١ .
(٦) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٥٣ .
(٧) قرآن كريم - سورة (ص) - آية ٣ .
(٨) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٨٥ .

بالقريتين ، وهذا الخطر الذى حل بالمدينتين أنذر الناس بدنو علامات الساعة . ومن قوله تعالى : « فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) (١) .

وفى رثائه للأديب مصطفى لطفى المنفلوطى الذى توفى سنة ١٩٢٤ م ردد هذه الأبيات التى صور فيها (القيامة) :

اخترت يوم الهول يوم وداع	ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحى ، فأوصد دونهم	جرح الرئيس منافذ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد	قدما تشيع أو حفاوة ساعى
ما ضر لوصبرت دكابك ساعة	كيف الوقوف إذا أهاب الداعى ؟

الصورة العامة للأبيات السابقة توحى بأن القيامة قد قامت لموته وإن الكون قد اختلت موازينه كما تختل عندما ينفخ فى الصور ، فقد اختار الموت فى (يوم الهول) الذى أطلق فيه الرصاص على الزعيم المصرى سعد زغلول باشا ، فكان هذا اليوم قيامة قائمة كما صورها القرآن الكريم بأنها يوم حشر وهول . وواضح أن شوقى استوحى هذه الصور والعبارات من المعجم القرآنى ذلك أن هذه العناصر الإسلامية فى رثائيات شوقى من الأساسيات فى بنائه الفنى .

ولشوقى قصيدة كاملة لا يكاد يتحول فيها عن كتاب الله العزيز يأخذ منه لموضوعاته حسب ما تطلب ، وعلى مقدار ما يسعفه نظم الأبيات : فهو يأتى بالأبيات يعظ فيها ، ويرشد فيها الناشئة الى طرق التعبد ، ويحث على النظر فى ملكوت الله ، ويدل الانسان على مكانته فى الكون وعلاقته به ويوجهه الى التفكير فى مبدأ الخلق ، إذ كيف كان سلالة من طين ، ثم كيف تحول منها فى أطوار النمو المختلفة حتى صار خلقاً سوياً ، يحن فى مستقره الى النور ، ويضيق بالظلام ، وكيف خفق بالحياة قلبه واختلج بنبضه . يقول من رسالته التى يوجهها الى الناشئة :

أعبد الله بعقل يا بنى	وبقلب من رجاء الله حى (١)
ارجه تعط مقاليد الفلك	واخشه خشية من هلك

(١) قرآن كريم - سورة محمد - آية ١٨ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٣٨ .

أنظر الملك وأكبر من خلق أنت فى الكون محل التكرمه
 سخر العالم من أرض وماء أذكر الآية إذ أنت جنين
 كل يوم لك شأن فى الظلم كان فى جنبك شيء من علق
 صار حسا وحياة بعدما دق كالنسا قوس وسط الهيكل
 وتمتع فيه من خير رزق كل شيء لك عبد أو أمه
 لك والريح وما تحت السماء لك فى الظلمة للنور حنين
 حار فيه كل بقراط علم حين مسته يد الله خفق
 كان فى الاضلاع لحماً ودماً فى انتفاض كانتفاض البلبل
 يستعين شوقى فى مواعظه هذه برصيد من معانى الآيات القرآنية ليستعين بها فى
 بناء صوره وطرح أفكاره، ومن اليسير أن نجد لهذا الرصيد شواهد من هذه الآيات
 الكريمة ، فهى تأتى هنا على ترتيب الآيات . قال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ،
 ويخش الله ، ويتقّه فأولئك هم الفائزون » ^(١) . وقال تعالى : « أو لم ينظروا فى
 ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ^(٢) ، وقوله تعالى : « وما يستوى
 البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً
 وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم
 تشكرون » ^(٣) . وقال تعالى : « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم
 من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » ^(٤) . وقال تعالى : « وهو الذى
 أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون » ^(٥) ينبت لكم به الزرع والزيتون
 والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ^(٥) . وقال
 تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله ^(٥) من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم
 خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا العلقه مضغة ^(٥) فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
 ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » ^(٦)

(١) قرآن كريم - سورة النور - آية ٥٢ .
 (٢) قرآن كريم - سورة الأعراف - آية ١٨٥ .
 (٣) قرآن كريم - سورة فاطر - آية ١٢ .
 (٤) قرآن كريم - سورة الاسراء - آية ٧٠ .
 (٥) قرآن كريم - سورة النحل - آية ١١ .
 (٥) تسيمون : ترسلون مواشيكم للرعى .
 (٥) سلاله : خلاصة . المضغة : قطعة اللحم .
 (٦) قرآن كريم - سورة المؤمنون - آية ١٤ .

وهذه القصيدة التي ذكرناها ما هي إلا مجموعة مواعظ استمد روحها من آيات القرآن الكريم ، ولكن شوقي في الوعظ ليس له حظ مذكور من أخيلة الشعراء وتصوراته ، حتى ليوشك هذا الجانب عنده أن يكون نثراً مسجوعاً .

وفي معرض استخدامات شوقي لآيات القرآن الكريم ومعانيها فوه في إطلاق سراح سجناء المحكمة العسكرية الانجليزية بعد تلفيق تهمة لهم ، وذلك أثناء وزارة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ م ، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة أخوانهم من المؤامرة الدنيئة . و نظم شوقي قصيدة (تكريم) بهذه المناسبة بدأها بالغزل ليخلص منه بعد ذلك الى غرضه :

لو مر بالولدان طيف جمالها	في الخلد خرجوا ركعا وسجودا ^(١)
أشهى من العود المرئم منطقا	والذ من أوتاره تفريدا
لو كنت سعداً مطلق السجناء ، لم	تطلق لساحر طرفها مصفودا
...	...
يا مصر ، أشبال العرين ترعرعت	ومشت اليك من السجون أسودا

يستمد الشاعر من المعجم القرآني ألفاظ (ولدان — خلد — ركعا وسجودا) أما
إلمعنى فقد استمده الشاعر من قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » ^(٢) ، ومن
قوله تعالى : « تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله رضوانا » ^(٣) .

ويخاطب شوقي فتية النيل في نفس قصيدة (تكريم) ويحثهم على الجهاد ، لأن
الجهاد في سبيل الوطن كالجهاد في سبيل الله لا يقابله إلا الثواب . فيقول لهم : .

يا فتية النيل السعيد : خذوا المدى	واستأنفوا نفس الجهاد مديدا ^(٤)
وتنكبوا العدوان ، واجتنبوا الأذى	وقفوا بمصر الموقف المحمودا
الأرض أليق منزلا بجماعة	يبفون أسباب السماء قعودا

(١) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١١٠ .
(٢) قرآن كريم — سورة الواقعة — (آية ١٧) .
(٣) قرآن كريم — سورة الفتح — (آية ٢٩) .
(٤) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١١١ .

فى الأبيات السابقة استمد شوقى معناه من آيات القرآن الكريم بقوله (أسباب السماء) ، إذ يقول تعالى فى محكم كتابه : « لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات » ^(١) .

ويجعل شوقى وجه (الكنانة) مصر، كوجه الله تعالى إذ يدفع الشباب لحب الوطن ودفع المستعمر والتفانى فى سبيل اخراج المستعمر من البلاد ، وما قصيدة (تكريم) التى قالها شوقى والتى استشهدنا بأبيات منها هنا إلا مجاهرة شوقى بدعوته الى الجلاء عن مصر ، وأقسم أن عيد مصر يوم مغادرة المستعمر لها إذ أن حب الوطن كالعبادة .
يقول :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم	أن تجعلوه كوجهه معبودا ^(٢)
ولوا اليه فى الدروس وجوهكم	وإذا فرغتم ، فاعبدوه هجودا
ان الذى قسم البلاد حباكم	بلدا كأوطان النجوم مجيدا
قد كان - والدنيا لحدود كلها -	للعبقرية ، والفنون مهودا

استمد شوقى معانيه من قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك » ^(٣) ، وقوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك . عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » ^(٤) ، وقوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله » ^(٥) .

وشوقى يحاول بكل ما يملك من طاقة أن يستمد من القرآن الكريم معانيه أحيانا وكلمات معجزة أحيانا أخرى ، وعباراته الجاهزة فى بعض المواضع ، ومن قصيدته فى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة وضع حجر الأساس لمصرف (بنك مصر) عام ١٩٢٥ م .
والتي يتخذ منها رمزا ليشير الى ما كان من خلاف بين زعماء مصر فى ذلك الوقت .
يقول :

(١) قرآن كريم - سورة غافر - (آية ٣٦ ، ٣٧) .
(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١١ .
(٣) قرآن كريم - سورة الرحمن - (آية ٢٧) .
(٤) قرآن كريم - سورة الاسراء - (آية ٧٩) .
(٥) قرآن كريم - سورة البقرة - (آية ١١٥) .

ولما لم ننل للسيف رداً تنازعنا الحمائل والنجادا^(١)
وأقبلنا على قوم وزور تجىء الغى تقابله رشادا
واضح هنا أن الشاعر يستلهم معنى الآية الكريمة : لا اكراه فى الدين ، قد تبين
الرشد من الغى «^(٢) مستعيراً منها لفظتى (الرشد والغى) بما تحملان من دلالات
اسلامية جديدة .

وعندما سقط السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٩ م فى (الانقلاب العثمانى) قال
قصيدته مستمداً من المعجم القرأنى معظم معانيها يقول : :
ذهب الجميع ، فلا القصور ر ترى ، ولا أهل القصور^(٣)
أين الأوانى فى ذراها من ملائكة وحوور
المترعات من النعيم ، الراويات من السرور
وقد التفت شوقى الى قوله تعالى فى وصف الجنة : « مقصورات فى
الخيام »^(٤) . وقوله تعالى « وحوور عين »^(٥) . وقوله تعالى : « وزوجناهم بحور
عين »^(٦) .

ويعود شوقى فى القصيدة نفسها (الانقلاب العثمانى) يخاطب السلطان الجديد
(محمد رشاد الخامس) الذى خلف السلطان عبدالحميد ليقول :

أنت الكبير ، يقلدو نك ، سيف (عثمان) الكبير^(٧)
شيخ الغزاة الفاتحين ، حسامه شية الذكور
يمضى ويغمد بالهدى فكأنه سيف النذير

والشاعر يشير الى سيف الحق، وواضح أنه استمد هذا المعنى من قول الله تعالى وهو
يخاطب نبيه محمد (ص) : « وقل انى أنا النذير المبين »^(٨) .

-
- (١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ١٤ .
(٢) قرآن كريم - سورة البقرة - (آية ٢٥٦) .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١٩ : ١٢٠ .
(٤) قرآن كريم - سورة الرحمن - (آية ٧٢) .
(٥) قرآن كريم - سورة الواقعة - (آية ٢٢) .
(٦) قرآن كريم - سورة الدخان - (آية ٥٤) .
(٧) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٤ .
(٨) قرآن كريم - سورة الحجر - (آية ٨٩) .

أما الأعداء المخذولون فهم فى نظر شوقى يستحقون العقاب الشديد وليس هناك وصف يصفهم به سوى (حمالة الحطب) هذا الاستخدام القرأنى الذى وصف به زوجة أبى لهب عم الرسول (ص) التى كانت من سادات قريش ، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده والسبب فى أذى الرسول (ص) ، فلماذا جعلها الله عوناً على زوجها يوم القيامة فى عذابه فى نار جهنم ، فهى مهيأة تحمل الحطب وتلقيه على زوجها . قال من قصيدته التى انتصر فيها الترك على أعدائهم :

لما انبرت نارها تبغيهم حطبا كانت قيادتهم حمالة الحطب^(١)

فهو كنى عن الأعداء المخذولين (بحمالة الحطب) واستمد ذلك من قوله تعالى :
« وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد »^(٢) .

وحين يصور شوقى الفتن الداخلية فى مصر والمجاعة المتولدة عنها بحرب البسوس وبالسنين الصعاب السبع التى فى قصة يوسف (ع) فهو يرسم لنا صورة مستمدة من تاريخ العرب فى الجاهلية ، ومستمدة من النفس القرأنى كما ورد فى قصة النبى يوسف (عليه السلام) يقول :

أمن حرب البسوس الى غلاء يكاد يعيدها سبعاً ضعاباً^(٣)

وشوقى فى استخدامه هذا يتخذ من الصور القديمة رموزاً يوظفها لخدمة قضيته بطريق غير مباشر ، وقد استمد ذلك من قوله تعالى : « قال تزرعون سبع سنين دأباً . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن »^(٤) .

ومن استخدامات شوقى القرآنية قوله بمناسبة ميلاد الأمير محمد عبدالمعزم :

أرى مستقبلا يبدو عجابا وعنوانا يكن لنا كتابا^(٥)
وكان « محمد » أملا شهابا وكان اليأس شيطاناً رجيماً

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦١ .
(٢) قرآن كريم - سورة المسد - (آية ٤ ، ٥) .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٦٤ .
(٤) قرآن كريم - سورة يوسف - (آية ٤٧ ، ٤٨) .
(٥) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٣٢ .

والملاحظ أن شوقي استخدم كلمة (عجايب) استخداماً قرآنياً لم يسبقه إليه أحد ،
أما ما هو شائع الاستخدام فهو كلمة (عجيب) ، قال تعالى : « ان هذا لشيء
عجاب » (١) .

ويتخذ الموقف عند الشاعر اتجاهًا سياسياً حين يجد نفسه في موقف ينتصر فيه
للدولة أو يريد الدفاع به عن قضية فيمضي الى آيات القرآن الكريم يستمد منها أو من
القصص القرآني ما جاء فيها من توجيهات أو عبر ليعبر بهذا عن الموقف وما يتطلبه ، إذ
يقول من قصيدته بمناسبة المؤتمر السياسى الذى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية
المصرية على انقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول عام ١٩٢٦ م ، إذ شبه مقر
المؤتمر (مجلس النواب) بالغار حينما علاه نسج العنكبوت . يقول :

احتل حصن الحق غير جنوده وتكالبت أيد على المفتاح (٢)
...

هجرت أرائكه ، وعطل عوده وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج العنكبوت ، فزاده * كالغار من شرف وسمت صلاح

وقد استمد شوقي ذلك من قوله تعالى : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » (٣)
وقوله تعالى : « إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثین إذ هما فی الغار » (٤) .

وللأزهر الشريف، هذا الصرح الدينى والعلمى العظيم، نصيب فى شعر شوقي كما كان
له نصيب فى شعر غيره من الشعراء . يقول :

عین من الفرقان (٥) فاض نميرها وحيا من الفصحى جرى وتحدرا (٥)

(١) قرآن كريم — سورة ص — (آية ٥١) .

(٢) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ١٥٥ .

(٣) قرآن كريم — سورة العنكبوت — (آية ٤١) .

(٤) قرآن كريم — سورة التوبة — (آية ٤٠) .

(٥) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١٥٣ .

(٥) الفرقان : من أسماء القرآن الكريم .

استمد شوقى قوله هذا من المعجم القرأنى إذ قال تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ^(٢) . جعل شوقى الفرقان كالجداول الكثير الماء ، وهذا الأزهر الشريف عين من عيونه .

ويقول مخاطباً فتية الأزهر من طلاب العلم ويحثهم على نشر العلم :

يا فتية المعمور ^(٥) ، ساد حديثكم ندا بأفواه الركاب وعنبيرا ^(٢)

... ..

هزوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم — لعمر الله — أعصاب القرى

فشوقى يناشد طلبة العلم وأصحابه بنشر العلم بين الأميين من الناس الذين شبههم بأهل الكهف الذين يسكنون الرقيم وهى قريتهم ، وأصحاب الكهف يضرب المثل بها لمن طالت غفوته ، ويقصد شوقى بهذا الاستخدام الرمزي ليس الأميين ممن لا يعرفون القراءة والكتابة فقط وإنما يرمز بهذا لكل من طالت غفوته لا يعلم من أمور بلده شيئاً ، واستلهم شوقى هذا المعنى مما ورد فى القرآن الكريم من ذكر أصحاب الكهف قال تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » ^(٣)

وتتكرر الصور القرآنية لدى شوقى فى مجال العلم كما سبق فى قصيدته الأزهر الشريف ، ليعود مرة أخرى فى قصيدته التى يناشد بها سعد زغلول سنة ١٩٠٨ م ، لانشاء صرح علمى آخر هو مدرسة المطرية ويستمد عباراته ومعانيه من المعجم القرأنى إذ يقول :

يا ناشر العلم بهذى البلاد وفقت،نشر العلم مثل الجهاد ^(٤)؛

... ..

بالعلم ساد الناس فى عصرهم واخترقوا السبع الطباق الشداد

(١) قرآن كريم — سورة الفرقان — (آية ١) .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٥٢ : ١٥٣ .

(٥) المعمور : الأزهر الشريف .

(٣) قرآن كريم — سورة الكهف — (آية ٩ : ١٢) .

(٤) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١١٦ : ١١٧ .

استمد شوقى معانيه من قول الله تعالى : « سبع سموات طباقا » ^(٢) ومن قوله : « وبنينا فوقكم سبعا شدادا » ^(١)

ومن نفس قصيدته السابقة يقول :

ذلك أمسى ما به ريبة ويومى (القبة) ^(٥) ذات العماد ^(٢)
أصبحت كالفردوس فى ظلها من مصر للخنكا ^(٥) لظلى امتداد
لولا حلنى زيتونى النضر ، ما أقسم بالزيتون رب العباد
الواحة الزهراء ذات الغنى تربي التى ما مثلها فى البلاد

صور شوقى مأخوذه من الصور القرآنية لجنة (عاد) ، قال تعالى : « ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » ^(٤) ، ومع أن قوم عاد أصحاب القرية التى بنوها بالذهب على رأى بعض المفسرين لم يكن لهم ذكر كريم فى القرآن لأن الله بعث فيهم رسوله هودا فكذبوه فأنجاه من بين ظهرائهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية ، لكن شوقى بهذا المثل متأثر. بما أورده بعض المفسرين عن جمال هذه القرية حتى وصفت بأنها كالجنة ، والعلاقة بين الأثنين هى الرابطة الجمالية فقط . أما صورة القسم عند شوقى فقد استمدتها من قوله تعالى : « والتين والزيتون وطور السنين » ^(٥)

بعد هذه الأمثلة التى أوردناها ومدى استمداد شوقى من كتاب الله العزيز ، يجدر بنا أن نلاحظ أن شعر شوقى فى جميع الإتجاهات كان بحاجة الى الاستمداد القرآنى ، ذلك لأن التوظيف الرمزي للشعر يعالج الوضع السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، فهو قد جاء من أجل التوجيه ، ولم يكن من المستطاع الا الدخول من باب الدين من أجل توجيه السياسة لخدمة الغرض ، لذا فقد انتشر هذا اللون فى مساحة واسعة عند شوقى ، ولم نستطع أن نأتى بكل الأمثلة لعدم الاطالة فى الموضوع .

(١) قرآن كريم — سورة الملك — (آية ٣) .

(٢) قرآن كريم — سورة النبأ — (آية ١٢) .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١١٨ .

(٤) القبة : ضاحية من ضواحي القاهرة ، بها قصر عظيم بناه الخديوى عباس حلمى وقد غلب اسمها على هذا القصر .

(٥) الخنكا : كلمة فارسية بمعنى دير الرهبان (خانكاه) وهى ضاحية من ضواحي القاهرة .

(٤) قرآن كريم — سورة الفجر — (آية ٧) .

(٥) قرآن كريم — سورة التين — (آية ١) .

التأثر بالقصص القرآنى :

كان القصص الدينى مصدراً آخر مكملًا للآيات القرآنية فى شعر شوقى ، وانتشر هذا التأثير بصورة واسعة فى كل شعر شوقى حيث اعتمد عليه فى تعزيز بعض مواقف ممدوحيه أو رثاء بعضهم واضفاء قدر من القداسة على هذه المواقف سواء فى طريقة الحكم أو التصرف : وفى بعض المواقف يثبت الجانب الالهى فى وراثة الخلافة بالنسبة للخليفة. وقد وجد شوقى فى كثير من أعلام الأديان السماوية قبل الاسلام مثله العليا ، وفى قصيدة شوقى (الله والعلم) ^(١) ذكر قصة النبى (داود) عليه السلام وبأن الله وهبه الملك وقضى فيه بكل أمر عظيم ، وقد ربط شوقى بين ملك النبى داود العظيم وكيف وهبه الله له . قال تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد » ^(٢) . وبين ملك أدوارد السابع الذى يهابه الشرق والغرب فى عظمتة . وقال تعالى : « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ^(٣)

قال شوقى : :

أملكك يا (داود) والملك الذى يغار عليه ، والذى هو واهبه ^(٤)
· ولا شك أن لاستغلال الجانب الالهى فى هذا القصص الدينى دوراً سياسياً هاماً يستخدمه الشاعر فى تشبيه بعض من يمدحهم أو يرثيهم من الخلفاء والزعماء والأبطال وغيرهم بالأنبياء الذين وهبهم الله الحكمة نعمة من عنده وفضلا .

وقد أشاد شوقى بالطيران والطياريين بمناسبة قدوم (فدرين) و (يونيه) طائرتين من باريس الى مصر سنة ١٩١٤ م ، وأسند شوقى فعل الأمر الى النبى سليمان فى هذا الموضع يقول : :

قم (سليمان) بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما ^(٥)

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٨٠ - نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك ادوارد السابع وتأجيل اقامة الحفلة لاصابة جلالتة بدمل وذلك فى سنة ١٩٠٢ م

(٢) قرآن كريم - سورة سبأ - (آية ١٠) .

(٣) قرآن كريم - سورة (ص) - (آية ٢٠) .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٨٠

(٥) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٨٨

حين ضاق البر والبحر بهم أسرجوا الريح ، وساموها اللجاما
صار ما كان لهم معجزة آية للعلم آتاهم الأناما
وقد جعل الشاعر الرابطة هنا تسخير الريح لسليمان النبي وللطياريين في رحلتها ،
أما العلاقة بين سليمان وتسخير الريح فهي التداعي . قال تعالى : « ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر »^(١)

وفي تسخير الله الريح لسليمان تعتبر معجزة من معجزات النبوة ، وخارقة من خوارق
الطبيعة لا يسخره الله إلا لمن اصطفى من أنبيائه ، أما الآن فان ذلك الذى يبدو أمراً
معجزاً قد أصبح ميسراً وفي متناول يد الانسان بفضل العلم ، فكأن شوقى يريد أن يشير
الى هذه الحقيقة، وهى أن الانسان بعقله الذى وهبه إياه الله وبجهدده فى استنباط حقائق
الكون قد استطاع أن يحقق ما لم يتحقق من قبل إلا على أيدي الأنبياء ، ولذلك فهو
لا يريد أن ينال من قدر معجزات الأنبياء بقدر ما يريد أن يرفع من شأن العلم وقدرة العقل
الانسانى على تسخير ما فى الكون لصالحه .

وعند شوقى يأخذ القصص القرآنى جانبيين ، لون واقعى المقصود منه الحالة التى
تمثلها القصة لا الشخصية ، ولون واقعى آخر مقصود بأشخاصه مثل ذكر بعض الأسماء من
الأنبياء والرسل .

وفي تكريم الدكتور على بك ابراهيم الجراح العبقري ، يستغل شوقى ما ورد فى
القرآن الكريم من القصص مثل قصة النبي ابراهيم (عليه السلام) الذى كرمه الله
تكريماً خاصاً فجعل صلته التوحيد الخالص ، وجعل العقل فى جانب الذين يتبعون دينه
وجعله اماماً للناس ، وجعل فى ذريته النبوة والكتاب ، وجعل له معجزات ، وحقق الله
له ذلك فى احيائه الطير الذبيحة . قال تعالى : « فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ،
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعيّاً ، واعلم أن الله عزيز
حكيم »^(٢)

شبه شوقى يد الجراح (د . على) فى اجراء عملياته بيد النبي ابراهيم باعادة
الطير الذبيح للطيوان بقدرة الله ، استطاع رسم صورة لذلك ، يقول :

(١) قرآن كريم - سورة سبأ - (آية ١٢) .
(٢) قرآن كريم - سورة البقرة - (آية ٢٦٠) .

لا عدمننا « للسيوطى » يدا خلقت للفتق والرتق بنانا ^(١)
تصرف المشرط للبرء كما صرف الرمح الى النصر السنانا

...

يد (ابراهيم) لوجئت لها بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخط للناس يوماً كنار انما خاطت بقاء وكيانا

وشبه شوقى نجاة الخليفة حين ألقيت عليه القذيفة سنة ١٩٠٥ م وشاء الله أن
يحفظه من شرها ، شبهه بالنبي ابراهيم (عليه السلام) عندما خاض النار فكانت برداً
وسلاماً بأمر ربه . قال تعالى : « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » ^(٢)

يقول شوقى :

تسميت فى برد الخليل ، فخضتها سلاماً وبرداً حولك الغمرات ^(٣)

وقد أكد شوقى بذلك إيمانه بقداسة الخلافة وتأكيده سلطتها واضفاء هذه المشروعية
عليها ، حيث انه أوصل الخلفاء الى مصاف الأنبياء وحول قوة الخلافة الى حق وطاعتها
الى واجب ، وازدادة الى ذلك فان بيانية التعير والتشبيه تجيش الذاكرة الدينية عند
القارئ لشعر شوقى .

ويصور شوقى بعض الأحداث الواقعية ويربط بينها وبين بعض قصص الأنبياء مستمداً
هذه الأحداث من مقومات القصة القرآنية كتشبيهه حريق (ميت غمر) ^(٤) بالنار الحمراء
التي التهمت كل شيء ، وشبه هذه النار بنار (ابراهيم) بأنه لا يتحملها لشدة حرارتها
حتى لو ابتلى بها النبي ، ولكنه بهجولة اعتراضية يستغفر ربه ذلك لأن العناية الإلهية قد
أمدت (ابراهيم الخليل) بالقوة والايمان الخالص وجعلت النار برداً وسلاماً عليه .
يقول :

لوأنه ابتلى (الخليل) بمثلها — أستغفر الرحمن — ولى مدبرا ^(٥)

(١) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ١٨٩ .

(٢) قرآن كريم — سورة الأنبياء — (آية ٦٩) .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٦٤ .

(٤) سنة ١٩٠٥ — نشرت بمجلة (المجلات العربية) .

(٥) ديوان شوقى — ج ٤ — ص ٤٦ .

وقد وجد شوقي فى حدث سلامة (ابراهيم الخليل) رغم خوضه النار نموذجاً بليغاً
يصور الشجاعة والتضحية وقداسة القضية ، قال فى تشبيه الصليب الأحمر فى ميدان
القتال ، بالخليل فى لهب النار :

وإذا السوطيس رمى الشباب خض (كخليل) إليهم النيرانا ^(١)
ويأخذ شوقي من القصص القرآنى نموذجاً من الأنبياء وهو (نوح) عليه السلام ،
وما ارتبط به من قصة الطوفان كما أوردتها القرآن الكريم ، وكيف أن الله نجاه ومن معه
من الفرق . وقد كان نوح (عليه السلام) بمقياس الفكر ثورة فكرية ، وكان الانسان
الذى يذكر جيداً عهد الله لآدم وأبنائه حين خلقهم مؤمناً بالله تعالى ، وقد اتخذ شوقي
هذا النبى المؤمن نموذجاً ليشبه به الزعيم المصرى (سعد زغلول) ^(٢) حيث شبه الزعيم
المصرى بقائد السفينة وربانها ، وبأن الله قد حفظه ونجاه من حادث الاعتداء .
فالقصيدة تشمل تاريخاً دينياً الى جانب تاريخ ثقافى وانفعالى عاطفى ، وتشمل كل
هذه القيم مرتبطة مع بعضها إذ يقول :

نجا (نوحها) من يد المعتدى وضل المقاتل عدوانها ^(٣)
حوت دمك الأرض فى أنفها زكياً ، كأنك عثمانها
ولو زلت غيب عمرو الأمور وأخلى المنابر سحبانها
ولو لم يسابق درو س الحياة لبصره الرش لقماتها

فى هذه الصورة شبه شوقي (سعد زغلول) وهو المخاطب بالنبى (نوح) عليه
السلام قائداً ، وشبهه بالخليفة (عثمان بن عفان) (كأنك عثمانها) مضحياً بدمه ،
وشبهه بعمر بن العاص فظناً وبسحبان وائل خطيباً ، ثم شبه مقدم الحكمة لمدير الاغتيال
بلقمان حكيماً ، وكما هو واضح فى هذه اللوحة براعة شوقي فى استخدام التشبيهات
المتوالية التى تعرض على الأنظار صوراً متقنة وهذه ميزة جارى بها شوقي المتنبي .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٧٨

(٢) اعتزم (سعد زغلول) السفر الى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ فترصد
له شاب وأطلق عليه النار ، ولكن الله أنجى حياته ، ووقى البلاد شر فتنة كادت تعصف بين الأحزاب فنظم
شوقي هذه القصيدة يهنئ بها الزعيم سعداً .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٦٢

قال تعالى : « وقيل : يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين »^(١)

وللطبيعة حظ كبير في تشبيهات شوقي القرآنية وهي صور واقعية تستمد روحها من تجربة الشاعر الطويلة وثقافته الواسعة، لا من انفعالات فطرية أو شطحات صوفية ، فصور شوقي تمتد جذورها في الطبيعة والانسان والتاريخ ، والغالب على صور الطبيعة عنده أن أكثر موصوفاته بلدان مثل (فروق)^(٢) و (دمشق)^(٣) وقد اتخذ لهما صورة الجنة ، وفي وصفه لمشاهد الطبيعة في طريقه الى الأستانة قادماً من أوروبا. يرسم صورة لهذه المشاهد ليشبهها بطوفان (نوح) مستمداً بذلك مقومات القصة القرآنية . يقول :

في كل ناحية سلكت ومذهب	جبلان من صخر وماء جارى ^(٤)
من كل منهمر الجوانب والدرى	غمر الحضيض ^(٥) مجلل بوقار
...	...

ومكذب بالجن ريع لصوتها	في الماء منحدرأ وفي التيار
ملاً الفضاء على المسامع ضجة	فكأنما ملأ الجهات ضواري
وكأنما طوفان نوح ما نرى	والفلك قد مسخت حثيث قطار
يجرى على مثل الصراط ، وتارة	ما بين هاوية وجرف هارى

وصورة شوقي هذه ليست في مستوى عملية الخلق الفني عنده ولكنها صورة تأليفية لوصف الطبيعة زاخرة بالتشابه ، وكانت الموصوفات فيها عناصر الطبيعة الجامدة وهي عناصر مربعة (صوت الجن ، الضواري ، طوفان نوح ، القطار الحثيث) فهذا وصف الطبيعة الهائجة ، وقد استمد بعض صور موصوفاته من القصص القرآني .

وكما مر علينا بأن شوقي تعلق من قصة (نوح) عليه السلام بظاهرة الطوفان من حيث هي رمز للكارثة ، تحل بالانسان فتحمله على السعى الى العيش مع غيره ، القوى

(١) قرآن كريم — سورة هود — (آية ٤٤) .

(٢) ديوان شوقي — ج ١ — ص ١٥٤

(٣) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ٧٤

(٤) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ٣٨

(٥) الحضيض : القراد من الأرض عند منقطع الجبل .

والضعيف على حد سواء ، فى كنف الحب والسلام والأخاء ، وتعلق بالسفينة من حيث هى ملجأ أمين ورمز لعالم مثالى ولكنه وقتى ، فيه يمتحن الناس ويختبرون .

قال تعالى : « ويصنع الفلك ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » (١)

ولعالم الحيوان نصيب فى تشبيهات شوقى القرآنية ، إذ أن هذا العالم كائنات متحركة ذات شعور ، وإذا كان الله فضل الانسان بملكة النطق والقدرة على التفكير ، مما جعله يخلق القوة من الضعف ويتخذ لنفسه ألواناً شتى من الأسلحة يؤمن بها حياته ويحفظ بها نوعه ، فقد ميز الحيوان ببنية مكتملة . وقد صنف الانسان الحيوان أصنافاً مختلفة ، واستخرج منه صوراً يقيس بها أنواع الناس ويضرب بها الأمثال فى مضاربها وفى ذهن الانسان أن هذه الصفات — المعنوية خاصة — مثالية فى الحيوان بمقتضى أنها تتولد فيه عن طبيعته لا عن اكتساب، بينما تتولد نظائرها فى الانسان عن اكتساب وتجربة . وقد استوحى شوقى تشبيهاته من القصص القرآنى ، كما ورد فى الآيات وكيف أن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الحيوانات للأنبياء بأمره ، فقد سخر لسليمان جنوده من الأنس والجن والطير بأنواعها وحشرها له، ومع أن هذه الحيوانات والحشرات صغيرة الحجم لكن الله أتاها القوة لقضاء أمره وليجعل ذلك معجزة أنبيائه .

وحكايات الحيوان لديه تضرب فى موضوعات شتى ، تتصل بالحياة العصرية القائمة ، من غير أن تغفل الإشارة الى الحوادث القديمة ، والتاريخ الماضى ، للانتفاع بعبره ومواعظه .

وفى حادثة طوفان نوح أمره الله أن يصنع السفينة ويأخذ فيها من كل زوجين اثنين من جميع مخلوقاته محافظة على النوع وبقائه ، فهو يستمد تفاصيل القصة ويستعير ذلك كما ورد فى القرآن الكريم ، ويلتمس العظة والعبرة لهنى الانسان من هذه القصة والتى يعتبرها كرمز يطبق عليه الواقع الذى يعيشه ، يقول من حكايات الحيوان بعنوان (السفينة والحيوانات) (٢) راسماً هذه الصورة :

(١) قرآن كريم — سورة هود — (آية ٣٨) .

(٢) ديوان شوقى — ج ٤ — ص ١٥٦

لما أتم نوح السفينة وحركتها القدرة المعينه
جرى بها ما لا جرى ببال فما تعالى الموج كالجبال
حتى مشى الليث مع الحمار وأخذ القط بأيدي الفار
... ..
حتى إذا حطو بسفح الجودي وأيقنوا بعودة الوجود
... ..
فقس على ذلك أحوال البشر ان شمل المحذور ، أو عم الخطر
قال تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ، قلنا : أحمل فيها من كل زوجين
اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول »^(١)

ويتخذ شوقي من قصة النبي (آدم) عليه السلام مثالا لوصف طبائع البشر من
خبث وطيبة وكيف أن النفوس قد تغيرت عن العهد القديم وتأصل اللؤم فيها ، وشبه
توارث الناس اللؤم بتوارثهم مميزات الانسانية عن آدم وحواء .
يقول من قصيدة (شكبير) بهذه الروح الحكيمية :

والناس صنفان : موتى فى حياتهم وأخرون ببطن الأرض أحياء^(٢)
... ..
لاموك فى جعلك الانسان ذئب دم واليوم تبدو لهم من ذاك أشياء
... ..
كانوا الذئاب ، وكان الجهل داءهم واليوم علمهم الراقى هو الداء
لؤم الحياة مشى فى الناس قاطبة كما مشى آدم فيهم وحواء
ثم يقارن الصورة السيئة وهى صورة اللؤم بصورة أفضل وأحسن منها وهى الصورة
الجيدة ، صورة صفاء الطباع والبعد عن الخبث. ولكن هذه الصورة تغيرت مع مرور الزمن إذ
قال وهو يخاطب رحالة الشرق^(٣) :

(١) قرآن كريم - سورة هود - (آية ٤٠) .

(٢) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٨ .

(٣) بعد رحلة طويلة شاقة فى صحراء ليبيا ، استطاع الرحالة المصرى الكبيع أحمد حسنين أن يسدى الى العلم يداً
بيضاء ، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البيداء ، فلما عاد قابله البلاد .

رحالة الشرق ، أن البید قد علمت بأنك الليث لم يخلق له الفزع ^(١)
 ماذا لقيت من الدو ^(٥) السحيق ، ومن فقريضيق على السارى ، ويتسع ؟
 وهل مرتت بأقوام كفطرتهم من عهد آدم لا خبث ولا طبع ؟ ^(٥)

أما قصة خروج آدم من الجنة فقد استغلها شوقي كما وردت فى القرآن الكريم ، فى تصوير قصة منفاه فى الأندلس مولكنه أورد فى بيته التالى قضية متشعبة الأطراف ، فقارن نفسه منفيّاً الى الأندلس بآدم منفيّاً الى الدنيا إلا أن نفى آدم كان من الجنة الى مادونها ، بينما نفى الشاعر كان الى مكان أدنى الى الجنة بغير شك ، فقد كان سعيد الحظ إذ كان منفاه الى أرض أكرمته وأعزته وأحاطته برعايتها وعنايتها ، فهو لا يستطيع أن يقول عنها إلا خيراً :

مغرب بآدم من دار عدن قضاها فى حماك لى اغتراباً ^(٢)

ويقول تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » ^(٣)

وقال تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال : يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ فأكلا منها ، فبدت لهما سؤاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال : اهبطا منها جميعاً ، بعضكم لبعض عدو ، فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ^(٤)

ويتصور بعض الناس أن خطيئة آدم بعصيانته هى التى أخرجتنا من الجنة .. ولولا هذه الخطيئة لكنا اليوم هناك . وهذا تصور ساذج لأن الله تعالى حين شاء أن يخلق آدم قال للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة . ولم يقل لهم انى جاعل فى الجنة خليفة . ولم يكن هبوط آدم الى الأرض هبوط اهانة وإنما كان هبوط كرامة كما يقول الصوفيون . وكانت

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٥٧

(٥) الدو : الملاء.

(٥) طبع : الشين العيب الدنس .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٦٥

(٣) قرآن كريم - سورة البقرة - (آية ١١٥) .

(٤) قرآن كريم - سورة طه - (آية ١١٧ : ١٢٣)

التجربة كلها ركناً من أركان الخلافة في الأرض ... ليعلم آدم وحواء ويعلم جنسهما من بعدهما أن الشيطان طرد الأيوين من الجنة ، وأن الطريق الى الجنة يمر بطاعة الله وعداء الشيطان .

وكثيراً ما كان شوقي يعمد الى قصة النبي (يوسف) وأبيه (يعقوب) ليستخرج منها نظائر مثلى لموصوفاته وأحياناً يجد من السهل أن يشبه نفسه وأهله بيوسف الصديق . ويجد بعضاً من الانطباق الذاتى بينهما فى بعض المواقف ، فعندما جاء أجداد شوقي الى مصر غرباء زمن محمد على ، رأى الشاعر هذا التشابه الغريب ممثلاً فى يوسف الصديق وكان من الوافدين الذين ربحت تجارتهم كما ربحت تجارة جد شوقي وسميه .

وعندما صار شوقي شاعر الخديوى (عباس حلمى) — حكم مصر ١٨٩٢ : ١٩١٤ — الذى يدعى (بالعزيز)^(١) وهو اللقب الذى أعطاه القرآن لوزير فرعون الذى اشترى (يوسف الصديق) فصار شوقي يدعى بشاعر العزيز أى شاعر الخديوى ، وقد اعتد شوقي بهذا اللقب الذى أشار إليه فى بائيته المعروفة :

شاعرنا العزيز وما بالقليل ذا اللقب^(١)

و (عزيز مصر) أشار إليه القرآن فى قصة يوسف ، قال تعالى : « فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر »^(٢)

والاشارات الى يوسف (عليه السلام) متعددة فى شعر شوقي، وحتى فكرة العفاف التى تتكرر فى غزلياته منتزعة من حياة (يوسف) أو من تلك الحادثة التى تصف علاقته مع امرأة العزيز إذ يقول :

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت أنتم الناس أيها الشعراء^(٣)
وفهم البيت يتم بسورة يوسف ، قال تعالى : « وقدت قميصه من دبر »^(٤)

(٥) العزيز : لقد حاول الخديوى اسماعيل بن ابراهيم باشا الذى حكم مصر عام ١٨٦٣ م شراء لقب العزيز من السلطان العثمانى عبدالعزیز ، فلم يوافق السلطان لذا أخذ مكانه لقب (خديوى) ، وكان حاكم مصر قبله يسمى (الوالى) ولكن الخديوى (عباس حلمى) ابنه استطاع الحصول على لقب (عزيز) .

(١) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ١١٢

(٢) قرآن كريم — سورة يوسف — (آية ٨٨) .

(٣) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ١١٢

(٤) قرآن كريم — سورة يوسف — (آية ٢٥) .

ويستغل شوقى مصر الفرعونية فى اذكاء الروح القومية المصرية ، ويستنبط العبر من تاريخها ولكنه لم يكتف بوصف هذه الحضارة من الناحية السياسية والقومية ، وإنما وصفها من الناحية الدينية وربطها بمصر القرآنية ، وإن مصر الفرعونية أرض مقدسة ، هبطها الأنبياء ومشوا على ثراها ، ونزلت فيها أولى الشرائع ، كما أنجبت أم العرب ، فهاجر أم اسماعيل ما كانت سوى فتاة مصرية من أرض الفراعنة .

واستغل القصص القرآنى فى اتخاذ الفكرة والعبارات . فحين يصف الحضارة يذكر هذه الأرض المقدسة والأنبياء الذين مشوا فيها مثل يوسف وموسى ومريم والمسيح ، ويقول مستوحياً ذلك من قصة يوسف :

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك مخلق ^(١)

...

وجمال يوسف لا يزال لواؤه حوليك فى أفق الجلال يرنق
ودموع أخوته ، رسائل توبة مسطورهن بشاطئيك منمق

فجمال يوسف (عليه السلام) ذكره الله فى محكم كتابه « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشى لله » ^(٢)

أما قصة يوسف (عليه السلام) مع أخوته فيصورها القرآن الكريم أحسن تصوير عندما التقى يوسف بأخوته فى مصر قال تعالى : « قالوا أئنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخى ، قد من الله علينا ، أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا : تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . قال لا تشرب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » ^(٣)

وفى رثاء شوقى للدكتور (أحمد فؤاد) الذى يعتبر من نوابغ الطب المعدودين المتوفى سنة ١٩٣١ م ، شبه الفقيد (بيوسف الصديق) عليه السلام ليمهد بذلك لتشبيه أبيه ب (يعقوب) عليه السلام فى صبره على فراق أبنه ومحنته مستوحياً ذلك من واقع القصص القرآنى ، ويستخرج من ذلك نظائر مثلى لموصوفه ، قال شوقى :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٧٢
(٢) قرآن كريم - سورة يوسف - (آية ٣١) .
(٣) قرآن كريم - سورة يوسف - (آية ٩٠ : ٩٢)

رحماك (يوسف) قف ركابك ساعة واعطف على يعقوب فيه حزيناً^(١)

وقال تعالى : « انما أشكو بثى وحزنى الى الله »^(٢)

وقد أعجب شوقى من قصة النبى (يعقوب) وابنه (يوسف) عليهما السلام موقف يعقوب الأب ، ويظهر ذلك فى تشبيهه شوقى تأثير مقدم المغتربين فى الوطن بتأثير قميص يوسف فى أبيه :

وإذا أتاه مبشربقدهمهم فمن القميص ومن شذى أردانه^(٣)

فى حين أن المتنبنى استخدم هذا التشبيه ليصور كرم ومدوحه وتأثير السؤال فيه بتأثير قميص يوسف فى أبيه يعقوب والعلاقة بين المشبه والمشبه به كالعلاقة بين السمع والبصر ، يقول :

كان كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب^(٤)

ويستكمل شوقى دائرة تأثيره بالقصص القرآنى ليشير الى قدم الحضارة المصرية وبأنها عرفت خياطة الثياب من قبل ادريس^(٥) (عليه السلام) وعرفوا صناعة الدروع قبل النبى (داود) عليه السلام ، اتخذ شوقى بعض مقومات صوره الشعرية من القرآن الكريم الذى تكثر فيه الاشارات الى هؤلاء الأنبياء . يقول :

وغزلنا قبل ادريس الكسا ونسجنا قبل داود الزرد^(٥)

وواضح أن عناصر الصورة استمدتها شوقى من قوله تعالى عن هذه الدروع التى علم (داود) عليه السلام صنعها وقاية للمقاتلين حين البأس : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من يأسكم فهل أنتم شاكرون »^(٦)

(١) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٦٧ .

(٢) قرآن كريم - سورة يوسف - (آية ٨٦) .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٥٩ .

(٤) ديوان المتنبنى - ج ١ - ص ١٧٢ .

(٥) ادريس : هو نبى الله عليه السلام واسمه فى التوراة العبرية (خنوخ) وكان الأول من بنى آدم الذى أعطى النبوة ، وقال أهل العلم بأخبار الماضيين وقصص النبیین ، أنه أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط .

(٥) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٢٨ .

(٦) قرآن كريم - سورة الأنبياء - (آية ٨٠) .

ومن المشاهد القصصية التي استطاع أن يستوحى منها شوقي عنصر المعجزة الكامنة في القوة (ناقة صالح) وصالح هو نبي الله عليه السلام ورسوله الى قبيلة (ثمود) والناقة هذه من آيات صالح لقومه أن جاءهم بناقة كان لها شرب يوم، ولهم شرب يوم، وحذرهم صالح من أن يمسوها بسوء لأنها « ناقة الله »^(١) فخرجوا عن أمره وعقروها فوقع عليهم عذاب ربهم ، وكانت الناقة من القوة بمكان إذ يخصص لها شرب يوم لا يشركها فيه غيرها . وشوقي يخاطب ربه سبحانه وتعالى ويعترف بخطاياها التي يحملها فحتى لو أن الله أراد أن يذل له (ناقة صالح) فلن تلين ولاتذل لكثرة ما يحمله من خطايا. وهذا الاعتراف ورد في تهنئة شوقي للخديوى عباس حلمى بمناسبة الحج سنة ١٩١٠ م وقد دعا الخديوى شوقي للحج معه ولكنه تخلف عن ذلك ، يقول :

ويارب ، لو سخرت ناقة (صالح) لعبدك ، ما كانت من السلسات^(٢)

وعند شوقي نرى أمثلة أخرى لهذا الاستمداد من القصص القرآنى على نحو ما، من ذكر للأمم القديمة مثل (عاد) و (ثمود) وأحاديث القرى الأخرى من هذه الأمم ففي قصيدة (الهلال) التي نظمها شوقي فى مناسبة عيد ميلاده الثلاثين يقول :

سنون تعاد ودهر يعيد	لعمرك ما فى الليالى جديد ^(٣)
أضاء لآدم هذا الهلال	فكيف تقول : الهلال الوليد ؟
نعد عليه الزمان القريب	ويحصى علينا الزمان البعيد
على صفحتيه حديث القرى	وأيام (عاد) ، ودنيا (ثمود)
و (طيبة) أهلة بالملوك	(وطيبة) مقفرة بالصعيد

قضية عامة يستهل بها الشاعر قصيدته لا تخلو من الابهام، وتعنى أن الدهر يرجع السنين لنا كما هى ، ففي اللفظ (تعاد) واللفظ (يعيد) دتابة وأكية لا تحمل فى طياتها أى شىء جديد .

ان إحساس الشاعر برتابة الحياة إحساس كامل مطلق . فالقمر الذى يضىء له الآن هو نفس القمر الذى أضاء لآدم . بل إحساسه برتابة حياته ومللها ، وبالتالى بطولها يجعله يشعر بأنه هو آدم ، وقد مر بنا من مواقف شوقي وتشبيه نفسه بالأنبياء كثيراً .

(١) قرآن كريم - سورة هود - (آية ٦٤) .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٩

(٣) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٢٩

وكعادة شوقي فى استخدام المقابلة فى شعره كثيراً استخدم الطباق فى (الزمان القريب) و (الزمان البعيد) ليس من باب البديع فقط ، وإنما هو ظاهرة أساسية يقوم عليها بناء القصيدة ، فالمقابلة بين الزمان القريب ، أى الزمان البشرى القصير العابر ، وبين الزمان البعيد ، أى الزمان الكونى الشاسع ، تلك المقابلة التى نشأت عن وقوف الشاعر بالليل وحيداً ازاء الكون ، ومنها يقابل بين صمود القمر الأزلى وبين ما فى تاريخ البشرية من أحداث هائلة متغيرة (على صفحته حديث القرى) فهذا الجناس الذى فى العبارة واضح إذ يعتبر الشاعر سطح القمر صفحة سطر عليها تاريخ البشرية ، وهى صورة مرتبطة ارتباطاً عضوياً بما جاء قبلها من أن القمر يحصى على البشرية الزمان البعيد ، ولذلك فهو يدون ما يحصيه على صفحته . وحين يفصل الشاعر القرى والحضارات المسطر تاريخها على وجه القمر ، نجده يذكر أسماء مدن وحضارات مشحونة بالايحاءات العاطفية منها الجاهلى والاسلامى ومنها الفرعونى ، وأسماء من القرآن الكريم أو من تاريخ مصر القديم « وأيام (عاد) ودنيا (ثمود) » - ولا تعنى كلمة « أيام » الزمن فقط ، وإنما هى تذكرنا بأيام العرب ، أى الحروب والمعارك مما يقوم عليه التاريخ فى مفهوم العرب القديم . كذلك توحى لفظة « دنيا » بالمجد والعظمة فى هذه الحياة ، وكثيراً ما ورد أسماء قبيلتى عاد وثمود معاً فى شعر القدماء مثل الأعشى وطرفة وزهير ، وهما يرمزان الى المجد الغابر وزوال كل عظمة وجبروت . وتدل « عاد » أيضاً على ما هو قديم ، وما ينتمى الى فجر تاريخ البشرية ، كما فى عبارة (من عهد عاد) لذلك كان ذكر (عاد) أمراً طبيعياً مهد له ذكر آدم فى البيت الثانى من القصيدة ويرد ذكر (عاد وثمود) معاً فى القرآن الكريم ، عبرة لكل من طغى وفسد نتيجة ما أحرزه من مجد وجبروت فى هذه الدنيا . قال تعالى : « ألم توكيف فعل ربك بعاد ، أرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخرة بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد »^(١)

لقد مضت (عاد) و (ثمود) الى غير رجعة ولم تخلفا أى أثر محسوس . ولكن (طيبه) التى كانت أهلة بالملوك يوماً من الأيام ، أصبحت الآن بقعة مقفرة فى صعيد مصر يراها الجميع .

(١) قرآن كريم - سورة الفجر - (آية ٦ ، ٧) .

ولنلاحظ أن أبرز عنصر في هذا الوصف هو روعة العمارة والهندسة في « ارم ذات العماد » ولعل هذا يفسر لنا لماذا كان انتقال شوقي من عاد وثمرود الى (طيبة) بالذات عاصمة مصر الفرعونية بآثارها الرائعة ، انتقالا طبيعياً للغاية .

وقال عز وجل عن قوم عاد : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » ^(١) « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » ^(٢)

وقد اعتد شوقي بالقصص القرآني، وكان يقصد من وراء ذلك ضرب المثل واتخاذ العظة من خلال أحداث هذا القصص ، فهو حين يشبه الخليفة محمد رشاد العثماني بالنبي محمد (ص) ومقامه من الله ، فالرسول (ص) قد فضله الله على مخلوقاته وأمره بتبليغ الرسالة للبشرية لهدايتها أما الكفار فمصيرهم النار شأن كل متمرّد ، والخليفة العثماني كالرسول (ص) في مقامه، أما أعداء هذا الخليفة فمصيرهم النار إذ يقول :

هذا مقام أنت فيه محمد أعداء ذاتك فرقة في النار ^(٣)

ومقام الخليفة يقصد به شوقي مجلسه أي عرش الخلافة ، إذ شبهه بالرسول (ص) في مقامه ، حتى أن أسمه محمد نفس اسم الرسول ، وجعل الخارجين عليه مصيرهم النار . ولكن في بيت شوقي تورية ، فثمة معنى قريب يتبادر فهمه من الكلام ، والمقصود به رسول الله (ص) ، ومعنى بعيد آخر المراد به الافادة لقريته وهو الخليفة محمد رشاد . وقد استوحى ما جاء في قصة الرسول (ص) من جهاده للكفار وعقاب رب العالمين لهم، من القرآن الكريم .

وقد استخدم شوقي هذه الظاهرة وهي ما نسميها اللعب بالألفاظ حينما تحدث عن معجزات محمد، ويقصد به محمد طلعت حرب ، فقد استوحى قصة معجزات الرسول (ص) من القصص القرآني ، يقول بمناسبة افتتاح دار جديدة لبنك مصر في الإسكندرية سنة ١٩٢٩ م :

(١) قرآن كريم — سورة الذاريات — (آية ٤١) .

(٢) قرآن كريم — سورة الحاقة — (آية ٦) .

(٣) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ٤٠ .

من كسر بيت ، أو جدار سقيفة دفع الشبّات بنّاية كالفرقد ^(١)
فإذا طلعت على جلاله ركنها قل : تلك إحدى معجزات محمد
وفى اللفظ تورية أيضاً من باب اللعب بالألفاظ عند شوقي ، إذ هو يذكر لفظاً له
معنيان قريب يتبادر فهمه من الكلام ، ويبعد وهو المراد بالافادة لقريظة خفية ، فالمعنى
القريب هنا هو محمد (ص) والبعيد هو محمد طلعت حرب .

وشوقي تأثر بهذا القصص جملة وتفصيلاً ، فأحياناً يمتد تأثيره ليشمل القصة
بكاملها ، وأحياناً أخرى يشمل بعض أحداثها ليأخذ من هذه القصص مثلاً لموصوفاته .
وهنا يمكن أن نسجل ملاحظة لها أهميتها هو أن هذا التأثير الاسلامي — على تنوعه
وتعدد فروع — قد توحدت مصادره والتقت عنده الفروع ، واجتمع من حوله شعراء
الاحياء يستمدون ويتأثرون بدرجات متفاوتة حسب قربهم منه أو بعدهم عنه . ولكن
شوقي كان أكثر أقرانه تفوقاً في الناحية الدينية ، وقد ذكرنا الأسباب في أكثر من موضع
من هذا البحث . وذلك نتيجة للظروف التي يعيشونها ونظام الحكم المحيط بهم من
الخلافة الى الخديوية الى غيرهما من السلطات ، وقد استغل شوقي نهر التيار الاسلامي
بمياهه الغزيرة وفروعه المتعددة بحجمها وقوتها لينهل منه مادته الشعرية .

صور دينية :

يمكن أن نرد أوجه التشابه في مصادر الصور عند شعراء الاحياء الى الموروث
الثقافي ، فقد كان هؤلاء الشعراء ومنهم أحمد شوقي — بشكل أو بآخر — يقتبسون من
القديم ، ويستمدون منه ، وفى الحق أن النزوع نحو القديم ، أو بكلمة أدق احياءه وبعثه
كان — أيامها — موقفاً حضارياً عاماً شمل جميع مجالات الحياة ، وأوجه النشاطات
المختلفة ، وعبر عن اعتصام الوجدان الجمعي بتقاليده وقيمه أمام المد الاستعماري الذي
لم يكن غزواً عسكرياً فحسب ، بل كان غزواً حضارياً وفكرياً أيضاً : وقد أوجدت
حساسيات الفترة وظروفها — ازاء هذا الغزو بشتى صوره ومخاطره — مناخاً من نوع خاص
جعل الردة الى الموروث القديم فى أعصر نقاوته وقوته دليل صحة ثقافية ونفسية ، وملاذاً
يحمى الشخصية ويمسكها ، وبشكل مختصر جعل من احياء الموروث واستلهامه ،
استقطاباً كاملاً للتجربة العربية ، وتحقيقاً للذات القومية .

(١) ديوان شوقي — ج ٤ — ص ٢٥

ويعد (محمد سامى البارودى) رائداً لحركة الاحياء فى نطاق الأدب ، فقد كان بداية جديدة من حياة الشعر العربى خلفت فترة طويلة من الجمود لم تفده شيئاً ، وما لبث أن تلقف هذا الاتجاه الكلاسى الاحيائى جماعة من الشعراء حذوا حذوه فى موقفه من القديم أو التقليد ، وان اختلفوا واياهم فى درجة الموقف دون أن يختلفوا معه فى نوعه . هؤلاء الشعراء هم الذين نطلق عليهم « الشعراء التقليديين » ويسمى شعرهم « الاحيائى الكلاسيكى » ، ومنهم حفى ناصف ، اسماعيل صبرى ، مصطفى صادق الرافعى ، محمد عبدالمطلب ، وحافظ ابراهيم ، وشاعرنا أحمد شوقى وغيرهم . ولم يكن هذا الموقف الفنى — الوعى بالقديم والاستمداد منه — هو الموقف الوحيد فى هذه الفترة الكلاسيكية ، فقد دعمه وقوى فيه الموقف السلفى الذى قام هو الآخر على أساس المحاكاة النمطية ، ومن المعروف فى حدود هذا الموقف أن تقليد النموذج (القرآن فى أسلوبه ، والرسول فى شخصيته وسلوكه ، والدين بعامة فى قواعده وقوانينه) قيمة مقررة يؤكد عليها الدعاة والمبشرون ، ويطالب بها المصلحون الدينيون ، وهذا ما حدث فى موقف (جمال الدين الأفغانى) و (محمد عبده) فى دعوتها الاصلاحية للرجوع الى جوهر الدين .

أما القصيدة الاحيائية فهى بصورة عامة تستعمل نمطين من تقرير المعنى : النمط الحرفى الاشارى ، والنمط الصورى البلاغى . وعلاقة الأول بالثانى ما هى إلا علاقة التابع بالمتبوع أو الفضلة بالأصل ، ومعنى هذا أن الشاعر كان يفهم عمله ويقدمه على أساس ثنائى مزدوج يسير فى خطوتين متتابعتين أو منفصلتين ، فهو يعرف الفكرة فى الخطوة الأولى ، ثم يلبسها صورياً مستقلة عنها فى الخطوة الثانية . وبما أنه يعتمد — غالباً — على الموروث الثقافى فى صنعته اللغوية فان هذا الموروث يخلف خبرة ، والخبرة تستقر فى الذاكرة ، والذاكرة تمد بمخزوناتهما ملكتين أو نشاطين : نشاطاً ذهنياً ، ونشاطاً خيالياً يدور فى نطاق الأول ، والنشاط الذهنى ينتج أفكاراً أو اشارات حرفية ذات دلالات محددة ، والنشاط الخيالى ينتج الأشكال الفنية ، وعن طريق التعارض أو التقابل بين الفكرة والصورة يتشكل بناء القصيدة الإحيائية .

وشوقى كغيره من شعراء الإحياء سار على هذا النهج فى شعره ولكن فى مجموعة صور الثقافات نرى صور (الدين) عند (شوقى) تكثر بشكل بارز . وهذه الصور تمثل جانب الرؤية فى حياة الشاعر ؛ ولعل شوقى فى هذا الضرب من الصور الدينية بخلاف التقليدية

يفوق جميع أقرانه ، وتدلنا الدراسة لشعر شوقي على أن القيم الدينية في قداستها ومعطياتها تشكل جانباً من وعى الشاعر ، أما الجانب الآخر فتشكله قيم الحياة اللاهية ، وفي اندماج هذين النمطين من القيم وتلاحمهما تتكون شخصية شوقي التي يؤثر بعضهم أن يصفها بالازدواج ^(١) . ونؤثر أن نصفها بالطبيعة والاستواء ، وليس مهمتنا أن نناقش فيما إذا كان متديناً أو لاهياً ، أو الاثنين معاً وفي آن واحد ، ولكن الواضح لنا من خلال دراستنا لصوره أن ثقافته الدينية واحساساته الدينية وأفكاره الدينية تشكل حجر الأساس في رؤيته للحياة ، وسواء ارتبطت في ذهنه خمرة الدنيا بخمرة الآخرة ، أو جنة الأرض بجنة السماء ، أو جمال الأنثى الزائل بجمال الحور العين الخالدة، فهذه كلها ارتباطات تؤكد الرؤية ولا تلاشيها .

وصور شوقي الدينية المستمدة روحها من القديم تنوعت المصادر فيها ، فمنها الصور التقابلية والصور التشبيهية والكنائية وغيرها من أنواع الصور . أما المقابلة فكثيرة الاستخدام في شعر العرب ونثرهم ، فلا تكاد تخلو أعمالهم من مثال منها . « وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها البعض والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب ، على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه » ^(٢) .

وقد عد البلاغيون المقابلة من أبرز مقومات الشعر وأبين علامات جودته ، ومن خلال دراستنا لصور شوقي لاحظنا وفرة استخدامه للمقابلات وتوظيف هذه المقابلات للتعبير بها عن صوره الدينية ، وخير ما نبدأ به من مقابلاته هذا الدعاء لله تعالى . والذي قابل فيه بين الأمس واليوم ، وبين اليوم والغد ، إذ يقول :

فكن لنا اللهم في أمسنا وكن لنا اليوم ، وكن فنى غد ^(٣)

(١) أنظر مقدمة ديوان شوقي — لهيكل .

(٢) منهاج البلغاء الأدباء — حازم القرطاجنى — تحقيق محمد الحبيب بن خوجة — دار الكتب الشرقية — تونس ١٩٦٦ — ص ٥٢ .

(٣) ديوان شوقي — ج ٢ — ص ٢٥

ومن صوره الدينية التى استخدم فيها المقابلة بين مصدرين هذه الصورة التى يصف فيها غزوات الرسول الكريم فى سبيل الحق واعلاء كلمته على العكس من صورة الحرب التى يبعثها الأقوياء المتجبرين لتحقيق مطامعهم وينوء تحت ويلاتها الضعفاء من الناس لأنها حروب بعيدة عن ميدان الحق . إذ يقول :

والحرب يبعثها القوى تجبروا وينوء تحت بلائها الضعفاء ^(١)
كم من غزاة ^(٢) للرسول كريمة فيها رضى للحق أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شدة فى إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها فعلى الجهالة والضلال عفاء

قابل شوقى بين المصدرين (شدة ، رخاء) .

ولشوقى مقابلات تعتبر ذات معنى دلالى يفهم من السياق إذ يقول :

ولنجعل مصر هى الدنيا ولنجعل مصر هى الدينا ^(٢)

فالدنيا تقابلها فى اللغة الآخرة ، والدين يقابله الكفر ، ولكن الشاعر فى مقابله الدنيا بالدين حصر معنى الدنيا فى صلاح المعاش ، دون معنى المادة واللذة ، وحصر معنى الدين فى صلاح المعاد ، دون معنى الايمان والتعبد .

ويستخدم شوقى المقابلة بين الأرض والسماء ويوظف هذا الاستخدام فى صياغة صوره ، إذ أن السمااء كثيراً ما ترد عنده للتعبير عن الرفعة . أما المقابلة بين الأرض والسمااء فهو كناية عن الكون كله ، وقد قابل بين السمااء والأرض بوصفها (غبراء) عندما توجه بخطابه للرسول (ص) فى مولده إذ يقول :

بك بشر الله السمااء فزينت وتضوعت مسكاً بك الغبراء ^(٣)

قابل شوقى بين السمااء وهى اسم جامد وبين الغبراء (الأرض) وهى اسم مشتق .

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٤٠

(٢) غزاة : جمع غزوات : اسم من الغزو .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٣ .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٤ .

ومن مقابلاته بين مكانين والتي تماثل مقابله بين الأرض والسماء كما مر بنا ،
هى مقابله بين الشرق والغرب وكنى عن هذا التقابل بقوله :

فقل لرسول الله يا خير مرسل أبشك ما تدرى من الحسرات ^(١)
شعوبك فى مشرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق سبات
ضمير المخطاب لرسول الله محمد (ص) والشعوب هذه الأمم الإسلامية المنتشرة
فى الشرق والغرب يجمعها نظام واحد ، وقد قابل شوقى بين الشرق والغرب مقابلة
مكانية . ويأتى الشرق والغرب عند شوقى تارة كناية عن عموم الأمكنة ، وتارة أخرى
يعنى الشاعر بالشرق ما شمل العرب والمسلمين والعثمانيين والمصريين ، ويعنى بالغرب
ما شمل غيرهم .

ويشبه شوقى هذه الشعوب فى سياق دينى أصحاب الكهف وهم فتية آووا الى
الكهف سنين لا يعلمون من أمر دنياهم شيئاً . قال تعالى : « إذ أوى الفتية الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم فى الكهف
سنين عدداً » ^(٢)

وتكثر المقابلات عند شوقى فى قصائده المطولة التى يغلب عليها النفس الملحمى ،
كقصائده الدينية إذ يقول :

يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه (بمحمد) وضاء ^(٣)
قابل شوقى بين الصباح والمساء فى ذكره مولد الرسول (ص) وهذه عنده نوع من
المقابلات الزمنية .

وشوقى يردد دائماً علو منزلة الرسول (ص) وسموها . وعندما يصف الرسول
محمد (ص) وما يتعلق به يدخل فى مقارنة تفاضلية بينه وبين الناس الآخرين
ليوضح بأن الله فضله واصطفاه على مخلوقاته يقول :

خيل الرسول من الفولاذ معدنها وسائر الخيل من لحم ومن عصب ^(٤)

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١١
(٢) لראن كزيم - سورة الكهف - (آية ١٠ : ١١) .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٥

فقابل بين خيل الرسول (ص) والخيل عموماً لفائدة المقارنة التفاضلية بينها ،
وبيان تفوق خيل الرسول فى القوة والصلابة .

وتأتى عند شوقى المقابلات المركبة التى يوظفها فى صوره ، ففى ذكره
(جبريل) عليه السلام وهو يحمل رسائل الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد (ص)
يقابل بين التراكيب التى تؤدى دوراً مزدوجاً ، فمهما كانت القضية المطروحة متعددة
العناصر فان المقابلة المركبة تؤدى هذا الغرض ، يقول شوقى :

فلجبريل جيئة ، ورواح وهبوط الى الثرى ، وارتقاء ^(١)
قابل بين المجيء والرواح ، وبين الهبوط والارتقاء ، وفيهما معنى الحركة .

ويقابل شوقى بين (صبا الخلد) وهى أسماء الجنة وبين (صبا الدنيا) ليوضح لنا
مدى ديمومة الأول وقصر الثانى ، يقول :

فصبا الخلد كثير دائم وصبا الدنيا عزيز مختصر ^(٢)
ويقابل بين النور والظلام إذ يقول فى وصف (المعلم) :

أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلاً ^(٣)

وتأتى المقابلات فى صور شوقى لتعزيز دلالتها الایحائية أو تصوير حركة معينة فى
الانتقال من نقطة الى أخرى .

ومن صور شوقى التشبيهية التى استخدمها ووظفها لخدمة غرضه هذه الصورة الدينية
المستوحاة من أكثر من مصدر ، إذ استوحاها من التاريخ الاسلامى أولاً ، ثم من أوصاف
الأنبياء ثانياً ، والصورة هى وصف للعلم التركى ، يقول :

هذا الهلال الذى تحيون ليلته أبهى الأهلة عند الله ألواناً ^(٤)

... ..

(١) ديوان شوقى — ص ٣٠

(٢) نفس المصدر السابق — ص ١٢٥ .

(٣) نفس المصدر السابق — ص ١٢٥ .

(٤) ديوان شوقى — ص ٣٠

لحامليه جلال منه مقتبس
 كأن ما أحمر منه حول غرته
 كأن ما أبيض في أثناء حمرة
 كأنما رفعوا للناس قرأناً
 دم البرى زكى . الشيب عثماناً
 نور الشهيد الذى قد مات ظمأناً

كأنه من جمال رائع وهدى
 كأنه وردة حمراء زاهية
 خدود يوسف لما عف ولهاناً
 فى الخلد قد فتحت فى كف رضواناً

والى جانب استخدام التاريخ وأوصاف الأنبياء اعتمد فى صورته على ابراز اللونين الأحمر ليقابله بالأبيض ، فالأحمر يشمل (احمرار الوجه حول الغرة والورد وخدود يوسف) ، وهناك رابطة لونية بين الدم والورد والخدود . والبياض يشمل (شيب عثمان ونور الشهيد ويقصد به الحسين بن على) . وهى تقابلات يرد بعضها الى تداعى المعانى لديه ويرد بعضها الآخر الى طبيعة شوقى الانسانية التى كانت تجمع بين الضدين . ونستطيع أن نعلم هذه الملاحظة على جميع مقابلاته كمقابلته الضوء بالظلام ، والضحك بالبكاء ، والموت بالحياة ، وهذا ينطبق على معظم صوره ولاسيما صوره التى يرثى بها ويتفنن خلالها فى تقديم صور الأفياء والأطياف والألوان على خلفية اشارية متكلفة التركيب .

ويعمد شوقى الى استخدام أداة التشبيه (كأن) فى معظم صوره لخلق هذه الصور كما مر بنا فى الأبيات السابقة ، ولكن الصور التى خلقها وأتى بها بشكل تراكمى — هذه الصور — لم تجعل متنفساً للقارئ بتلاحقها لذا يصح أن نطلق عليها (صوراً تراكمية) وهذا التراكم جاء صدى لما هو متراكم فى ذهنه من صور للتاريخ والأعلام يريد أن يخرجها بغض النظر عن ملائمتها أو عدمها .

ومن صوره التراكمية ما أورده من أبيات فى قصيدته (صدى الحرب) وهى فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية . يقول :

كأننا أسوداً رابضات كأنهم
 قطع بأقصى السهل حيران مذئب (١) (٥)

(١) ديوان شوقى — ج — ص ٣٠

يكرر شوقي (كأن) ست عشرة مرة الى أن ينتهى منها فى قوله :

كأن الوغى نار ، كأن بنى الوغى فراش ، له فى ملمس النار مأرب ^(١)

وهذا اللون من الصور التراكمية ذات الطبيعة التشبيهية التسجيلية يتميز عند شوقي بأنه أقرب الى البناء الحرفى الاشارى المباشر منه الى البناء الصورى الموحى ، والشاعر يدرك أنه يقدم علاقة شبه بين موضوعين لكن علاقة المقارنة لا ترتبط بالنفس الشاعرة ولا تمت إليها بصلة .

وعلى غرار الصور التشبيهية التراكمية فان لدى شوقي جملاً شرطية تراكمية أيضاً وردت بشكل تركيبى تصويرى مكونة أبياتاً من قصيدة (الهمزية النبوية) إذ يقول مخاطباً الرسول (ص) :

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنواء ^(٢)
وإذا رحمت فأنت أم ، أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فأنا هى غضبة فى الحق ، لا ضغن ولا بغضاء

ويكرر شوقي (إذا) الشرطية فى الأبيات الأربعة عشر من القصيدة الهمزية ، وكل بيت يستهله بحرف العطف النسقى (الواو) ، وهنا محاولة منه لاستيفاء جوانب كريمة من أخلاق الرسول (ص) لفاقتضاه تفصيل هذه الجوانب أن يكرر الشرط . هذه الظاهرة وهى (الصور التراكمية) تكررت لدى شوقي كثيراً فى شعره وتعتبر لديه من باب الظواهر الأسلوبية .

ومن صور شوقي التى استخدم فيها التشبيه ليجعل التعبير ممكناً هذه الصور :

تاهت (فروق) ^(٣) على العواصم ، وازدهت بجلوس أصيد ^(٤) باذخ المقدار ^(٥)
(جم الجلال ، كأنما كرسيه جزء من الكرسي ذى الأنوار)

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٥٤ : ٥٥ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٣٥ .

(٣) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٢٩ .

(٤) (فروق) : الأسماء .

جعل الخلافة كأنه جزء من عرش الله (الكرسي ذى الأنوار) وقال تعالى :
« وسع كرسيه السموات والأرض »^(١)

وشوقى شغوف بالتشبيه بالأنبياء فى شخصياتهم والأحداث المحيطة بهم ، ويتخذ من الأنبياء نظائر لموصوفاته . فقد صور خوفه وفزعته على الأبناء الصغار وهم ذاهبون صباحاً بالقطار الى المدارس وعائدون مساء ، وحتى صفيّر هذا القطار يسبب له الفزع لأنه سلاح ذو حدين فهو واسطة نقلهم لتلقى التعليم ، وفى نفس الوقت مصدر خطر عليهم ، إذ شبه شوقى القطار بالذئب الذى ادعى أخوة يوسف (ع) لدى أبيهم يعقوب أنه أكل ابنه ، والى هذا تشير الآية الكريمة : « يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون . أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون »^(٢)

يقول شوقى :

يعقوب من ذئب بكى مشفقاً فكيف أنياب الحديد الحداد^(٣)

هذا التشبيه الذى أورده شوقى فى هذه الصورة هو تشبيه ضمنى خفى ، من أساليب التضمين التصويرى عند شوقى ، وهى الإشارة الخاطفة الى أحداث قديمة تنتمى الى سجل الثقافة العامة .

ويشبه شوقى كذلك السلطان العثمانى (عبدالحميد) بالنبى (عيسى المسيح) عليه السلام فى احيائه الموتى بما أوتى من معجزات بقدرة الله تعالى ، إذ أن للخليفة معجزاته فى احياء ما درس من الآثار واحياء عرش الخلافة ، إذ يقول :

فأحييت ميتا ، دارس الرسم غابرا كأنك فيما جئت عيسى المقرب^(٤)

مديح الخلفاء واضفاء صفة النبوة عليهم والقداسة ماهى إلا صدى لعاطفة شوقى التركية ، وكيف لا وهو القائل فى مقدمة ديوانه « أنا إذن عربى تركى يونانى شركسى » ، وهو القائل :

(١) قرآن كريم — سورة البقرة — (آية ٢٥٥) .

(٢) قرآن كريم — سورة يوسف — (آية ١١ : ١٣) .

(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١١٦ .

وزينب^(٥) ان تاهت وان هي فاخرت فما قومها إلا العشير المحبيب^(١)
يؤلف ايلام الحوادث بيننا ويجمعنا في الله دين ومذهب
ومن صوره الدينية هذا التشبيه التمثيلي الذي يشبه به الرسول محمد (ص) وعموم
المصلحين باليد وأصابعها ، يقول :

المصلحون أصابع جمعت يدا هي أنت ، بل أنت اليد البيضاء^(٢)
ومن قوله يمدح الرسول (ص) صورته التشبيهية هذه :

وبدا محياك الذي قسماته حق ، وغرته هدى وحياء^(٣)
جمع شوقي في الصورة السابقة بين تشبيه قسمات الوجه بالحق وتشبيه الغرة بالهدى
والحياء .

ولشدة اعجاب شوقي بالأنبياء وما يفعلون لم يترك حادثة تمر ولا أى موقف إلا
يستغله في التشبيه بالأنبياء ، حتى أنه شبه (الصليب الأحمر) وهي المنظمة الدولية
التي تشارك في اغاثة المصابين في الكوارث والحروب بالنبي (ابراهيم الخليل) عليه
السلام . يقول :

وإذا الوطيس رمى الشباب بناره خض (كالخليل) إليهم النيرانا^(٤)
وفي بعض صور الشاعر التشبيهية نراه يستوحى أفكاره من بعض أحاديث الرسول
(ص) ، كقوله وهو يخاطب بنى عثمان (الترك) ويوصيهم بجيرانهم من المقاتلين في
طرابلس ضد الغارة الايطالية :

يا قوم عثمان — والدنيا مداولة — تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا^(٥)
كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به فإله قد جعل الاسلام بنياناً

(١) نفس المصدر السابق — ص ٤٦ .
(٥) زينب : كناية عن بنى عثمان .
(٢) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٣٤ .
(٣) ديوان شوقي — ج ١ — ص ٣٤ .
(٤) نفس المصدر السابق — ص ٢٧٨ .
(٥) نفس المصدر السابق — ص ٢٤٥ .

فهو يشبه المسلمين فى تعاضدهم بالجدار يقوى الجدار من قول الرسول (ص) :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ^(١) . وحديث الرسول نفسه يشبهه شوقى
(بالمشرع) أى مورد الحياة وما هو إلا سبيل سعادة الانسان . يقول :

أما حديثك فى العقول فمشرع والعلم والحكم الغوالى الماء ^(٢)
ويجمع شوقى صوره التشبيهية بين اسم الله تعالى واسم الرسول (ص) ليشبههما
بالحروف الأبجدية من حروف المعجم (الألف والباء) وذلك لتصدرهما المعجم ، فاسم
الجلالة هو (الألف) واسم الرسول (ص) هو (الباء) لآتيانه فى المرتبة الثانية
بعدها يقول :

اسم الجلالة فى بديع حروفه الف هنالك ، واسم طه الباء ^(٣)
أما أعلام التاريخ الدينى فقد اتخذ منها شوقى مادة تصويرية لتشبيهاته ، ومنها
(بلقيس) ملكة سبأ فى أرض اليمن ، وقصتها مع النبى سليمان (ع) معروفة ، فقد
صور بها الاشراق أحيانا فى الانسان كقوله من قصيدة (الانقلاب العثمانى) :

أين الأوانى فى ذرا ها من ملائكة وحوار ^(٤)

... ..

المتراعات من النعيم ، الراويات من السرور

... ..

من كل بلقيس على كرسى عزتها الوثير

وفى صورة أخرى شبه الشمس ببلقيس وهى من صور الطبيعة وهذا عند شوقى من
أنواع التشبيه المعكوس . يقول :

والشمس تختال فى العقيان تحسبها (بلقيس) ترفل فى وشى اليمانينا ^(٥)

(١) زبدة البخارى — عمر ضياء الدين — ص ٣١٥ — مطبعة مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٤٩ هجرية .

(٢) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٣٤ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) ديوان شوقى — ج ١ — ص ١٢٠ .

(٥) نفس المصدر السابق — ج ٢ — ص ١٠٧ .

مما سبق أن استعرضناه من صور شوقى التشبيهية يتضح لنا التوافق بين طبيعة الشكل والموقف العام عنده ، لكن التشبيه فى بعض الصور قد جر عليها الكثير من المساوىء ويتجلى ذلك خاصة فى الاتكاء على الآلية والتكرارية كما سبق أن ذكرناه فى بعض صوره والتسجيل الفوتوغرافى أحياناً ، والرصد الخارجى لبعض الصفات العارضة أحياناً أخرى ، والظواهر المشتركة جزئياً أو كلياً بين الموضوعات ، فما المتشابهات عنده إلا نعوت يرصدها الشاعر ويضيفها ، وهى ظاهرة أسلوبية تكررت لدى شوقى كثيراً .

ومن صور شوقى الدينية والتى وظفها لخدمة غرضه ، هذه الصورة المستوحاة من القرآن الكريم وهى فى رثاء (عبد الحميد أبوهيف) المتوفى سنة ١٩٢٦ م ، فقيد العلم والقانون ، وكان أستاذاً بكلية الحقوق وله موقف مشرف فى معارضة مشروع ملئر لذا فهو يعتبر من المجاهدين يقول شوقى :

الفلك بعد العسر يسر أمرها	واستقبلت ديح الأنور رخاء ^(١)
وتأهبت بك تستعد لزاخر	تطأ العواصف فيه والأنواء
رجعت براكبها الى ربانها	تلقي الرجاء عليه والأعياء
فاشدد بأرباب النهى سكانها	واجعل ملاك شرعها الأكفاء

استعار شوقى صورة الفلك لمصر ، وهى صورة تتضمن وصف هذه الفلك وهى تسيير فى البحر بمن فيها ، وما هى إلا الصورة السالبة للصورة الحق وهى مصر ، أما استمداد شوقى من المعجم القرآنى بقوله : « بعد العسر يسر » فقد أشارت إليه الآية الكريمة : « سيجعل الله بعد العسر يسرا » ^(٢)

واعتمد شوقى على عناصر الطبيعة فى بعض صوره الدينية ، وكما مر بنا أن الطبيعة تعتبر من أكبر مصادر التصوير عنده وهى الاطار الأول الذى استهلم منه مثله العليا ليقدربها حقائق الأشياء ، فمن عناصر الطبيعة النور وما يتصل به من أشياء ، وهو رمز للاشراق والخلق والحياة ، أما النار وهى العنصر المضىء الآخر فتأتى فى الصورة السلبية إذ أنها رمز للهلاك والموت ، وقد اتجه شوقى الى الحياة وأسبابها أكثر من اتجاهه الى الموت ، وقد يعود السبب فى ذلك الى حياته المترفة اللاهية التى عاشها فى بلاط الحكام العثمانيين ،

(١) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١١ .
(٢) قرآن كريم - سورة الطلاق - (آية ٧) .

إذ أنه لم يعان من تجربة شخصية إلا عندما نفى الى خارج مصر، عندها شعر بقيمة الحرية والحياة ، وهذه تعتبر نقطة تحول فى حياته ، مما ترك أثراً واضحاً على شعره بعد المنفى .

وقد استغل شوقى عناصر الطبيعة هذه ليوظفها فى صوره فنراه يشبه (الذكر والسنة) بالنور ، يقول :

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة فما بالهم فى حالك الظلمات؟^(١)
أما الوحي الذى أنزله الله على رسوله (ص) فيستعير له شوقى صورة (المطر)
استعارة مكنية وهو من باب استخدام عناصر الطبيعة يقول :

والوحي يقطر سلسلا من سلسل واللوح والقلم البديع رواء^(٢)
وقد وصف شوقى الانسان بكثير من عناصر الطبيعة الجامدة ، عندما وصف رجلا
ممدوحاً بقوة أدبية أو مادية أو معنوية ، قال مشبهاً السلطان عبد الحميد بالوابل فالمنهل
فالصيب :

وأن أمير المؤمنين لوابل^(٣) من الغوث ، منهل^(٤) من الخلق صيب^(٥)
رأى الفتنة الكبرى فوالى انهماله فبادت ، وكانت جمرة تتلهب
والطبيعة لدى شوقى فى بعض صوره حية متحركة ، نابضة ، تسمع وترى ،
وتتكلم ، فهى أشخاص تمتلئ بالحياة . فياخذ هذه العناصر ويوظفها لرسم
صورة تشخيصية لموصوفاته ، يقول وهو يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه الى الأستانة
قادماً من أوربا :

كشف الغطاء عن (الطرول) وأشرقت منه الطبيعة غير ذات ستار^(٦)
شبهتها (بلقيس) فوق سريرها فى نضرة ومواكب وجوارى

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٠١ .
(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٤ .
(٣) نفس المصدر السابق - ص ٤٧ .
(٤) وابل : المطر الشديد .
(٥) منهل : مورد الشرب .
(٥) صيب : السحاب .
(٤) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣٧ .

أو (بابن داود) وواسع ملكه ومعالـم للعز فيه كبار
هوج الرياح خواشع فى بابـه والطير فيه نواكس المنقار
قامت على ضاحى الجنان كأنها رضوان يزجى الخلد للأبرار

هذه الصورة للطبيعة ، تحفل بالشخصيات ، فقد تحولت الطبيعة عند الشاعر الى أناس ، فهى بلقيس (أعلام تاريخ دينى) ، وهى (ابن داود) النبى سليمان (ع) ، وهى (رضوان) حارس الجنة ، فهو فى وصف الطبيعة زاوج بينها وبين التاريخ الدينى ، كما فعل حينما زاوج بين مصر الفرعونية ومصر القرآنية ، إذ هى ظاهرة لمسناها عنده فى معظم شعره ، وقد زالت الحواجز لديه بين عالم الانسان ، وعالم الطبيعة ، وتحول الصامت الى حى عاقل متحرك ، فكانت هذه الصورة التى تمثل رؤيته للطبيعة دون أن تكون هناك صلة وجدانية تربطه بها ، كما هى الصلة التى تربط شعراء الرومانسية فى حبهم وتعلقهم بالطبيعة ، فالرومانتيكى يرى الطبيعة من خلال مشاعره ، ويضفى عليها صبغة نفسه ، ويقابل بين مناظرها واحساساته ، ولكن شوقى وهو الشاعر الكلاسيكى لا ينظر لها هذه النظرة ، إنما يصف مناظرها بصورة تسجيلية تخلو من الانفعال الوجدانى . ولكنه نجح فى جعل صورته تشخيصية عندما جعل الطبيعة تحفل بالشخصيات المتحركة .

ويستخدم شوقى التشبيه المعكوس فى هذا البيت ، إذ يشبه الطبيعة ببلقيس :
شبهتها (بلقيس) فوق سريرها فى نظرة ومواكب وجوارى^(١)
ويمائل هذا التشبيه قوله فى قصيدته (تحية شكبير) ، إذ يشبه المعانى الجميلة بعيسى (عليه السلام) :

من كل بيت كآى الله تسكنه حقيقة من خيال الشعر غراء^(٢)
وكل معنى كعيسى فى محاسنه جاءت به من بنات الشعر عذراء
والقيم الدينية المستمدة من الاسلام . نجد مصطلحاتها تتردد فى صور شوقى المستمدة من الطبيعة ، فالطبيعة الجميلة تبدو (كأم الكتاب) وهى سورة الفاتحة :

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٢٧ .
(٢) نفس المصدر السابق - ص ٧ .

الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار^(١)
من كل ناطقة الجلال كأنها أم الكتاب على لسان القارى

جعل شوقى هذه الآيات وتلك الآثار فى عظمة (أم الكتاب) يتردد اسمها مع كل
لفتة كما تتردد أم الكتاب (الفاتحة) على لسان المصلى مع كل سورة (وأم الكتاب)
كناية عن سورة الفاتحة

ومن القيم الدينية والمصطحات الاسلامية مثل التقوى ، ومثل الجنة ، والنار ،
وهما طبيعة ، استخدمها كصفات يجب أن تتجلى بها الفتاة ، أن تكون خطواتها تقوى ،
وسفورها للجنة ، وتلفتها عن النار . يقول :

أبدأ (فروق) من البلاد هى المنى	ومناى منها ظبية بسوار ^(٢)
ممنوعة إلا الجمال بأسره	محبوبة إلا عن الأنظار
خطواتها التقوى فلا مزهوة	تمشى الدلال ولا بذات نفار
مرت بنا فوق الخليج فأسفرت	عن جنة وتلفتت عن نار

ومن عالم الطبيعة المتحركة والتي منها الحيوان يستمد شوقى بعض صوره. كمصدر
كناية عن بعض موصوفاته من باب التعريض ، أى أنه يأتى بالصورة ويشير بها الى معنى
آخر يفهم من السياق إذ يقول :

الخيـل تأبى غير (أحمد) حاميا	وبها إذا ذكر اسمه خيلاء ^(٣)
شيخ الفوارس يعلمون مكانه	ان هيجت أسادها الهيجاء .
وإذا تبصـدى للظى فمهند	أو للرماح فصعدة سمراء
وإذا رمى عن قوسه فيمينه	قدر وما ترمى اليمين قضاء
من كل داعى الحق همه سيفه	فلسيفه فى الراسيات مضاء

(١) نفس المصدر السابق — ص ٣٧ .

(٢) ديوان شوقى — ج ٢ — ص ١٢٦ .

(٣) نفس المصدر السابق — ج ١ — ص ٣٤ .

ساقى الجريح ومطعم الأسرى ومن أمن سنابك خيله الأشلاء
ان الشجاعة فى الرجال غلاظة ما لم تمزنها رافة وسخاء

عرض شوقى فى مطلع صورته هذه، بطريقة الحديث عن الخيل وتشخيصها، بمحمد رسول الله وبسالته فى الجهاد ، والملاحظ أن صورة شوقى بعامة يتظافر فى أبياتها النغم الاسلامى ، والاستبطان الجاهلى على سبائك اللفظ والتركيب والدلالة ، وذلك أن نسيج الأبيات يغوص بنا فى أغوار القاموس التاريخى البعيد ، والسرفيه أن شوقى قد عطف على أطراف الجهاد بمغازيه الاسلامية ، صور الحرب والفروسية كما رسمتها ريشة رسام أيام العرب وحفظتها لنا مطولات الشعر الجاهلى ، فجاء القديم والحديث عنده فى هذه المزاوجة الأسلوبية التى زادت المعنى قوة .

وشوقى اتخذ عالم الطبيعة رمزا يوظف صورته لخدمة غرضه مثل معالجة بعض القضايا الانسانية ، ورصد حركة التاريخ ، وتسجيل الواقع المصرى بكل همومه وطموحاته . إذ أن شوقى عانى من تجربة أثرت فى حياته وهى نفيه لأسبانيا . وهذه الفترة تعتبر نقطة تحول فى حياته وفى شعره أيضاً ، ففى غربته وبعده عن بلده أحس بالفقد ، واحساسه بالفقد هذا وقد ولد لديه شعور بالحنين لوطنه ، لأنه عاش التجربة نفسها بعد أن كان لاهياً متنقلاً فى قصور الخديوية ، وتحول بعد النفى الى شاعر الشعب الناطق بلسانه ، المدافع عن قضيته وكفاحه ، ولكن يبقى هناك سؤال يفرض نفسه . هل الظروف والتجربة هى التى فرضت على شوقى هذا التحول الشعرى ووقوفه مع الشعب ، أم أن الموقف قد اختاره هو بنفسه بعد طول معاناة ؟ ان ما نستطيع الاجابة به فى مثل هذا الموقف هو حكمنا على أعمال شوقى التى قالها فى الثلث الأخير من عمره بأنه أصبح شاعر الشعب والناطق بلسانه ، والعبرة بهذه الأعمال والحكم عليها .

ولشوقى بعض المصطلحات من وحى ثقافته الدينية يستخدمها لتؤدى وظيفة دلالية باعتمادها على الايجاز أو التحليل فى تأدية المعنى ، فقد استخدم مصطلح — (الحقيقة الزهراء) ليعبر به عن وجود الله وتوحيده ، وكان يمكن ان يعبر عن وجود الله بلفظ واحد دون تعدد ألفاظ ، ولكن شوقى يستخدم هذا اللون من المصطلحات كظاهرة أسلوبية لديه أولاً ، وليبين أنه ليس أقل من غيره ثقافة دينية ثانياً حيث يقول :

ذهبوا في الهوى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء^(١) ^(٥)
 واستخدم كذلك مصطلح (النواذب الغر) ليعبر عن (القرآن والسنة) ، يقول :
 أشرف المرسلين ، آيته النطق مبيناً ، وقومه الفصحاء^(٢)
 أما السلطان العثماني فقد جعله شوقي (كهف الدين) وهذه صفة مميزة للسلطان
 في نظر شوقي ، يقول :
 فلازلت كهف الدين ، والهادى الذى الى الله بالزلفى له نتقرب^(٣)
 أما اصطلاح (الذى قهر القيصرين) فقد استخدمه شوقي معادلاً لاسم الجلالة
 الله ، يقول :
 وعند الذى قهر القيصرين مصير الأمور وأحيانها^(٤)
 كذلك اصطلاح (الذين بالحق جاءوا) عبر به عن المسلمين بقوله :
 يوم سار الصليب والحاملوه ومشى الغرب : قومه ، والنساء^(٥)
 يضمرون الدمار للحق ، والناس ، ودين الذين بالحق جاءوا
 ومثل هذه الاصطلاحات كثيرة فى شعره ، وهذه ما يعبر عنها بالبلاغة القديمة
 (الكناية) ، أما عند شوقي فتعتبر من المميزات الأسلوبية عنده ، وظاهرة بارزة فى
 شعره تميزه على غيره من الشعراء، يعتمد بها على ثقافته الدينية ، ويعتمد على مدى
 احتفاظه بالموروث ، وإذا جاز لنا تسميتها فهي عند (الدوران فى الأداء الفنى) ليس
 غيره ، إذ أنه يستطيع اللعب بالألفاظ وهذه ظاهرة أشرنا لها فيما تقدم ، ويستطيع أن

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٥٤ .

(٥) الحقيقة الزهراء : هى وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة المصريين ، فكانوا فى أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برموز صارت فيما بعد معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التى لها تأثير محسوس فى حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة فى أجساد الحيوان ، فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٠ .

(٣) نفس المصدر السابق - ج ١ - ص ٥٨ .

(٤) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٦٢ .

(٥) نفس المصدر السابق - ج ١ - ص ٢٢ .

يدور في أدائه الفن ، يأخذ بعض الصور الجاهزة التقليدية دون أن تنتزع من علاقاتها القديمة ويستعملها في صوره ، أما البعض الآخر من هذه الصور الجاهزة التقليدية فيأخذها وينتزعها من سياقاتها الماضية وتوضع عنده في سياقات أخرى تندمج فيها بوصفها متكاملة من جديد ، ولكن مع ذلك فهي تعد صوراً جاهزة قد اكتسبت قيمة جديدة حين أدمجت في علاقات جديدة، أو حين أصبحت جزءاً كينافاً في تخطيط كينافى جديد ، وهذا شأن كل شعراء الاحياء أو شعراء (الكلاسيكية الجديدة) فى اقتباس صورهم . وهذه الظاهرة برزت عند الشاعر أبى تمام وهى ظاهرة الكناية (الدوران) ، إذ قال وهو يمدح الخليفة المعتصم العباسى :

الى قطب الدنيا الذى لوبفضله مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله (١)

والرمز عند شوقى درجة ليست بعيدة عن اللغز ، والرمز فى البلاغة العربية درجة قصوى من درجات الكناية ولكنه استخدمها بطريقته إذ أتى برمز خاص لم نعثر عليه فى استعمالات غيره من الشعراء ، وهو صعب جداً ولا يعرف إلا بالاجتهاد ، فقد رمز لحديث الرسول بقوله :

هو صيغة الفرقان ، نفحة قدسيه والسين من سوراتيه والراء (٢)

قد كنى بالسين والراء عن حديث الرسول ولكن ما العلاقة بين الطرفين ؟

قد يقصد شوقى بهذا أن السين والراء من مكونات كلمة (سر) وحديث الرسول (ص) هو نوع من البلاغة فيه سر من قدس الله . وهذا رمز قد أتى به شوقى أقرب الى الألفاظ المبهمة .

ولشوقى عدة مواقف ينادى فيها بالمساواة بين الاسلام والمسيحيين، فقد كرر ذلك أكثر من مرة فى شعره ، والى (الاسلام) استخدم (الهلال) فهو رمز التسامح والى (المسيحية) رمز (بالصليب) كشعار للمحبة والسلام ، وهذين الرمزتين استخدمهما كدعوة لاتحاد هذه العناصر من مسلمين ومسيحيين، يقول وهو يحث الشباب على التعاون والاتحاد ولعلها كانت أول دعوة لحث هذه العناصر على الاتحاد :

(١) ديوان أبوتمام - ج ٣ - ص ٢٥ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٣٤ .

والى الله من مشى بصليب فى يديه ، ومن مشى بهلال (١)

ويشابه موقفه السابق فى دعوته للاتحاد بين المسلمين والمسيحيين هذا الموقف وهو ذكر مسجد (أيا صوفيا) فى استانبول وقصة تحويله من كنيسة من باب اهتمامه بالآثار أولاً ثم ابدائه رأى المساواة بين الأخوان من مسلمين ومسيحيين ثانياً ، إذ لا فرق بين الأنبياء فى توصيل رسالتهم ، ولا فرق بين شعوبهم . ومسجد (أيا صوفيا) كان كنيسة فى الأصل ، فحواله المسلمون الى مسجد بعد فتح القسطنطينية بعد أن أضفوا عليه الصبغة الاسلامية بادخال بعض الترميمات ، فالموقف دقيق بالنسبة لشوقى ، فتحويل كنيسة الى مسجد من الأمور الحساسة . ومعروف أن عمرو بن الخطاب (رض) عندما تسلم مفاتيح بيت المقدس رفض الصلاة فى كنيسة القيامة عندما دعاه القساوسة للصلاة فيها ، وعلل ذلك بقوله : « حتى لا ينازعكم عليها المسلمون من بعدى » وصلى خارج الكنيسة فبنى المسلمون مكان صلاته مسجداً سمي (مسجد عمر) ، ولما وقع عمر مع النصارى العهدة العمرية كان مما ذكره فيها (وألا تهدم كنائسهم وبيعهم وألا يفتنوا عن دينهم) . فكيف حول المسلمون كنيسة أيا صوفيا الى مسجد؟!

عندما دخل محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م أمر بفتح المدينة ، وتحويل الكنيسة الى مسجد (٢) . وشوقى كعادته استطاع بذكاء ايجاد حل يرضى الطرفين بشعره إذ قال :

كنيسة صارت الى مسجد هدية السيد للسيد (٣)
كانت لعيسى حرماً ، فانتهدت بنصرة الروح الى أحمد

هذه المواقف يعبر عنها شوقى بحسن تخلصه كما فعل فى مسألة صلب المسيح عليه السلام إذ قال :

ملك جاور التراب فلما مل نابت عن التراب السماء (٤)

(١) ديوان شوقى - ج ٦ - ص ١٩٠ .

(٢) محمد الفاتح - د . سالم الرشيدى - ص ١٤١ وما بعدها - ط ٣ - دار العلم للملايين - ١٩٦٩ م - بيروت .

(٣) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٢٥ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨ .

ويمكن أن نعد ارتياح شوقي للتعبير الجاهزة والاقتباس من الموروث مظهراً من مظاهر التقليد في شعره ، وقد قال بعض النقاد أن لهذا قيمة أسلوبية لا تنكر ، ونضيف الى هذا أن شوقي استطاع أن يوظف امكانية اللغة الصوتية الى أبعد حد ، واستطاع أن يخلق ايقاعاً متميزاً متعدد الدلالات ، وقد زواج بين هذه الامكانية وهندسة البيت في الشعر العربى ليخلق من الايقاع فعلاً شعرياً ، وهذه الميزة لم تستقم لغيره من شعراء جيله ، فلولا هذه الموسيقى العالية، والتي تعتبر استغلالاً للطاقة الصوتية، لما تحقق هذا التوازن في شعره ، إذ أن الطاقة الصوتية العالية تعتبر من أبرز مولدات الشعر لديه .

مما سبق واستعرضناه من صور شوقي لاحظنا أنها تتسم بالطابع الكلاسيكى أو ما يسمى بالكلاسيكية الجديدة التى تحاول المزاجية بين القديم والحديث ، لكن شوقي كان صادقاً مع نفسه ومع المرحلة التاريخية التى عاش فيها . ومهما يكن من أمر فالموروث القديم طبع الفكر الكلاسيكى بطابع معين ويبدو ذلك ماثلاً بصورة واضحة أثناء حديث شوقي عن المعطيات الحضارية فى قصائد تقليدية تعتبر من معطيات التراث العربى الذى انفع به شوقي كثيراً ، فنهل من معينه ، وهضمه ، وتمثله ، ووعاه ، وكان لذلك أثره البالغ على رصانة لغته ، وجزالتها ، وموسيقاه الصوتية ، وهى الصفات التى اتفق نقاد شوقي جميعاً على تمتعه بها ، وصدارته فيها . غير أن تمثل التراث والوعى به لم يتوقفا عند حدود البناء الصوتى والموسيقى وإنما تجاوزته الى صوره العامة التى رفدتها معطيات التراث بحيث وجدناه فى وصف أكثر الأمور عصرية وحداثة ، يقرنها بصور التراث العربى والاسلامى ، يقول فى وصف الطائرة التى أقلت الطيارين (فدرين) و (يونيه) من باريس الى مصر سنة ١٩١٤ م :

مركب لو سلف الدهر به	كان احدى معجزات القدماء (١)
...	...
...	...
...	...
مسرّج فى كل حين ملجم	كامل العدة ، مرموق السرواء
كبساط الريح فى القدرة أو	هدهد السيرة فى صدق البلاء
أو كحوت يرتضى الموج به	سابع بين ظهر وخفاء
...	...
...	...
...	...

(١) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٤ .

يتراءى كوكبا ذا ذنب فاذا جمد فسهما ذا مضاء
فاذا جحاز الشريا للشرى جر كالتاوس ذيل الخيلاء
يملأ الآفاق صوتاً وصدى كعزيف الجن فى الأرض العراء

فالصورة هنا مستمدة من التراث العربى فى التشبيه حيث نجد السرج الملجم ،
وبساط الريح ، والهدهد ، والسهم الماضى ، والطاوس ، وعزيف الجن ، وكلها صيغ
جاهزة فقدت نضارتها بكثرة الاستخدام واعتمادها على التشابه الخارجى دون أن تنفذ الى
حقيقة الأشياء ووقعها على الذات الشاعرة .

وحين يستخدم شوقى كلمات مثل بساط الريح ، الهدهد ، الحوت، ويحاول ايجاد
علاقة بينها تبدو كلها تداعيات ذات وشائج دينية . وقد يلحقها اضطراب فنى واضح ،
فليس بين الهدهد والطائرة أو الحوت والطائرة علاقة تشابه حسى أو معنوى ، ولكنه حين
استدعى المعنى الدينى ظهر هذا التشابه الباهت فى صدق الأخبار بالنسبة للهدهد ، ولهذا
سماه أو حدده بأنه هدهد السيرة . قال تعالى : « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى
الهدهد أم كان من الغائبين » ^(١) .

مما سبق يتضح لنا أن صوره الدينية جاهزة ومتراكمة ومكررة ، مفككة فى بعض
الأحيان ، ويمكن تفسير ذلك بأن نربط الموضوع بشيئين : أولهما خضوع الفنان الشعر
والرسم الى روح اعلائية عامة أو اقترابهما من بعضهما البعض فى استخدامهما لأدواتهما
(الألوان والأشكال البيانية) . وثانيهما محاولة من الشاعر دائبة لظهار براعته التى
جره إليها اعتقاد قديم وهو أنه من تمام البراعة فى الشعر القدرة على التشبيه وغيره من
الأشكال البيانية .

* * *

(١) قرآن كريم — سورة النمل — (آية ٢٠) .

المعجم الشعري :

الشعر بناء ، والكلمات ليست إلا لبنات هذا البناء ، والشاعر المجيد بمثابة المهندس البارِع يكون حظه من البراعة بمقدار استغلاله لكل الامكانات في تشييد بنائه وتسخير كل ما يراه مناسباً لتأسيسه وتأمين تماسكه . وبقدر ما يبرع الشاعر في تعامله مع الكلمات يكون حظه من الفن والشاعرية ، ويحكم له أو عليه على هذا الأساس . من هنا تأتي أهمية المعجم الشعري ، أو العناصر الأساسية التي يشكل منها الشاعر قصائده ومقطوعاته . وهذه العناصر تتمثل في مجموعة الكلمات التي يستخدمها ، والصور التي يبتدعها أو يقلدها . وكذلك الرموز التي يستوحىها فيوظفها لخدمة هذا الغرض أو ذاك .

والقراءة الفاحصة التي تسترشد تحليل النصوص ومحاولة فهمها في ضوء الأطر اللغوية والأسلوبية بمعناها الدلالي الواسع انما تؤدي الى تجنب التعميمات المعيبة ، وهي التي جثمت على صور نقدنا العربي قروناً طويلاً في القديم والحديث ، بل وضعته دائماً موضع اتهام بالعمومية والذاتية والتأثرية .

ان التحليل اللغوي للشعر يؤدي غالباً — إذا أحسن استعماله — الى نتائج أكثر موضوعية وحيادية ، لأنه في جوهره انما يعتمد على قيم موضوعية ملموسة ومنزهة عن كل الأغراض .

بهذا الهدف وفي ضوء كل تلك الحقائق ، نرصد طبيعة المعجم الشعري الديني عند شوقي ، أبعاده وخصائصه ، وذلك من خلال منظور لغوي خالص ، قد يغفل عمداً أن يتعرض للعوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها مما كان له تأثير في بلورة الشاعر لمعجمه .

التكرار والمقابلة :

من أهم ما يميز المعجم الشعري لدى شوقي ظاهرتا التكرار والمقابلة ، ففي الأولى نجده يكرر في البيت الواحد كلمة أو تركيبها أو حتى جملة بأكملها ، وفي الثانية نجده يأتي في البيت الواحد بالكلمة ومقابلها أو عكسها أو مرادفاتها . والتكرار ظاهرة بلاغية تأتي غالباً للمدح ، والتهديد والوعيد ، والتوكيد ، ووردت ظاهرة التكرار في القرآن

الكريم قال تعالى : « القارعة ما القارعة » ^(١) تفيد التهديد والتهويل بيوم القيامة العظيم . وقال تعالى : « والسابقون أولئك المقربون » ^(٢) تفيد المدح .

ان التكرار فى الشعر يكاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الانشاء ، فالشاعر الذى يقصد بشعره الى المحافل والمناسبات والمديح يكون دائماً أحرص ما يكون على ابلاغ رسالته بهذا التكرار .

يقول فى ذم الكذب على شرع الله ، فى مسألة زواج النساء الصغيرات بالشيخ الكبار :

وتعللت بالشرع قلت . كذبتة ما كان شرع الله بالجزار ^(٣)

ويقول فى التكرار المتسلسل وهو يؤدي النصيح للعمال ويقوم بدور الواعظ :

ولستقيموا يفتح الله لكم باباً فباباً ^(٤)

وفى التكرار فى معرض الحكمة وتشبيه المعلم بالرسول يقول :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا ^(٥)

ويقول وهو يكرر فى مقام الحال :

والجوارى فى البحر يظهرون عز الملك ، والبحر صولة وثناء ^(٦)

فى التكرار السابق نفس قرأنى فى استعماله كلمة جوارى وهى السفن ، يقول تعالى : « وله الجوار المنشأت فى البحر كالأعلام » ^(٧) .

ويستخدم شوقى التكرار فى معجمه وذلك للتقارب بين الحقيقة والمجاز مثل قوله فى رثاء سعد زغلول :

(١) قرآن كريم — سورة القارعة (آية ١ ، ٢) .

(٢) قرآن كريم — سورة الواقعة (آية ١٠) .

(٣) ديوان أحمد شوقى — ج ١ — ص ١٣١ .

(٤) نفس المصدر السابق — ص ٩١ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ١٨٠ .

(٦) ديوان أحمد شوقى — ج ١ — ص ٢٤ .

(٧) قرآن كريم — سورة الرحمن (آية ٢٤) .

- جاءها الحق ، ومن عاداتها تؤثر الحق سبيلا واتجاهاً^(١)
استعمل لفظ (الحق) فى صدر البيت لمعنى الموت مجازاً .
ومثله قوله يحيى الملك فؤاد أبان زيارته للجيزة :
- الى البيت الحرام بك اتجهنا ومصر - وحقها - البيت الحرام^(٢)
شبه مصر ب (البيت الحرام) فى عجز البيت .
ويردد الشاعر الفعل معبراً عن الالاح ودالا على المبالغة يقول :
- ومست الدار أذكى طيبها وأتت باب الرسول ، فمست أشرف العتب^(٣)
ويكرر شوقى فى معرض المبالغة يمدح الخليفة العثمانى والدستور بقوله :
- فعلى الخلافة منكما نور تلاًلاً فوق نور^(٤)
ويردد شوقى التكرار للمقابلة بين السلبى والايجابى ، إذ يقول :
- خلعوك من سلطانهم ، فسليهم أمن القلوب وملكها خلعوك ؟^(٥)
ويقول بمناسبة حج الخديوى :
- الى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله فى عرفات^(٦)
ومن أساليب تكراره التى تتميز بعمق درجته الموسيقية قوله :
- لم يلبسوا برد النبى ، وانما لبسوا طقوس الروم إذ لبسوك^(٧)
ويقول فى وداع الأستانة :
- تجلد للرحيل ، فما استطاعا وداعاً جنة الدنيا وداعاً^(٨)

(١) ديوان أحمد شوقى - ج ٣ - ص ١٧٤ .
(٢) ديوان أحمد شوقى - ج ٤ - ص ٧٢ .
(٣) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ٦٣ .
(٤) نفس المصدر السابق - ص ١٢٤ .
(٥) نفس المصدر السابق - ص ١٦٧ .
(٦) نفس المصدر السابق - ص ٩٨ .
(٧) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ١٦٣ .
(٨) نفس المصدر السابق - ص ١٤٥ .

أما المقابلة عند شوقي فقد أدت وظيفة هامة فى شعره ، ومقابلاته اللغوية تخضع
للانسجام فى أنواع الكلمات وإلى الائتلاف فيما بينها ، ومعجم شوقي الدينى غنى
بمقابلاته ، فقد استخدم عدة أنواع من المقابلات كمقابلة مصدر بمصدر أو اسم فاعل
باسم فاعل أو صفة بصفة وفعل بفعل ، واسم جامد باسم جامد وغيرها من المقابلات .
فمن مقابلة المصدر بالمصدر ، يصف غزوات الرسول (ص) بقوله :

كانت لجند الله فيها شدة فى أثرها للعالمين رخاء ^(١)

ومن مقابلة الفعل بالفعل يقول وهو يسند الاعجام والاعراب إلى الفتاة التركية
(زينب) ليصور حيرتها فى الأداء وتمزقها بين لغتين كلتيهما لا تناسب المقام :

تحذرنى من قومها الترك زينب وتعجم فى وصف الليوث وتعرب ^(٢)

ويقابل شوقي بين الجمع والجمع بقوله من قصيدة (نجاة) يصف الرايات :

تهادت سلاماً فى ذراك مطيفة لها رغبات الخلق ، والرهبات ^(٣)

ويستخدم شوقي المفردين لياقبل بينهما ، يقول فى تهنئة أمير المؤمنين الخليفة :

فصير أمير المؤمنين ثناءها مآثر تحيى الأرض وهى موات ^(٤)

وله مقابلات بين التراكيب ، يقول فى رثاء القائد التركى أدهم باشا :

(فروق) ، اضحكى وابكى فخاراً ولوعة وقومى إلى نعش الفقيد المعظم ^(٥)

ويقابل بين الحياة والموت بقوله :

النفس حرب الموت ، إلا أنها أنت الحياة وشغلها من بابها ^(٦)

(١) نفس المصدر السابق — ص ٩١ .

(٢) ديوان أحمد شوقي — ج ١ — ص ٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق — ص ٩٦ .

(٤) نفس المصدر السابق — ص ٩٥ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ١٤١ .

(٦) ديوان أحمد شوقي — ج ١ — ص ٨٤ .

ويقابل الظلام بالنور فى قوله :

أخرجت هذا العقل من ظلماته وهديته النور المبين سبيلاً^(١)

ويقابل بين المشيب والشباب فى سياق حكمى :

فترى الزمان هناك بين مشيبه مثل الزمان اليوم بعد شبابه^(٢)

ولشوقى مقابلات متعددة ترد فى سياقات كثيرة من شعره وسبق وأن ذكرت بعض المقابلات فى موضع آخر من البحث^(٣) .

ان المقابلة بين الكلمات ظاهرة منتشرة تقريباً فى كل دواوين الشعراء من قدماء ومحدثين ، وقد زخرت كتب البلاغة والنقد الأدبى بدراساتها على أنها لون من ألوان البراعة اللغوية تحسن الكلام وتزيده إيضاحاً . ولكن شوقى يبدو أنه أكثر من استخدام المقابلات فى شعره — لا من هذه الوجهة التقليدية ، وإنما أراد بها أحداث موسيقية ، واعطاء طاقة دلالية ايحائية لأبياته ويخفى وراء ذلك مطابقة واقعية ، والى جانب هذا فهى تعتبر نوعاً من الرياضة اللغوية يمارسها شوقى فى شعره .

الأمر :

يستخدم شوقى الأمر كأسلوب انشائى : ويكثر استخدامه فى طوابع قصائده ، ويأتى بعضه فى جشوا القصيدة ، ويأتى الأمر عنده فى بعض مواطن اسداء النصيح والارشاد وبذل المواعظة ، وسلامة التوجيه وبعض الأغراض الأخرى .

يقول من قصيدته (الى عرفات) :

فقل لرسول الله : يا خير مرسل ابشك ما تدرى من الحسرات^(٤)

ويقول داعياً ربه أن يوفق أمته :

فقل : رب وفق للعظامم أمتى وزين لها الأفعال والعزمات^(٥)

(١) نفس المصدر السابق — ص ١٨٠ .

(٢) نفس المصدر السابق — ص ٨٤ .

(٣) أنظر ص ٢٤٦ من هذا البحث .

(٤) ديوان أحمد شوقى — ج ١ — ص ١٠١ .

(٥) نفس المصدر السابق — ص ١٠٢ .

ويقول مخاطباً الخلافة متحسراً على سقوطها :

قل للخلافة قول باك شمسها بالأمس لما أذنت بدلك (١)
ويقول فى تحية الأزهر الشريف :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهر وانثر على سمع الزمان الجوهرا (٢)
ثم يحيى نساء مصر الخيرات :

قم حى هذى النيرات حى النساء الخيرات (٣)
ويقول مستخدماً الأمر واسناده الى النبى (سليمان) :

قم (سليمان) بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما (٤)
ويقول مخاطباً (توت عنخ آمون) :

قم سابق (الساعة) ، واسبق وعدھا الأرض ضاقت عنك فاصدح غمدها (٥)
ويقول وهو يخاطب الشمس :

قفى - يا أخت يوشع - خبرينا أحاديث القرون الغابرينا (٦)

استهلال شوقى مطالعه بفعل الأمر يعطى للقصيدة جلال القدم ، ويجمع فيها بين
جدة الأحداث وقدم الاستخدام إذ أن الشاعر يستهل قصائده على طريقة الشعراء القدامى
باستخدام الأمر فى المطالع من معلقاتهم الشعرية .

ويأتى الأمر لدى شوقى فى غير طوالع القصائد ، وغالباً يأتى فى معنى الوعظ ، فى
سياق دينى . يقول من قصيدته التى ندد فيها بانتحار بعض صغار الطلبة أثر سقوطهم فى
الامتحانات :

-
- (١) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ١٦٨ .
(٢) نفس المصدر السابق - ص ١٥١ .
(٣) نفس المصدر السابق - ص ١٠٢ .
(٤) نفس المصدر السابق - ج ٢ - ص ٨٨ .
(٥) نفس المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٥٨ .
(٦) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ٢٦٦ .

روحوا القلب بلذات الصببا فكفى الشيب مجالا للكدر^(١)
عالجوا الحكمة واستشفوا بها وانشدوا ما ظل منها فى السير
واقروا آداب من قبلكم ربما علم حيا من غير
واغنموا ما سخر الله لكم من جمال فى المعانى والصور
واطلبوا العلم لذات العلم ، لا لشهادات وآداب آخر

ويشيد شوقى بعلم التاريخ فى سياق دينى مستخدماً الأمر
بقوله :

غال بالتاريخ ، واجعل صحفه من كتاب الله فى الاجلال قابا^(٢)
قلب الانجيل ، وانظر فى الهدى تلق للتاريخ وزنا ، وحسابا
رب من سافر فى أسفاره بليالى الدهر والأيام آبا
واطلب الخلد ، ودمه منزلا تجد الخلد من التاريخ بابا

ويأتى الأمر عند شوقى للدعاء فيكون مقروناً بمعنى التوسل المباشر إذ توجه الى
الحالق ، كتوسله الى الله بتأييد مصر يقول :

يارب قويدها ، وشدها وافتح لها السبل ، ولا تسدها^(٣)
وقس لكل خطوة ما بعدها وعن صغيرات الأمور حدها
واصرف الى جد الشؤون جدها ولا تضع على الضحايا جهدها
واكبح هوى الأنفس واكسر حقددها واجمع على الأم الرؤوم ولدها

ويستخدم شوقى الأمر فى الرثاء ، يقول فى رثاء (محمد عبدالمطلب) :

قم صف الخلد لنا فى ملكه من جلال الخلق ، والصنع العجب^(٤)
وثمار فى يواقيت الربى وسلاف فى أباريق الذهب
...
واستعر (رضوان) عودى قصب وترنم بالقوافى فى القصب

(١) نفس المصدر السابق - ص ١٢٨ .

(٢) ديوان أحمد شوقى - ج ٢ - ص ١٨ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص ١٥٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ج ٣ - ص ٣٦ .

فأستخدم الأمر عند شوقي يعقد صلة بينه وبين القارىء من حيث أن الأمر يعقد حواراً بين معانى القصيدة .

النداء :

الى جانب الأمر يستخدم شوقي أسلوب النداء فى معجمه الشعرى وكثيراً ما يرد النداء مصحوباً بالأمر عند الشاعر ، ويكاد النداء يختص عند شوقي بالقصائد الطويلة ، فهو من هذه الناحية أداة لاطالة نفس القصيدة الداخلية ، وقد يستخدم الشاعر ظاهرة تنويع المنادى الواحد مثلاً فى قصيدته (الهمزية النبوية) استخدم هذه الظاهرة وهى تنويع المنادى ، وكان المنادى هو الرسول (ص) من أجل ألا يشعر القارىء بطول القصيدة ، يقول :

يا خير من جاء الوجود ، تحية	من مرسلين الى الهدى بك جاءوا ^(١)
...	...
يا أيها الأُمى ، حسبك رتبة	فى العلم أن دانت بك العلماء
...	...
بك يا ابن عبدالله قامت سمحة	بالحق من ملل الهدى غراء
...	...
يا أيها المسرى به شرفا الى	ما لا تنال الشمس والجوزاء
...	...
يا من له عز الشفاعة وحده	وهو المنزه ، ماله شفعاء
سمى شوقى الرسول (ص) (خير من جاء الوجود) و (الأُمى) و (ابن عبدالله) و (المسرى به) و (من له عز الشفاعة) وهذه المعانى من أهم ما تركزت عليه القصيدة . وقد كان النداء فى القصيدة من باب التمجيد الدينى .	

ومن استخدامه لأسلوب النداء يقول :

يا أبن الذين إذا الحروب تتابعت	صلوا على حد السيوف وصاموا ^(٢)
...	...

(١) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ٣٤ .

(٢) ديوان أحمد شوقى - ج ١ - ص ٢٢٧ : ٢٣٠ .

يا بربروس ، على ثراك تحية وعلى سميك فى البحار سلام
...
يا معشر الاسلام ، فى اسطولكم عز لكم ، ووقاية ، وسلام

خاطب شوقى فى البيت الأول الخليفة العثمانى (محمد رشاد الخامس) وفى
البيت الثانى خاطب الفقيه بربروس الذى جعلت الحكومة أسمه علماً على أول بارجة فى
الأسطول العثمانى ، وفى البيت الأخير توجه بالنداء الى المسلمين قاطبة . والنداء فى
القصيدة كان عند شوقى انطلاقة الى مواضيع جديدة .

ويستخدم شوقى النداء للالتماس والابتهال إذ يقول :

ويارب ، لو سخرت ناقة (صالح) لعبدك ، ما كانت من السلسات ^(١)
ويارب ، هل سيارة أو مطارة فيدنوبعيد البيد والفلوت
ويارب ، هل تغنى عن العبد حجة وفى العمر ما فيه من الهفوات

ثم يستخدمه للتفجع والتوجع فى سياق الرثاء :

ويا داء ، ما أنصفت إذ رعت صدره وقد كان فيه الملك أن ريع يحتمى ^(٢)
ويا أيها الماشون حول سريره أحطتم بتاريخ فصيح التكلم
ويا مصر ، من شيعت أعلى همامة وأثبت قلباً من رواسى المقطم
...
ويا بحر ، تدرى قدر من أنت حامل ؟ ويا أرض ، صونيه ، ويا ربى ارحم

ويستخدم النداء للجماعة للحث على التعاون إذ يقول :

يا قوم عثمان — والدنيا مداولة — تعاونوا بينكم يا قوم عثماننا ^(٣)
ويقصد شوقى من استخدامه النداء تقوية معجمه الشعرى بتوليد بعض المعانى
كعوامل تنشيطية .

(١) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٩١ .
(٢) نفس المصدر السابق — ج ٣ — ص ١٤١ .
(٣) ديوان شوقى — ج ١ — ص ٢٤٥ .

الأسماء التراثية والصيغ الجاهزة :

المعجم الشعري للشاعر شوقي ملىء بخليط هائل من الأسماء والكنى والألقاب التراثية التي استوحاها من التاريخ الفرعوني والعربي والإسلامي ، ومن التاريخ الأوربي أيضاً ، وقد فعل شوقي ذلك ليختصر الطريق ويجعل من هذه الأسماء رموزاً لموصوفاته تمارس نشاطها في إطار حضاري عام ، ولا شك أن مجرد استحضارها إنما يثير بعض الطاقات الإيحائية والوجدانية لمن يقرأ شعر شوقي .

فمن التاريخ الفرعوني ضمن (شوقي) بعض أشعاره أسماء (سيزوستريس ، آمون ، قمبيز ، كيلوبترا ، ايزيس ، أبيس وأزوريس ، الأهرام ، خوفو ، مينا ، أبو الهول)^(١) ، ومن التاريخ العربي والإسلامي اقتبس كثيراً من أسماء رجاله وأعلامه ، بالاضافة الى ايراد أسماء كثير من الأنبياء والرسل السابقين ، فمن الأنبياء يذكر أسماء (محمد ، عيسى ، يوسف «ابن يعقوب» ، سليمان ، داود ، موسى ، نوح ، يوشع ، ابراهيم ، آدم ، عليهم السلام)^(٢) .

ومن شخصيات الملائكة ذكر جبريل (الروح الأمين)^(٣) و (عزرائيل)^(٤) ، ومن الشخصيات المقدسة ذكر (مريم العذراء)^(٥) ، ومن الخلفاء يذكر الراشدين (أبوبكر ، عمر ، عثمان ، علي)^(٦) و (هارون الرشيد ، الأمين المأمون ، المعتصم من خلفاء بني العباس)^(٧) .

ويذكر كذلك أسم (عبدالرحمن الداخل)^(٨) ، ومن قواد المسلمين يذكر (عمرو بن العاص ، صلاح الدين الأيوبي)^(٩) .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٠ ، ٤١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ١٣٢ .

(٢) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٥ ، ١١٨ ، ٦٧ ، ١١٩ ، ٨٠ ، ٢٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٩٤ ، ٦٥ .

(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٩١ .

(٤) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٤٧ .

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٤١ ، ٣٥ .

(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٧٠ .

(٧) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٢٦٧ .

(٨) دول العرب وعظماء الاسلام - ص ٧٨ .

(٩) نفس المصدر السابق - ص ٦٢ .

ويذكر من الشعراء (المتنبي)^(١) ، و (لييد ، البحتري ، ابن زيدون)^(٢) ، وغيرهم .

ومن الخطباء يذكر (قس بن ساعدة الأيادي)^(٣) ، ومن العلماء يذكر (ابن سينا)^(٤) ، أما من تاديخ غير العرب يذكر (كسرى ، قيصر)^(٥) ، ومن الفلاسفة يذكر (أرسطو)^(٦) .

كذلك فى ملحمته (دول العرب وعظماء الاسلام) وردت أسماء أعلام كثيرة مثل (الفاروق ، بلال ، الصديق ، على ابن أبى طالب ، أبى سفيان ، معاوية ، خالد بن الوليد ، أبى عبيدة بن الجراح) .

لقد كثر استخدام الأسماء فى معجم شوقى الشعرى ، فمن هذه الأسماء ما يستخدم رمزاً للتعبير عن واقع يعيشه الشاعر، ومنه ما يستخدم لمجرد الاستخدام دون أن يبين أية ملامح للاسم المستخدم ، وشوقى بهذا يضل القارىء فى كثرة استخدامه لهذه الأسماء التراثية ويترك تحديد غرضها سؤالاً حائراً فى نفس المتلقى ، وربما يقبل على ذلك كنوع مقصود من عدم الوضوح ، ولكن يؤخذ على الشاعر تكديس الأسماء فى بعض القصائد كما فعل فى قصيدة (توت عنخ آمون)^(٧) حيث تضمنت حوالى ثمانية وعشرين علماً .

ويستخدم شوقى الأعلام فى السياق الواحد فيتولد من تجمعها جو خاص ليس مرتبطاً بكل واحد منها على انفراد بقدر ارتباطه بها مجتمعة ، يقول مخاطباً (هول كين) الروائى الشهير :

(هول كين) (مصر) رواية لا تنتهى منها يد الكتاب والشرح^(٨)

-
- (١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٩٧ .
 - (٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٠ ، ١٠٤ .
 - (٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٢٣ .
 - (٤) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٦٠ .
 - (٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩٠ ، ١٧ .
 - (٦) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١٨ .
 - (٧) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٦٦ .
 - (٨) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٢٢ .

فيها من (البردى) و (الرموز) و (التوراة) و (الفرقان) و (الاصحاح)
و (منا) و (قمبيز) الى (اسكندر) فالقيصريين فذى الجلال (صلاح)
استخدم شوقي الأعلام فخلق جواً يوحى بمراحل السلطان الدينى على العالم بما فيه
مصر ، وجواً يوحى بمراحل السلطان السياسى الخاص بمصر فى البيت الأخير .

وكذلك فى قوله مستخدماً هذا الزخم الهائل من الأسماء :

ان (مصرا) رواية الدهر ، فاقراً عبرة الدهر فى الكتاب العتيق ^(١)
ملعب مثل القضاء عليه فى صبا الدهر آية (الصديق)
وامحاء (الكلیم) أنس ناراً والتجاء (البتول) فى وقت ضيق
ومنا (منا) ، (فكسرى) فذى (القر نين) فالقيصريين ، ف (الفاروق)

فالأسماء المستخدمة فى أبياته هذه توحى بجو مشترك بين اليهودية والمسيحية
والاسلام ، ولكن هذا الجو يغلب عليه الجفاف إذ هو عبارة عن شريط أنبائى يحمل
أسماء .

وقد يصل استعمال شوقي لبعض الصيغ الجاهزة ، أو المسكوكات التقليدية ،
أحياناً بألفاظها ، وأخرى باستيحاء معانيها ووضعها فى كلمات من عنده . ومصادره فى
هذا تتدرج من معانى الآيات القرآنية والقصص القرآنى ^(٢) الى الشعر العربى القديم ، وفى
بعض الأحيان العامة ، هذا الى جانب بعض الصيغ التراثية (Formulas) ^(٣) ، ^(٤)
مثل (شد الرحل) ^(٥) تعبيراً عن الاستعداد للرحيل ، و (نام ملء جفنه) ^(٦)
كناية عن النوم الهادى ، و (قضى الوطر) ^(٧) لأخذ النصيب ، و (مات
حتف أنفه) ^(٨) لموافاة الأجل ، و (حل الحبا) ^(٩) للنهوض ، وغير ذلك

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٩٩ .

(٢) Formulas .

(٣) أنظر ص ٢٩٦ من هذا البحث .

(٤) ديوان شوقي - ج ٣ - ص ١٨٤ .

(٥) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٨٤ .

(٦) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٢٥ .

(٧) ديوان شوقي - ج ١ - ص ١٦٢ .

(٨) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٦٠ .

كثير في ديوانه . وهذا التصرف يوافق رأى القاضى الجرجانى بقوله : « أحظر على نفسى ولا أدري بث الحكم على شاعر بالسرقه »^(١) .

وسواء أكانت الاقتباسات بقصد أو بدون فانها تدل على أن شوقى يمثل التراث القديم وهضمه حتى أنه أصبح بعضاً منه ، حتى أن هذه الاستخدامات تأتي فى بعض الأبيات الشعرية متمكنة ولا نشعر بنيتها عن النغمة السائدة فى القصائد التى تحتويها .

ويستخدم شوقى فى معجمه الشعرى اسم الجلالة (الله) كثيراً حتى أن ذكر اسم الجلالة يرد فى أكثر من نصف ديوانه . ويمكن أن نرجع استخدام شوقى لاسم الجلالة بهذه الكثرة لسببين : الأول الاقتناع بوجود الله والايمان به وتوحيده ، والثانى تأثره بالقرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله (ص) . ولأن اسم الجلالة صيغة تراثية جاهزة يستخدمها شوقى فى كافة أغراضه الشعرية ، ولا يختلف الشاعر الحديث عن القديم فى الاتجاه الى الله إذا ضاق به أمر ، ولا يختلف الشاعر الإسلامى عن الجاهلى فى الابتغال والللجوء الى الله تعالى ، ولا استخدام اسم الجلالة فى الشعر جذور قديمة ، فلا يقال أن الأصنام كانت تعبد فى الجاهلية من دون الله ، وأن الشرك كان طاغياً ومتفشياً ، ففى غمرات ذلك الجو الملبد بالشرك كانت تلمع ومضات من نور الايمان ، وضوء التوحيد . فليس طبيعياً أن ينقطع ما بين الله والناس فى فترة من فترات الشرك . وكثيراً ما نجد اسم (الله) فى شعر الجاهلين فى معرض الحلف به والقسم بأسمه ، والحمد له ، والثناء عليه ، والدعاء بالخير والشر باسمه ، ووصفه بأنه يعلم كل خافية ، وأنه يحيى ويميت ، ويهلك ويبقى .

يقول امرئ القيس فى معرض (الحمد لله) :

أرى ابلى — والحمد لله — أصبحت ثقلاً إذا ما استقبلتها صعودها^(٢)

وإذا ما تجاوزنا هذه المعانى الجزئية من وجود لفظ الجلالة (الله) فى الشعر الجاهلى ، الى المعنى الكلى من وجود الله نفسه ، وفكرة الألوهية الشاملة للتوحيد ، وجدنا شعراء جاهليين فاقت أشعارهم — التى رويت لنا عنهم — بفكرة الله سبحانه

(١) الوساطة — القاضى الجرجانى — ص ٢٥١ .

(٢) ديوان امرئ القيس — ص ٦٠ .

وتعالى وآياته البينات ، ويتمثل هذا كثيراً فى شعر (أمية بن أبى الصلت) الذى قرأ كثيراً فى كتب الأوائل ، ونبذ الأوثان والتمس الدين . ومن قوله :

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال ^(١)

وتعتبر هذه الخطوات التى يأتى بها الشعراء فى الجاهلية كأنها تأكيد لمعانى الألوهية فى النفس العربية منذ القديم ، فهذا الشاعر (زهير بن أبى سلمى) يقول :

فلا تكتنم الله ما فى نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتنم الله يعلم ^(٢)

أما شعراء الدعوة الإسلامية فكان من الطبيعى أن تمتلئ قصائدهم بالشعر الإلهى ، ولكن الملاحظ أن أكثر ما روى لنا من شعر عصر النبوة وصدر الإسلام كان يذكر الدعوة الإسلامية والرسول (ص) لأن الرسالة المحمدية كانت الحدث الهام الذى توجه له الناس بكُل ما يملكون من طاقات ، واقتضى ذلك أن تتعدد وتتجه أهداف الشعر الإسلامى الى مدح الرسول (ص) ومدح الأنصار والصحابة ، وهجاء قريش والمشركين ، ونشر العقيدة ، وإعلان الشهادة بالإسلام ، وغيرها من الأغراض .

أما بعد صدر الإسلام ، وفى أواخر القرن الأول الهجرى نرى الشاعر العجاج يدخل مجال الشعراء الإلهيين بأرجوزة له فى (الله) يحمده ويصف يوم الحساب وأهواله ، يقول فيها :

الحمد لله الذى فعلت بأمره السماء ، واستقلت ^(٣)

وإذا كانت الذنوب تلجئ الشعراء الى باب الله لالتماس العفو ، فإن الشدائد عند أبى العتاهية وأبى نواس كان نابعاً من الشعور بالذنب والطمع فى العفو ، وابتهالات النواسى فى شعره تتجه هذا الاتجاه فهو يطمع فى رحمة ربه وعفوه ، فهل كان شوقى يطمع فى عفو ربه ومغفرته كما فعل الشعراء من قبله ؟

(١) ديوان أمية بن أبى الصلت - ٣٦ .

(٢) شرح المعلقات السبع - الامام المحقق أبى عبدالله بن الحسين الزورنى ص ١٨٧ - المكتبة الأموية - دمشق - سنة ١٩٦٣ م .

(٣) ديوان العجاج - ص ٨٠ .

من الطبيعي أن يطمع شوقي في رحمة ربه وعفوه ، الى جانب أنه من الشعراء الذين تأثروا بالقرآن الكريم ، وقد سبق أن تناولنا تأثيره بالمصحف الشريف واقتباسه منه قصصاً وآيات قرآنية ، إذ أن القرآن الكريم اتجه الى فكر الانسان ليقنعه بوجود الله بالأدلة الحسية والملموسة الثابتة عبر العصور . وقد تأثر شوقي بذلك كثيراً وردد اسم الله في أشعاره بصيغ مختلفة ، وعلى هذا الاقتناع بوجود الله يترتب الالتزام بأوامره ونواهيه في مختلف المجالات الروحية والاجتماعية .

وحين نرجع الى نصوص شوقي الشعرية لنستجلي بعض ملامح التصور الاسلامي من خلال نظرة شاملة للمواضع التي ورد فيها ذكر الله تعالى أو حديث عن بعض أفعاله أو أقواله نستطيع أن نستنتج أن كل تلك المواضع ترد الى عنصر واحد ، والى حقيقة واحدة من الحقائق الالهية ، تلتقي عليها جميع نماذج معجمه وأمثله لتعطى تصوراً واضحاً عنها ، تلك هي حقيقة العلاقة بين الله وخلق ، وبخاصة البشر منهم . فالله يحكم بين البشر وبين الخلق عامة ، وهو فوق الخلق ، وهو العالم ببواطن الأمور ، وهو المؤلف بين القلوب ، وهو الأول والآخر ، ويمكن أن نلمح هذه العلاقة في جوانب مختلفة في معجمه الشعري . ومن علاقته تبارك وتعالى بالكون يشير شوقي الى أنه سبحانه هو الخالق للحياة والكون إذ يقول :

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء^(١)
ويقول :

قوة الله أن تولت ضعيفاً تعبت في مراسه الأقوياء^(٢)
ويقول في عظمة الروح وخالقها :

الروح للرحمن جل جلاله هي من ضنائن علمه وغيابه^(٣)
وفي الآيات الكريمة دلالة على عظمة الخالق وبراهين على قوته وإرادته وعلى الذي يشك في وجود الخالق أن يتأمل في صنعه العجيب يقول :

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٨ .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٨٦ .

تلك الطبيعة قف بنا ياسارى حتى أريك بديع صنع البارى ^(١)
الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجلال كأنها أم الكتاب على لسان القارى
والرياح مسخرات بأمر الله يرسلها الى حيث يشاء لتؤدى مايريده سبحانه ، يقول
شوقى :

تكاد تقاد الفاديات لربه فيزجى وتنزم ^(٥) الرياح فيركب ^(٢)
وإذا كان القدماء قد عبدوا الأصنام والتماثيل فانها رموز الى الخالق المنزه عن
المماثلة ، وإذا كانوا قد ألّهوا الأشجار فانها بخيراتها وحيويتها وجمالها من خلق الله ،
والذين عبدوا الملوك كانوا بحاجة الى من يبصرهم بأن الله ملك الملوك يعطى الملك من
يشاء ، يقول شوقى :

رب شقت العبياد أزمان لا كتب بها يهتدى ولا أنبياء ؟ ^(٣)
ذهبوا فى الهوى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء ^(٥)
... ..
فاذا لقبوا قويا لها فله بالقوى إليك انتهاء
... ..
جمع الخلق والفضيلة سر شقت عنه الحجاب فهو ضياء

صود شوقى حيرة البشر ب (شقت العباد) وهذا دلالة على تطلع الناس الى معرفة
الحقيقة منذ القدم حيث لم يكن أنبياء ولا كتب يهتدى بها ، ولكن شوقى أذهب هذه
الحيرة بقوله أن تعدد الالهة ينتهى الى حقيقة واحدة هى وجود الله ووحدانيته ، وصود ذلك
ب (الحقيقة الزهراء) .

(١) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٣٦ .

(٢) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٥٦ .

(٥) تنزم : زم : ربطه وشده .

(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٠ .

(٥) الحقيقة الزهراء : وجود الله وتوحيده .

ويكرر شوقى قوله ليذهب الحيرة عن البشر حيث يردد :

اعبد الله بعقل يا بنى وبقلب من رحاب الله حى ^(١)
ويجعل شوقى الشك فى وجود الله حريمه لأنه انحراف عما تمليه عليه الفطرة ، إذ
يقول :

سل الشمس من دفعها ناراً ، ونصبها مناراً ، وضربها ديناراً ؟ ^(٢)
ومن علقها فى الجو ساعة يدب عقربها الى يوم الساعة ؟

والقرآن الكريم هو المعين الثرى الذى يستمد شوقى منه صوره كما فعل غيره من
الشعراء ، إذ أنه الحقيقة التى تبعث على التأمل والتى يجدونها فى هذا الكتاب الكريم ،
وهذه الحقيقة فيما خلق الله من آيات دالة على عظمته وقدرته ، وقد أورد المصحف
الشريف هذه العظمة الالهية التى يشهد لها الكون فى مواطن كثيرة ، وذكر مشاهد الحياة
والموت ويوم القيامة والفناء . وقد ردد شوقى بهذا المعنى مصوراً هول القيامة إذ يقول :

من مات فى فزع القيامة لم يجد قدما تشيع أو حفاوة ساعى ^(٣)
ويقول :

تعالى الله ، لا يبقى سواه إذا وردت بريته الفناء ^(٤)

وهكذا نجد العلاقة بين الله والكون، من خلال معجم شوقى الشعرى ، علاقة بين
خالق مالك متصرف ، وكون مخلوق خاضع لأمر الله وإرادته ، وهى علاقة تشف عن
رحمة وعطف من الله على عباده وتوحيد العباد للاله وخلقهم ، وهى تبدو أيضاً بالترفق
التكريمى بالعبادة ، والله سبحانه وتعالى فتح باب التوبة لعبده المنيب اليه ، وشوقى
شأنه شأن الشعراء السابقين، يطلب المغفرة من ربه ويسأله أن يعفو عنه وعن غيره من
الناس ، ويقبل توبته وتوبة غيره من عباد الله . يقول :

فأسأل الهى عفوه الجليلا . لتائب قد جاءه ذليلا ^(٥)

(١) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٣٨ .

(٢) أسواق الذهب - ص ٤٥ .

(٣) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ٩٤ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٢١ .

(٥) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ١٦٥ .

ويقول مستغفراً للخليفة :

نستغفر المولى له والله يعفو عن كثير^(١)
أما الرحمة والغفران فهما من أبرز الصفات الالهية التى تنطق بها معظم نصوص
شوقى الشعرية ، وهى تفيض بشتى المشاهد والمواقف المعبرة عن غفران الله للكثيرين من
عباده مهما كانت ذنوبهم . يقول :

مذنّبكم قد غفر الله له ما أدنّب^(٢)

ويقول :

مدوا الأكف سخية ، واستغفري يا أمة قد أن تستغفروا^(٣)

ويقول فى قصيدته (رمضان ولى) والتى يهنئ فيها الخديوى بعيد الفطر ويعتذر
عن شرب الخمر ، لينسى همومه وأحزانه وعالم النفاق الذى يعيش فيه . وشوقى يعلم فى
ذلك أنه مذنب بدليل التماسه الأعذار وطلب المغفرة من الله ، ولعل الله يقبل توبته
ويغفر له :

الله غفار الذنوب جميعها ان كان ثم من الذنوب بواقى^(٤)

ويطلب شوقى من ربه المغفرة للجيل الناشئ من الطلبة بعد
سقوطهم بالامتحان واقدامهم على الانتحار ، ويقطع عليهم سبيل اليأس
ويبسط لهم سبيل الأمل ، يقول :

غفر الله له ، ماضره لو قضى من لذة العيش الوطر ؟^(٥)

والله بذاته رحمة وعدل ، وقد فضل الله دور العدل على دور القوة يقول

شوقى :

(١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢١ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٥٩ .

(٣) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٤٧ .

(٤) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٧٧ .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٢٥ .

- والله يعلم أن فى خلفائه عدلا يقيم الملك حين يميل^(١)
ومما شاع فى معجم شوقى استخدام اسم الجلالة مفعولا به فى
الصدارة من جمل هى فى معنى (اتق الله) :
- الله فى الخلق من صب ومن عان تفنى القلوب ويبقى قلبك الحانى^(٢)
ويقول :
- الله فى روح صب يفشيان بها موارد الحتف لم ينقل لها قدما^(٣)
ويقول أيضاً :
- يا أهل القدود التى طالت عواليها الله فى مهج طاحت غواليها^(٤)
وقد استخدم الشاعر اسم الجلالة مع (كان) الماضى على منوال بعض التراكيب
القرآنية ولكن (كان) هنا خرجت عن الزمن الماضى الى الزمن الدائم ، يقول :
- فقلت : كذلك أنست قبلاً وكان الله بالنجوى عليما^(٥)
ويرد اسم الجلالة عند شوقى فى معرض القسم به ، والحمد له ، يقول :
- بالله جل جلاله ، بمحمد بيسوع ، بالعزى لا تتفرقوا^(٦)
ويقول :
- قسماً بمن يحيى العظا م ولا أزيدك من يمين^(٧)
استوحى البيت السابق من قوله تعالى : « يحيى العظام وهى رميم »^(٨) .

(١) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١١٦ .
(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٤٢ .
(٣) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٣٧ .
(٤) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٤٥ .
(٥) ديوان شوقى - ج ٤ - ص ٣٢ .
(٦) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١١٣ .
(٧) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٢٠ .
(٨) قرآن كريم - سورة الفجر - آية ٢٧ .

وفى معرض (الحمد لله) يقول :

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين^(١)
والدعاء لله يأتي عنده مقروناً بالتوسل المباشر إذ يتوجه الشاعر الى الخالق أن
يؤيد بلاده مصر بقوله :

يارب قسويدها ، وشدها وافتح لها السبل ، ولاتسدها^(٢)
ويقول متضرعاً لله أن يكتب السلامة لركاب السفينة في قصيدة (كبار
الحوادث) :

رب ان شئت فالقضاء مضيت وإذا شئت فالمضيق فضاء^(٣)
فاجعل البحر عصمة وابعث الرحمة فيها الرياح والأنواء
ويستعمل شوقي صيغ الدعاء في معجمه الشعري مقرونة بحرف (يا) في صدارة
الجملة المبدؤة بفعل ماض يفيد الدعاء ، يقول :

فيارعى الله وافداً بين أعيننا ويرحم الله ذاك الوفد ما رحما^(٤)
ومنه :

يا وقى الله ما أصبح منه وسقى صفوة الحيا ما أمسى^(٥)
ويقول :

فى ذى الجفون صوارم الأقدار راعى البرية يا دعاك البارى^(٦)
وايمان شوقى بالبعث كايما به بالموت فكلاهما حق ، ولأن الروح والبعث عقيدة
دينية ، فهي ليست بحاجة الى جدل أو تدليل ، ويتجلى ايمان شوقى بالله وبأن
النفوس مردها الى الله سبحانه وتعالى إذ يقول :-

-
- (١) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢٨٠ .
(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٥٨ .
(٣) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٧ .
(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١٥ .
(٥) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ٤٤ .
(٦) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٢٥ .

- سنة الله فى العباد وأمره ناطق عن بقائه لن يردا (١)
والى الله ترجع النفس يوما صدق الله والنبيون وعدا
ولقد ردد فى معظم قصائده الرثائية يقينه بالبعث وبنعيم الآخرة ، يقول وهو يرثى
زعيم مصر (سعد زغلول) المتوفى سنة ١٩٢٧ م :
- فى نعيم الله نفس أوتيت أنعم الدنيا فلم تنس تقاها (٢)
وفى رثاء عمر لطفى المتوفى سنة ١٩١١ م يقول :
- الى جنة خلقت للكريم ومن عرف الله ، أو من قدر (٣)
وفى رثاء تولستوى يقول :
- طوانا الذى يطوى السماوات فى غد وينشر بعد الطى وهو قدير (٤)
استوحى ذلك من قوله تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » (٥) .
- وشاعرنا أحمد شوقى كغيره من الشعراء مؤمن بربه يطمح فى التوبة والغفران بل هو
يتفوق على غيره من الشعراء فى استخدامه لأسم الجلالة فى شعره بهذه الوفرة ، ونستطيع
أن نقول أن هذا الاستخدام أصبح ذا طابع خاص يتميز به معجمه الشعرى .

استعمال بعض الصيغ النادرة :

ويستعمل شوقى فى معجمه الشعرى الدينى بعض الصيغ النادرة وهذا من باب العمل
على إثراء الرصيد اللغوى أولاً ، ثم العمل على احياء مهمل اللغة ثانياً . فمن الصيغ
النادرة التى ولع بها شوقى فاستعملها فى مواطن كثيرة من شعره على حساب الشائع
منها ، استخدامه (الزام) مصدراً بدل (الذم) .

-
- (١) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٣٠ .
(٢) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٧٩ .
(٣) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ٨٣ .
(٤) نفس المصدر السابق ص ٨١ .
(٥) قرآن كريم - سورة الأنبياء - آية ١٠٤ .

يقول :

يقضى عليهم فى البرية ، أولهم ويديم حمداً ، أو يؤيد ذاماً^(١)
ويستخدم (الخلد) مصدراً بديلاً (للخلود) :

واطلب الخلد ودمه منزلاً تجد الخلد من التاريخ باباً^(٢)
ويقول :

ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة على نزلاء الدهر بعدك أو علماً^(٣)
و (الخلد) هو مصدر يقترون بالجنة كثيراً ، فيكون شوقى قد فضل هذا المصدر
واستعمله لاحتفاظه بنفس دينى .

ويستعمل شوقى (شميم) بدل المصدر (شم) يقول :
قدسية النفحات تسكر بالمذاق وبالشميم^(٤)

ويستخدم شوقى من صيغة الأفعال النادرة (صيغة افتعل) بدل صيغة المجرى
(فعل) ، يقول :

لزمت باب أمير الأنبياء ، ومن يمسك بمفتاح باب الله يفتنم^(٥)
ويستخدم شوقى من صيغة الأسماء النادرة (شيمال) بديلاً ل (شمال) يقول :
لقد ركب الله فى ساعديك يمين الجدود وشيمالها^(٦) (٥)
وسواء أكان استعمال (شيمال) عند شوقى ضرورة شعرية أم صدى لثقافة لغوية ،
فانه نادر الاستعمال حديثاً ومهملاً تقريباً . فالاستعمال عنده ذا طابع قديم .

(١) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٤٤ .

(٢) ديوان شوقى - ج ٢ - ص ١٨ .

(٣) ديوان شوقى - ج ٣ - ص ١٤٦ .

(٤) ديوان شوقى - ج ١ - ص ٢١٨ .

(٥) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٩١ .

(٦) ديوان شوقى - ج ١ - ص ١٨٤ .

(٥) شيمال : ورد فى لسان العرب (الشيمال) لغة فى الشمال .

ويستخدم شوقي بعض الألفاظ النادرة مثل (الندى) بديل (النادى) يقول :
وإذا خطبت فللمنابر هزة تعروالندى ، وللقلوب بكاء
ويقول :

يدعوا خلف الستر الهة لهم ملؤوا الندى جلاله ، وتأبقوا^(٢)
ويستخدم كلمة (رضى) بديل (ارضاء) :

كم من غزاة للرسول كريمه فيها رضى للحق أو اعلاء^(٣)
ويستخدم (آمناً) بديل (مؤمناً) :

آمناً بالله ايمان العجوز ان غير الله عقلا لا يجهز^(٤)
بعد هذا نجد أن معجم شوقي الدينى فى استخداماته للصيغ النادرة ، قوامه
خصائص اللغة فى جانبها النادر المهمل .

وتعبيرات شوقي فى معجمه الدينى تبرز من خلال علاقاتها لتأدية الغرض ،
ويضاف الى ذلك « أن بعض النقاد يرون أن الشعر ليس صورة ولكنه علاقة »^(٥) .
وحين ننقل هذا الى ديوان شوقي نلاحظ أن المعجم لديه ما هو إلا صو وعلاقات تكمل
بعضها الآخر وهذا ما يعطى ديوانه ثقلاً دلالياً واضحاً .

(١) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٤ .
(٢) ديوان شوقي - ج ٢ - ص ٦٤ .
(٣) ديوان شوقي - ج ١ - ص ٣٤ .
(٤) ديوان شوقي - ج ٤ - ص ٢٨ .
(٥) Chatman: Literary Style, p. 38 I

الخاتمة :

فى اطار هذه النظرة الاسلامية — العربية نرى أن شعر أحمد شوقى الاسلامى يندرج تحت ركنين أساسيين : النفس الجاهلى والمعنى الاسلامى ، وما أحدثته هذه المزاجية التراثية من تحويل أو اضافة فى الشعر ، ومن هنا كانت البداية فى التعرف على التيار الاسلامى الواضح فى شعر شوقى فى دائرة السياسة العثمانية التى استقرت فى نظام للحكم، كان عليها أن تثبتته وتدافع عنه . وأول ما يلفت النظر هو احاطة الخليفة العثمانى والخلافة بهذه القداسة . وهى فكرة تجاوزت عند شوقى المعنى الدينى الى مستوى التأثير بنظم الحكم فى حضارات أخرى امتزجت بالحضارة العربية وتفاعلت معها أخذاً وعطاء . وتترد فكرة تمجيد الخليفة — خليفة المسلمين — عند شوقى الذى التف حول البلاط العثمانى كثيراً ، وتتسع الدائرة لتشمل كل صفات الخليفة من شجاعة وكرم موروث وبلاء فى الحرب . ويترتب على هذا التمجيد تكرار الصيغة لدى الشاعر ، وهذا التكرار المتشابه ناتج عن انعكاس الرؤية عنده . وأخذت الصور الاسلامية عند الشاعر تدخل دائرة الفضيلة فالخليفة خير من ينهض بالعباد ويؤدى الشعائر والفرائض ، بل خير من يحج لبيت الله . ومما يلفت النظر أن شعر الخلافة عند شوقى كان أكثر الموضوعات حاجة الى التيار الاسلامى واستيعاباً له ، وذلك لأن التوظيف السياسى لهذا الشعر والاعتماد على الدين من أجل توجيه السياسة وتأكيد مبادئها ، وموقف شوقى هذا من الخلافة يرجع أولاً وقبل كل شىء الى تمسكه وغيره من المسلمين بالخلافة كمركز للاسلام ووحدة للمسلمين بصرف النظر عن دوافع الجنس والدم . وقد نزع شوقى الى مؤازرة حركة الجامعة الاسلامية استجابة لأهداف دينية ترمى الى وحدة الأمة واستقلالها وتؤكد لها حياة قومية مستمدة من تعاليم الدين .

وفى اطار المزاجية التراثية ، استطاع شوقى أن يعبر تعبيراً فنياً خرج فى أداء لغوى لا يفارق البلاغة القرآنية حينما زواج بين مصر الفرعونية ، ومصر القرآنية ، وهذا مما يوضح مدى اهتمام شوقى بالتاريخ أولاً ، ولأن حضارة مصر الفرعونية كانت حضارة ذات صبغة دينية ثانياً . والى جانب ذلك فقد زواج بين أحداث التاريخ القديمة والحديثة ليسجل بها أحداث عصره، ويعود ذلك الى فهمه للدور الحضارى للتاريخ ، وهو دائم البحث فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية عن المثل الأعلى .

وقد انتقل البحث الى رؤية أخرى لأبعاد التأثير الاسلامى المباشر فى شعر شوقى ، وكان أهم مظاهر هذا التأثير ما اقتبسهُ الشاعر من القرآن الكريم ، فقد أصبحت الآيات القرآنية المصدر الأول الذى نهل منه . وقد أحس شوقى أنه فى حاجة الى تدعيم موقفه السياسى من خلال النص المقدس ، فاقْتبس منه بصورة مباشرة وغير مباشرة لتحقيق هذه الوظيفة ، وكأن شوقى يريد أن يثبت بأنه ليس أقل ثقافة دينية من غيره من الشعراء خاصة أنه شاعر قصر الخديوى .

وكان القصص الدينى مظهراً آخر من مظاهر هذا التأثير الاسلامى ، اعتمد عليه شوقى بصورة واضحة ، فانتشر فى شعره يؤكد به مكانة الخليفة العثمانى من خلال تشبيهه بالأنبياء ، كما استغل قصص الأمم الغابرة وما أصابها من عذاب الله فى تخويف المعارضين للخلافة العثمانية .

وكانت الشعائر الدينية والعبادات مظهراً آخر لهذا التأثير الاسلامى ، عند شوقى ، وقد كان ظهورها على مستوى البيت المفرد كثيراً ، فلم تشكل صورة كاملة إلا فى مواضع قليلة ، ونجد اشاراته للحج والصوم والصلاة وغيرها من الشعائر .

وشوقى بانتمائه لمرحلة الاحياء هو جزء من مرحلة حتمية تمر بها الأمة فكان لابد أن يسير فى شعره على النظام الشعرى القديم والاقتباس من الموروث ، وأن يجدد فى شعره بمقدار محدود ، إذ أن العالم العربى بعد خروج الاستعمار التركى كان عليه أن يعيد شخصيته العربية . أما نقطة المواجهة لاستعادة الشخصية العربية فهى العودة الى التراث القديم الذى أخذ الشاعر يتمثل به وخاصة هذه القيم التى يعتز بها العربى من كرم وشجاعة . ودفاع عن النفس . وكان على الشاعر أن يتمثل اللغة العربية الفصحى بكل ما تحمل من خصائص بيانية لمواجهة هذا الموقف .

والظاهرة الملفتة للنظر هى المزاجية الصوتية والموضوعية فى معجم شوقى الشعرى ، وهى إن دلت على شىء فانما تدل على أن شوقى درس نظام اللغة العربية فى أبرز سماته . وهكذا نجح شوقى فى اعداد ديوان من الشعر هو فى الحقيقة قاموس حى لمفردات اللغة ، استطعنا أن نأخذ منه هذه الاسلاميات .

وبعد ، فان أكن قد وفقت فما توفيقى إلا بالله ، وان تكن الأخرى فما أبرىء نفسى ، وكل ابن آدم خطاء ، وحسبى اننى اجتهد قدر طاقتى ، والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

(أ) أعمال شوقي :

- ديوان شوقي (٤ أجزاء) — المكتبة التجارية الكبرى ، مصر سنة ١٩٧٠ م .
- ديوان شوقي (٤ أجزاء) — ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٦ م .
- الشوقيات المجهولة — جزآن — ج ١ سنة ١٩٦١ م ، ج ٢ سنة ١٩٦٢ — تحقيق محمد صبرى — ط . دار الكتب المصرية .
- أسواق الذهب — م . الاستقامة — القاهرة سنة ١٩٥١ م .
- دول العرب وعظماء الاسلام — م . مصر سنة ١٩٣٣ م .
- مسرحية مجنون ليلى — م . دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ .
- مسرحية على بك الكبير — شركة فن الطباعة سنة ١٩٣٢ م .
- مسرحية أميرة الأندلس — سنة ١٩٣٢ م .

(ب) مصادر دينية :

- القرآن الكريم .
- زبدة البخارى — عمر ضياء الدين — ط . مطبعة مصطفى البابى الحلبي — مصر سنة ١٣٤٩ هجرية .
- صحيح الترمذى — تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف — دار الفكر سنة ١٩٧٨ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — اعداد : محمد فؤاد عبدالباقي — ط . مطابع الشعب بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هجرية .
- انجيل متى — ط . بيروت — مكتبة جامعة القاهرة
- انجيل برنابا — مطبعة النيل المسيحية — مصر — ١٩٢٤ م — مكتبة جامعة القاهرة

(ج) دواوين الشعراء :

- ديوان امرئ القيس — شرح السندوبى — م . الاستقامة — القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

- ديوان أمية بن أبي الصلت — جمع وتصحيح وضبط فردوس شولتش — ط .
ليبسك — سنة ١٩١١ م .
- ديوان ابن زيدون — تحقيق : كامل كيلانى وعبدالرحمن خليفة — ط . مصطفى
البابى الحلبي سنة ١٩٣٢ م .
- ديوان أبو تمام — شرح الخطيب التبريزي — تحقيق : محمد عبده عزام — دار
المعارف — مصر سنة ١٩٧٠ م .
- ديوان البحتري — تحقيق : حسن كامل الصيرفي — بيروت سنة ١٩٦٥ م .
- ديوان البوصيري — تحقيق : محمد سيد كيلانى — م . مصطفى البابى الحلبي —
مصر ١٩٥٥ م .
- ديوان حسان بن ثابت — شرح البرقوقى — سنة ١٩٢٩ م .
- ديوان الحصري — (على) أبو الحسن الحصري القيروانى — محمد المرزوقى
والجيلانى بن الحاج يحيى — تونس سنة ١٩٦٣ م .
- ديوان الحماسة — شرح المرزوقى — لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة
١٩٥٣ م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى — شرح ابن الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف
بالأعلم الشنتمرى — ليدن سنة ١٨٨٩ م .
- ديوان العجاج — مجموعة أراجيز — ج ٢ — ط . ليبسك سنة ١٩٠٣ م .
- ديوان كعب بن زهير — ط . دار الكتب المصرية ١٩٤٤ م .
- ديوان المتنبي — شرح أبي البقاء العكبري — تحقيق : مصطفى السقا . ابراهيم
الأيبارى . عبدالحفيظ شلبي — ط . البابى الحلبي سنة ١٩٧١ م .
- ديوان مجنون ليلى — جمع ونشر جمال الحلبي — ط ز عيسى الحلبي — القاهرة
١٩٦٣ م .
- ديوان مهيار الديلمي (٤ أجزاء) — ط . أولى — دار الكتب المصرية —
١٩٢٥ م — ١٩٣١ م .

(د) مصادر أدبية وتاريخية :

- الآمدى : (الموازنة بين أبى تمام والبحتري) تحقيق : محمد محبى الدين عبد الحميد — القاهرة سنة ١٩٤٤ .
- ابن الأثير : (الكامل فى التاريخ) — ادارة الطباعة المنيرية — درب الأتراك — مصر ١٣٥٦ هجرية .
- ابن المقفع : عبد الله : (كيلة ودمنة) تحقيق : عبد الوهاب عزام — دار المعارف بمصر — ١٩٤١ م .
- أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) — ط . دار الكتب المصرية — ١٩٢٧ م .
- الجرجاني : القاضي على بن عبدالعزيز : (الوساطة) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البيجاوى . عيسى البابى الحلبي — القاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- الزوزنى : أبى عبد الله الحسين (شرح المعلقات السبع) ضبط وتعليق : محمد على حمد الله — المكتبة الأموية — دمشق ١٩٦٣ م .
- الصفدى : صلاح الدين خليل بن أبيك : (الوافى بالوفيات) مراجعة : هلموت ديتير — فيسبادن ١٩٦١ م .
- القرطاجنى : حازم : (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) تحقيق : محمد بن الحبيب بن خوجه — دار الكتب الشرقية — تونس ١٩٦٦ م .
- الميدانى : (مجمع الأمثال) تحقيق : محمد محبى الدين عبد الحميد — مصر ١٩٥٥ م .

(هـ) المراجع :

- إبراهيم عبدالرحمن محمد — الشعر الجاهلى قضاياها الفنية والموضوعية — م . الشباب — المنيرة — القاهرة سنة ١٩٧٩ م .
- أحمد الحوفى — وطنية شوقى — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٨ م .
- أحمد أمين وزكى نجيب محمود — قصة الأدب فى العالم — لجنة التأليف والنشر — ١٩٤٥ م .
- أحمد عبید — ذكرى الشاعرين — المكتبة العربية — دمشق — ١٣٥١ هجرية

- أحمد هيكل — الأدب القصصى والمسرحى فى مصر — ط . ثالثة — دار المعارف بمصر ١٩٧٩ م .
- أرنولد توتينبى — الخلافة — نص المحاضرات التى ألقاها توينى خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة فى ابريل ١٩٦٤ م — ترجمة فؤاد ذكرى — الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ م .
- ألما وتلين — عبدالحميد ظل الله على الأرض — ترجمة : راسم رشدى — دار النيل للطباعة بمصر سنة ١٩٥٠ م .
- جورج أنطونيوس — يقظة العرب — مصر سنة ١٩٤٦ م .
- حامد شوكت — المسرحية فى شعر شوقى — دار الفكر العربى — م . المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٧ م .
- درينى خشبه — أشهر المذاهب المسرحية — ط . نموذجية سنة ١٩٦١ م .
- ساطع الحصرى — البلاد العربية والدولة العثمانية — بيروت — دار العلم — ط . أولى — ١٩٥٧ م .
- سالم الرشيدى — محمد الفاتح — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٩ م .
- شوقى ضيف — شوقى شاعر العصر الحديث — دار المعارف بمصر — ١٩٥٣ م .
- عبدالرحمن بدوى — (ترجمة) الديوان الشرقى للمؤلف الغربى — مطبعة النهضة المصرية — ١٩٤٤ م .
- على النجدى ناصف — الدين والأخلاق فى شعر شوقى — ط . ثانية — مكتبة نهضة مصر بالهجاله — سنة ١٩٦٤ م .
- على نصوص الطاهر — الروح الخالدة — نظرات فى عينيه ابن سينا — الأردن ١٩٦٠ م .
- كارل بروكلمان — تاريخ الشعوب الاسلاميه (٦ أجزاء) — ط . دار المعارف بمصر — ١٩٥٩ م .
- لوثر ب ستودارد — حاضره العالم الاسلامى (جزآن) — ترجمة : عجاج نويهض — تعليق : شكيب أرسلان — سنة ١٩٢٥ م .
- محمد جميل بيهم — فلسفه التاريخ العثمانى — بيروت — سنة ١٩٢٥ م .
- محمد رشيد — تاريخ الأستاذ الامام — مصر — سنة ١٩٣١ م .

- محمد حسن عبدالله — فنون الأدب — دار البحوث العلمية — الكويت ١٩٧٧ م .
- محمد حسين هيكل — حياة محمد — دار المعارف بمصر — ط . سادسة عشرة ١٩٨١ م .
- محمد غنيمى هلال — الأدب المقارن — ط . ثالثة — مكتبة الأنجلو — مصر سنة ١٩٦٣ م .
- محمد فريد — تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق : د . احسان حقى — ط . ثالثة — م . التقدم سنة ١٩١٢ م .
- محمد الهادى الطرابلسى — خصائص الأسلوب فى الشوقيات — منشورات الجامعة التونسية — ط . بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٨١ م .

(و) الدوريات والمجلات

- أبولو — العدد الرابع من السنة الأولى — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م .
- عكاظ (جريدة) — العدد ١٢١ — مكتبة القلعة — يونية سنة ١٩٢٦ م .
- مجلة (المجلة) — يوليو ١٩٥٩ م .
- فصول (مجلة النقد الأدبى) — المجلد الثالث — العدد الأول — أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر ٨٢ —
- المقتطف (جريدة) — سنة ١٨٩٢ م .
- الهلال (كتاب) — فبراير / مارس ١٩٥٣ م — مذكرات عرابى
- الهلال (مجلة) — عدد خاص — سنة ١٩٣٩ م .

(ز) المراجع الأجنبية :

1. AL BOUY (Pierre):
La Création mythique Chez Victor Hugo.
Corti, Paris, 1963.
2. Symour Chatman (editor) : Literary Style :
A Symposium, London and N.Y. 1971.
3. MODERN EGYPT : The Earl of Cromer. London,
1908.

الفهرس

— تقديم (أ - ي)

— المقدمة ٣ : ١٠

— الفصل الأول

- ١١ : ٦٣ الخلفية السياسية لشعر شوقي الاسلامى
* التيار الدينى والحياة العامة ١٢
* الجامعة الاسلامية ٢١
* التيار الاسلامى فى قصائد الخلافة ٣٠
* شوقى والمجتمع الاسلامى ٥٧

— الفصل الثانى :

- ٦٥ : ١٠٩ اضفاء الصبغة الاسلامية على موضوعات شعره
* الفرعونية فى ظل التيار الاسلامى ٦٦
* اضفاء حقائق على الديانات الأخرى ٧٥
* اضفاء الصبغة الاسلامية على الشكل المسرحى ٨٧

— الفصل الثالث :

- ١١١ : ١٥٦ المحاور الأساسية للشعر الاسلامى عند شوقى
* العبادات والشعائر الدينية ١١٢
* المدائح النبوية ١٢٤
* شعر المناسبات الدينية ١٤٦

ـ الفصل الرابع :

تأثير الاسلام والموروث التاريخي والأدبي ١٥٧ : ٢٢٥

١٥٨ * الموروث الديني

١٧٨ * الموروث التاريخي

١٩٧ * الموروث الأدبي

الفصل الخامس :

أثر الثقافة القرآنية والدينية ٢٢٧ : ٣٠٨

٢٢٨ * تضمين آيات القرآن الكريم

٢٥١ * التأثير بالقصص القرآني

٢٦٥ * صور دينية

٢٨٦ * المعجم الشعري

٣٠٩ ـ الخاتمة

٣١١ ـ المصادر والمراجع

تم بحمد الله

مطابع أهرام الجيزة الكبرى

